

فلسطين..
على منبر الأمم المتحدة

أحمد الشقيري

فلسطين..
على منبر الأمم المتحدة

الطبعة الإلكترونية الأولى
1426 هـ
2005 م

- فلسطين على منبر الأمم المتحدة
- أحمد الشقيري
- الطبعة الإلكترونية الأولى 2005 م

التنقيح والتدقيق الفني واللغوي

عبد العزيز السيد أحمد

أ. أحمد أبو سعدة

تدقيق التنضيد والإخراج :-

المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع

هاتف: +962-6-5650630 فاكس: +962-6-5668860

ب. إ: arab_book@hotmail.com

الطبعة الورقية الأولى : منظمة التحرير الفلسطينية ، د. ت.

All rights reserved..

جميع الحقوق محفوظة.

مجموعة الخطب التي ألقىت رسميا في الأمم المتحدة لأول مرة
منذ النكبة باسم الشعب الفلسطيني . . وقد ألقاها السيد أحمد
الشقيري في تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1963 بوصفه رئيسا لوفد
فلسطين .

المحتويات

العرض الأول	
- الخطاب الذي ألقاه السيد أحمد الشقيري رئيس وفد فلسطين في اللجنة السياسية الخاصة التابعة للأمم المتحدة في الخامس من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1963	9
العرض الثاني	
- الخطاب الذي ألقاه السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين في جلسة اللجنة السياسية الخاصة التابعة للأمم المتحدة في الرابع عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1963	67
العرض الثالث	
- الخطاب الذي ألقاه السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين في جلسة اللجنة السياسية الخاصة التابعة للأمم المتحدة في التاسع عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1963	131

العرض الأول

أود قبل ان اشرع في الحديث عن هذه المشكلة المحزنة، وهي مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، أن أستميح اللجنة عذرا، وصبرا، في التقديم لخطابي هذا ببعض الملاحظات الأولية، التي تمس موضوع البند المدرج على جدول الأعمال، الذي تتولى اللجنة دراسته، في الصميم .

وأود قبل كل شيء، ان أعرب لك يا سيدي الرئيس، ولأعضاء اللجنة الموقرة عن صادق تقديرنا لتضالكم بالسماح لنا بإلقاء هذا الخطاب على مسامعكم. ويود وفد فلسطين ان يهتبل هذه الفرصة، ليسجل هنا اعترافه بالجميل، لأن اللجنة قد سمحت لشعب فلسطين، بهذه الفرصة لكي يعبر عن آرائه في هذه القضية، التي يعتبرها جوهرية بالنسبة إلى قضيته القومية. فنحن نعرف أننا من الناحية الرسمية، نظهر أمام هذه اللجنة، بحكم سماح يحمل طابع الامتياز، لا ممارسة لحق يتمتع به أعضاء الأمم المتحدة وحدهم. ونحن ندرك، أننا لا نسمع هنا إلا صوتنا، دون ان يكون لنا حق الاقتراع، ولكننا من الناحية الفعلية والعملية، بل ومن ناحية مصلحة أمن العالم وسلامه، نظهر هنا بحكم الحق والعدالة، بل بحكم حقنا الواضح الصريح.

فقد ذكر الدكتور ديفيز في عبارة صريحة واضحة، في الخطاب النبيل الذي ألقاه على مسامع لجننتكم الموقرة بالأمس ان (المشكلة اللاجئين الفلسطينيين أثرها في استقرار الشرق الأوسط وسلامه، ومن ثم في استقرار العالم كله وسلامه). هذا ما قاله الدكتور ديفيز، ممثلكم المعتمد في المنطقة، بل وكيحكم

النبيل فيها، بعبارة متزنة واضحة . وإذا صح قوله هذا، وهو صحيح حتماً، إذ لا يتطرق الشك إليه على الإطلاق، فإننا نمثل أمامكم هنا، في هذه اللجنة، لا بحكم حقنا فحسب، بل وبحكم الضرورة المطلقة للحفاظ على السلام والاستقرار لا في المنطقة وحدها، بل وفي العالم أيضاً على حد تعبير الدكتور ديفيز في خطابه بالأمس . فنحن بحكم الواقع، الفريق الرئيسي في القضية، ونحن أعضاء وفد فلسطين، إذ نمثل لأول مرة في الأمم المتحدة في دورتها هذه، نمثل هذا الفريق الرئيسي، أي شعب فلسطين، أصحاب الحق الشرعي في البلاد، وأصحاب الحق الشرعي في الوطن، الذي هو وطن الآباء والأجداد، جيلاً بعد جيل منذ أقدم عصور التاريخ. هذا هو وفد فلسطين، الذي يمثل أمامكم الآن ممثلاً شعب فلسطين .

أجل نحن الفريق الرئيسي في هذه القضية، ولا ريب في أن المصير النهائي لشعب فلسطين، هو الذي سيقدر القضية الرئيسية المعروضة عليكم والناבעة عن هذه المشكلة، وهي الحرب أو اللاحرب، والسلام أو اللاسلام. وسيقرر مصير شعب فلسطين النهائي، ومستقبله، هذه القضية .

ولكن دعوني أذكر لجننتكم الموقرة، بالعبارات الطنانة الرنانة التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، والموجهة إلى جميع الشعوب صغيرها وكبيرها. فقد تضمنت الصفحات الأولى من الميثاق، بل مقدمته، تعهد جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بتطبيق مبدأ التكافؤ في الحقوق وتقرير المصير على جميع الشعوب، كما تعهدت (باحترام الحقوق الإنسانية، والحريات الأساسية للجميع دون تمييز في العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين) وأعرب الميثاق أيضاً عن تصميم الدول الأعضاء على (تأكيد الإيمان بالحقوق الإنسانية

الأساسية، والإيمان بكرامة الإنسان وقيمة الإنسان، وحق جميع الناس المتكافئ من رجال ونساء، مهما كانت الأمم التي ينتمون إليها صغيرة أو كبيرة). وإذا ما أخذنا هذه المبادئ الأساسية بعين الاعتبار، وأحللناها محلها من التقدير، فسيكون من الإجحاف الصارخ بحق العدالة، ان تبحث قضية اللاجئين، دون حضور ممثليهم، او ان ينكر على الشعب الفلسطيني حقه في ان يشترك في بحث قضيته. وقد سمعت هناك من يقول بالأمس أننا لا نمثل أحدا. وأنا لا أشير بقولي هذا إلى أي وفد، ولكن هناك من زعم بأننا لا نمثل أحدا. ولكننا نمثل على الأقل اللاجئين أنفسهم. إذ أين هو شعب فلسطين؟ ومن يمثل شعب فلسطين؟ واني لأود انؤكد لكم، بأننا أعضاء الوفد الفلسطيني، نمثل شعب فلسطين، فنحن هنا بحكم حقنا لا نتيجة عطف او إشفاق. ولو طبق ميثاق الأمم المتحدة في عام 1947 تطبيقا صحيحا، لكننا نحتل الآن مقاعدنا هنا بينكم، كممثلي دولة مستقلة تمام الاستقلال. من الدول الكاملة العضوية في الأمم المتحدة. ولكن لما كان الميثاق قد تعرض للتكرار، فنحن أمامكم هنا كمسترحمين، لا مقعد لنا في صفوفكم، وقد جئنا إلى هنا نتيجة العطف، وان كنا قد جئنا بالفعل، لمصلحة السلام والأمن الدوليين. ونحن نؤكد وجودنا هنا، لأننا العامل الرئيسي الذي يستطيع ان يفرض السلام او الحرب في الشرق الأوسط، وهذا يعتمد أول ما يعتمد على مصير اللاجئين ومستقبلهم بصورة خاصة، وعلى مصير الشعب الفلسطيني ومستقبله بصورة عامة. ولا ريب في ان مستقبل الشرق الأوسط كله، يعتمد عليهم في إقراره، وتخطيطه.

وقد نجرؤ فنقول، ان ليس في وسع الأمم المتحدة ان تقضي وتصدر أحكامها غيابيا. فليس في وسع القاضي، ان يفصل في أية قضية، إذا تغيب

عن حضورها الفريق الشاكي او المتظلم. ومن حقي ان أذكركم بان الأمم المتحدة، هي ارفع محكمة دولية . وكثيرا ما أطلق عليها، وفي هذا ما فيه من حق، اسم (برلمان الإنسان) . ولذا فان من حق الإنسان ان يقرر مصيره في حضوره لا في غيابه . وليس هذا الحق، قاعدة من قواعد الزكانة او ميزة من مزايا الشمول، التي تهدف المنظمة الدولية إلى التميز بها، بل هو قاعدة من القواعد الأولية في العدالة، ولا سيما ان الموضوع المعروض عليكم الآن هو ثمة اعظم ظلم صارخ عرفه تاريخ الإنسان لا مثيل له ولا سابق .

واني لأرجوكم يا سيدي الرئيس، كما أرجو أعضاء اللجنة الموقرة ان تحملوا ما أقوله في خطابي هذا، على انه الصدق بعينه، لا مواربة فيه ولا مبالغة . اجل أيها السادة، ان مأساتنا هي اكثر مأساة في التاريخ مدعاة للألم والأسى، وليس لها من نظير ولا سابق . وقد بين لكم المستر ديفيز في تقريره، ان مصير اللاجئين الفلسطينيين، يؤلف صفحة مؤسفة في التاريخ الإنساني . ولم يصدر مثل هذا القول على لسان عربي . وهو لا يؤلف اتهاما نابعا عن مصادر عربية، بل هو اتهام وحكم موجه من المستر ديفيز الذي يصف مشكلة اللاجئين بأنها صفحة مؤسفة في التاريخ الإنساني . ولكن ترى أي تاريخ ؟ انه ليس تاريخ القرون الوسطى، حيث يتوقع المرء ان يقرأ فيه صفحات مؤلمة مؤسفة، ولا تاريخ القرون القديمة، حيث يتوقع المرء أن يقرأ صفحات مفجعة ولكنه التاريخ الحديث، الذي وقع تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها، وفي أيامها وعصرها . ولا ريب في ان وجود مأساة من هذا النوع والطرز هو في حد ذاته مأساة في حق سلطان الأمم المتحدة، وفي حق ميثاقها الذي ينطوي على ارفع المبادئ والمثل .

ولعل من المفجع حقاً، بل ومن المهين لكرامة الأمم المتحدة وإدراكها، ان يزعم الوفد الإسرائيلي، من فوق منبرها، أن ليس ثمة مشكلة خاصة بفلسطين على الإطلاق . وأنا لا انسب هذا القول إلى الوفد الإسرائيلي، فقد سمعتم أيها السادة، من فوق هذا المنبر بالذات، ممثل إسرائيل، وهو يزن كل كلمة يقولها، عامداً متعمداً، بان ليس ثمة ما يسمى بمشكلة فلسطين . ولعل الحقيقة هي ان هذا التضليل الإسرائيلي المتعمد، هو المفتقر إلى الوجود، إذ ان المستر ديفيز نفسه، أشار إلى مشكلة فلسطين، أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة .

وقد دأبت قضية فلسطين على الظهور بشكل واضح بين المشاكل العالمية في سجلات الأمم المتحدة وتاريخها منذ عام 1947 . وإذا كنتم في حاجة إلى دليل لتفنيد تضليل الوفد الإسرائيلي، فإن هذا الدليل ماثل أمامكم في القضية المعروضة للبحث الآن . ولا ريب في ان اجتماعنا هنا، وفي هذا القاعة في هذا الصباح اليوم، هو الدليل على وجود مشكلة فلسطين . ولو لم تكن هناك مشكلة، لما اجتمعنا هنا في هذه القاعة لبحث قضية اللاجئين، التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من مشكلة فلسطين ذاتها . ولا ريب في أن إنكار وجود المشكلة الفلسطينية هو في حد ذاته زراية بالأمم المتحدة، وهزء بها بل وسخرية دولية لا يمكن للعالم المتحضر ان يتسامح بسماعها . فهناك مشكلة قائمة منذ خمسة عشر عاماً، وهناك مليون ومائتا ألف من اللاجئين يعيشون حياة التشرد في الخيام والمعسكرات بعد ان اقتلعوا من جذورهم في وطنهم وديارهم، وبعد ان سرقت إسرائيل كل ما يملكونه . ولا ريب في ان يجرؤ إنسان على الادعاء بعد كل هذا بعدم وجود ما يسمى بمشكلة فلسطين، هو في رأيي مهزلة ما بعدها من

مهزلة، ولا يمكن للجمعية العامة التسامح بقبولها، لان فيها استهانة صارخة بإدراك الأمم المتحدة نفسها .

فالبند المدرج على جدول الأعمال، يتعلق بمشكلة 1. 210. 710 من اللاجئين الفلسطينيين، طبقا للأرقام التي وضعها الدكتور ديفيز نفسه . وليست المشكلة والحالة هذه مشكلة لاجئين بل مشكلة شعب بأسره يحيا حياة اللجوء . ولكن يبدو أن هذه المأساة الإنسانية هي من التقاها وعدم الأهمية والصغر في عيون إسرائيل، بحيث لا تستحق أن تؤلف بندا للبحث في الأمم المتحدة، ولا تستطيع أن تقيم الدليل على وجود مشكلة تسمى (مشكلة فلسطين) . وكلنا يعرف أن هذه المشكلة قد أثارت حربا في عام 1948 . بكل ما في الحرب من مأسى وشورور، بالإضافة إلى ما أثارته من حرب العدوان الثلاثي في عام 1956، وبالرغم من هذه الحرب، ومن ذلك العدوان، فإن إسرائيل تجد في نفسها الشجاعة، لأن يقف ممثلها من فوق هذا المنبر العالمي، ليعلن أن لا وجود لمشكلة فلسطين .

أما الحقيقة، الحقيقة الصارخة، فهي أن مشكلة فلسطين قائمة في الأمم المتحدة وخارجها، وأن هذه المشكلة ستظل قائمة في الأمم المتحدة وخارجها، إلى أن يعود شعب فلسطين إلى دياره ووطنه .

وليس بدعا، على أي حال، أن تنكر إسرائيل وجود مشكلة فلسطين فان إسرائيل التي اقتلعت شعب فلسطين من أرضه، وسرقت منه وطنه ودياره، وأنكرت عليه حق العودة، تجد من السهل عليها، أن تنكر وجود ما يسمى بمشكلة فلسطين .

وإني لأجد نفسي مضطرا إلى أن أؤكد هنا بشكل قاطع، بأننا سنمثل هنا في الأمم المتحدة، طالما أن قضية فلسطين ستظل قائمة، ومهما كان الشكل أو الصورة التي تظهر فيها . ولا ريب في أنكم تعرفون أن المثل في الأمم المتحدة، هو الإجراء الذي ألفت الأمم المتحدة اتباعه في معالجة جميع المشاكل العالمية . وقد ألفنا أن نسمع في مختلف اللجان، بأن لا مناص من تأكيد مثل الأمم المتحدة في كل مشكلة من المشاكل العالمية . وغدا وجود الأمم المتحدة إجراء دوليا مألوفًا ولذا علينا أن نؤكد وجودنا في هذه المنظمة. وسنواصل المجيء إليها من الباب الذي تدخل إليها منه الشعوب المظلومة إلى أن نستطيع الوصول إليها من باب الدول الأعضاء ذات السيادة الكاملة، بعد أن تصبح فلسطين كلها، مستقلة كل الاستقلال، وذات سيادة كاملة .

وأنا أعرف ان لهذا الحرم العظيم، حرم الأمم المتحدة مدخلين، أحدهما للدول الأعضاء ذات السيادة العاملة والاستقلال التام، وهو المدخل الذي تلجون أنتم منه، وثانيهما للشعوب المضطهدة، والمغلوبة على أمرها، وهو الذي ندخل إليها منه اليوم، والذي طالما دخل منه كثيرون منكم فيما مضى، عندما كانت بلادكم مضطهدة مظلومة . ولقد ولج كثيرون من الساسة في هذه المنظمة، من هذا الباب في الماضي إلى أن تحررت بلادهم، وتحققت لهم الحرية، واعترف العالم بكيانهم الدولي، وتحقق لهم الاستقلال الكامل عن طريق حركات التحرير التي خاضوها، أجل مروا ببوابة الشعوب المضطهدة التي جئنا نحن منها هذه المرة . وكلنا أمل في أننا لن نصل إلى هنا في المستقبل عبر هذه البوابة، بل سننفذ إليها عن طريق البوابة الأخرى التي تأتون منها، كممثلي دولة كاملة

العضوية في الأمم المتحدة، وأن نحتل مقعدنا الكريم بينكم، بعد أن نخلع منه مضطهدنا الذي سرق منا وطننا وديارنا .

وقد لا أجد حاجة لتذكير لجنّتك الموقرة، بأن الوفد الفلسطيني لا يظهر هنا اليوم كما يظهر المشتكون العاديون من أصحاب الدعاوى الذين يمتنون إلى بلاد قد تتمتع أو لا تتمتع بالحكم الذاتي، ونحن لم نأت هنا طالبين تعديل خطأ في مشروع دستور، كما لم نأت هنا طالبين إطلاق سراح بعض مسجونينا السياسيين أو تصحيح بعض القضايا والأوضاع المحلية. ولم نقد هنا طالبين النصفة من مجرد انتهاك لحقوقنا الإنسانية، فقد نظرت هذه المنظمة منذ قيامها في عدد كبير من الشكاوى المتعلقة بانتهاك الحقوق الإنسانية بالنسبة إلى عدد من الأفراد، وأعود فأكرر، إلى عدد من الأفراد ليس إلا، كقضية الكردينال مندنّتي* وقضية الأحد عشر طياراً أمريكياً**. وليس هذان الحادثان إلا مجرد مثلين وددت أن أذكركم بهما، ليس إلا . وتذكرون ولا شك أن الجمعية العامة، أغرقت نفسها بين هاتين الحالتين في مناقشات لاهية، ومجادلات عاطفية . . ومشاورات ملحة، وقد دبّ النشاط ودبت الحماسة في مجلس الأمن مؤخراً، باستثناء بعض أعضائه كالمغرب والاتحاد السوفياتي وفنزويلا، وغيرها، لمجرد مصرع مزارعين إسرائيليين، وتميزت مناقشاته في موضوعهما بالإنارة والحماسة .

* الكردينال مندنّتي المجري، الذي اتهم الاتحاد السوفياتي باضطهاده، فلجأ إلى السفارة الأمريكية في بودابست .

** قضية الطيارين الأمريكيين الذين اعتقلتهم الصين الشعبية.

أما بالنسبة إلى الموضوع الذي نبحثه اليوم، فإني أود أن أردد على مسامعكم، بأن المشكلة لا تتعلق بفرد أو مجموعة من الأفراد، ولا يتعلق هذا الموضوع أيضاً، بمجرد انتهاك عادي للحقوق الإنسانية، والخطر يهدد شعباً بأسره، شعباً من اللاجئين الذين شردوا من وطنهم ووطن آبائهم وأجدادهم، وليست القضية مجرد انتهاك للحقوق الإنسانية بل إنكار مطلق لها، بكل ما في الإنكار من معان وجذور وقواعد، وكانت المشاكل التي عالجناها هنا في الأمم المتحدة، تتعلق بانتهاك الحقوق الإنسانية بالنسبة إلى فرد أو مجموعة أو عدد من الأفراد، أما مشكلتنا اليوم المعروضة أمامكم فليست مجرد انتهاك بل إنكار كامل، وبغي قاطع وافتقار كلي إلى الحقوق الإنسانية بكاملها، ولعل هذا هو سبب خطورة هذه المشكلة التي نعالجها في هذه الدورة من دورات الأمم المتحدة .

وتتعلق القضية بالحق الفطري لكل شعب في أن يعيش في وطنه .
تماماً كما تعيش الأمم المائة والعشرة الأعضاء في هذه المنظمة في أوطانها .
وقد ذكرت هذا الرقم لا نتيجة خطأ أو إدراك أو نسيان، وإنما ذكرته عامداً ومتممداً، وذلك لأننا لا نعترف بإسرائيل، ولا نعترف بوجودها، بل ولا نعترف، كما أوضح لكم المستر ديفيز بالأمس بمنتهى البلاغة والفصاحة بأن لها أي حق، حتى حق الوجود .

وليست هذه هي عواطف الوفد الفلسطيني أعرضها على مسامعكم، وإنما أود أن استرعي انتباهكم إلى تقرير المستر ديفيز، حيث تحدث عن مشاعر شعب الوطن العربي كله بالنسبة إلى وجود إسرائيل، وليس في هذا القول أي اصطناع أو مبالغة، أجل ليس في هذا الحديث من المستر ديفيز أي

زيف . فقد قال بعبارة واضحة جلية، أن الشعب العربي كله، لا مجرد ساسته أو لاجئيه، ولا شعب فلسطين بمفرده، بل الشعب العربي بمختلف فئاته وطبقاته في وطنه الممتد من المغرب غربا إلى الكويت شرقا، يشترك في شعور عميق من السخط والمرارة، بالنسبة إلى وجود إسرائيل وإلى حقها في الاستمرار والبقاء، هذه هي خلاصة تقرير المستر ديفيز وزيدته . وهو رجل لا يعيش كما يعيش أعضاء لجنة التوفيق، وراء أبواب مغلقة في الطبقة الثامنة والثلاثين أو الثانية والثلاثين من مبنى الأمم المتحدة . إنه رجل عاش المشكلة، وتحدث إلى أصحابها وأهلها في معسكراتهم، وقد عاشها بقلبه، ثم جاء إليكم هنا، ليقول لكم بمنتهى الوضوح، أنها مشكلة شعب بأسره، لا مشكلة عدد من الموظفين، حقا إنها النتائج التي وصل إليها رجل نبيل، ينظر إلى الأمور نظرة موضوعية لا النتائج التي توصلت إليها لجنة التوفيق التي تعيش مجمدة هنا، لا حراك فيها، في طابق من طوابق الأمم المتحدة، لنقدم إلى الجمعية العامة تقريرها الذي تسميه (تقرير العمل)، ومن المذهل حقا أن يحمل هذا التقرير مثل هذه التسمية، إذ من الزاوية بالأمم المتحدة نفسها أن تسمي اللجنة تقريرها (بالتقرير الواحد والعشرين عن أعمال اللجنة)، وهذا يعنى أن اللجنة قدمت عشرين تقريراً قبله عن أعمالها، ولكن من حقنا أن نتساءل عن العمل الذي حققته في تقاريرها هذه . .

أو ليست هذه مهزلة ؟ فاللجنة قائمة بموجب القرار الذي اتخذته الجمعية العامة في عام 1948 للنظر في موضوع اللاجئين، وقد قدمت حتى الآن واحدا وعشرين تقريراً عن أعمالها، زعمت فيها التقدم في العمل وإنني لأعتقد أن الواجب يدعو إلى تصحيح هذه التسمية، وليس من حقي هنا، أن أقترح تعديلاً للتسمية، فأنا لا أمثل دولة هنا، ولكن من حقي أن أقول ان التقرير يجب أن يسمى على

النحو . . (التقرير الواحد والعشرون عن فشل لجنة التوفيق) لا عن عملها أو تقدمها، ولا ريب في أننا نمتهن عبارة (التقدم) من جذورها وفي كل مضامينها ومعانيها، عندما نزع أن هذا التقرير الواحد والعشرين عن تقدم اللجنة في عملها، ولو تمكنت اللجنة في كل تقرير من تقاريرها أن تذكر نجاحها في إعادة لاجئ واحد إلى وطنه، لقلت أمام هذا الحفل، بأن واحدا وعشرين لاجئا من لاجئينا، قد أعيدوا إلى ديارهم، بفضل ما بذلته لجنة التوفيق من جهود .

وقد طلبت الفقرة الحادية عشرة من قرار الجمعية العامة رقم 194 (3) في لجنة التوفيق منذ عام 1948 أن (تسهل أمر العودة للاجئين) سواء أرادت إسرائيل أم لم ترد . وهاهي اللجنة تظهر أمام اللجنة العامة، في هذه الساعة قبل الأخيرة، لتخلق جوا خاصا يتيح للجنة أن تعمل، وأن تزاوّل نشاطها في جو متجمد، لتزعم أنها تقدم إلى الجمعية العامة تقريرها الواحد والعشرين، وإني لذاهل من هذه الجرأة، بل ومن هذه الشجاعة، هنا في الأمم المتحدة، حيث يفهم الناس ما تعنيه كل عبارة من معان واضحة وخفية، إننا لا نفهم هذه الشجاعة، وفي متناول أيدينا، هنا في مكتبة الأمم المتحدة، معاجم نستطيع أن نعثر فيها على ما تعنيه كلمة (التقدم) والنجاح .

حقا انه لشيء مؤسف، أن تزعم وكالة من وكالات الأمم المتحدة أن أعمالها التوفيقية في غضون السنوات الخمس عشرة الماضية، كانت ناجحة . من حقها أن تدعي النجاح، ولكنه النجاح في الفشل وخيبة الأمل، وقد اتفق مع اللجنة في تسميتها هذه، ولكنني أضيف بأنها نجحت في الفشل بل وفي تحقيق

التدهور واليأس . هذا هو نجاحها كما نفهمه نحن وليس ثمة أي معنى آخر نستطيع أن نفهمه، وليس من حق هذه الهيئة، أن تجد أي معنى آخر . ونحن نؤكد وجودنا هنا في الأمم المتحدة، على ضوء طبيعة المشكلة كحق لنا، وكإسهام في خدمة العدالة الدولية، واملءات السلام والاستقرار العالميين، وإذا ما وضعنا ميثاق الأمم المتحدة أمامنا كالشرعة الدولية السامية، فإن من حقنا المقدس ان نسمع صوتنا، وان واجبكم المقدس في أن تصغوا لما نقول .

والنقطة الثانية التي أود عرضها على مسامعكم، هي بيان حقيقة هذا الوفد الفلسطيني المائل أمامكم، لأنها نقطة أثّرت بالأمس، فما هو هذا الوفد يا ترى ؟ لا ريب في أن كلمة واحدة أو كلمتين، في هذا الصدد تكفيان لإعطائكم فكرة أفضل عما يعنيه تقرير المستر ديفيز، وعما عناه في بيانه الذي ألقاه على مسامعكم بالأمس، إذ أن الطريقة التي ألف فيها هذا الوفد، وطبيعة أعضائه تمثل تمثيلا حيا خلاصة تقرير المستر ديفيز .

لن أبدأ بالإشارة إلى نفسي، إذ أنني لست بالوفد حديثا إلى الأمم المتحدة، فقد عملت كرئيس للوفد السوري عدة سنوات، كما عملت رئيسا للوفد السعودي سنوات عدة أخرى، ويشغل صديقي بل أخوي، هذين المقعدين الآن .

وكنتم دائم الحديث عن نفسي كلاجئ من اللاجئين، وهأنذا أتحدث الآن لاجئا من اللاجئين، ولا يضيرني مطلقا أن أكون من اللاجئين، ولذا ما كنت أحس قط بالزراية من كشف هذه الحقيقة التي لا أخجل منها، أما العار والخجل، فهما من نصيب الدول الاستعمارية التي جعلت مني ومن موطني أمة من

اللاجئين، ومن حقي الآن أن انتقل إلى الحديث عن بقية زملائي من أعضاء الوفد .

وعلي أولاً أن أوضح إلى اللجنة أنهم جميعاً من الفلسطينيين بلحمهم ودمهم وعظامهم وأعصابهم، أنهم فلسطينيون في كل شيء فقد ولدوا في الأرض المقدسة، ونشأوا على ثراها، لأنها أرض آبائهم وأجدادهم مذ وعى التاريخ نفسه، وفي وسع اللجنة أن تتق من أنهم ليسوا من المهاجرين الذين وفدوا إلى البلاد بحماية حراب الإنجليز، وعلي أيضاً أنؤكد للجنة، بأن زملائي ليسوا غرباء عن الأرض ولا عن أهلها، أو مستعمرين جاءوا من كل زاوية من زوايا المعمورة، يحيط بهم طوفان من المساعدات المالية الأمريكية، لا وألف لا . إنهم مواطنون شرعيون في فلسطين، تشدهم جذورهم إلى ثراها، وتربطهم حياتهم إلى تاريخها . فالمساكن التي يقيمون فيها ملك لهم، وإنني لأود من اللجنة أن تفهم ما أعنيه بأنها (ملك لهم) .

ومزارعهم ملك لهم، وقد زرعوا هم بساتينهم وبياراتهم، وكانوا هم وأباؤهم وأجدادهم، الذين أقاموا ما في بلادهم من مساجد وكنائس، وقد أقاموا مدنهم وقراهم بكدهم وعرق جبينهم، وبكد أسلافهم وعرق جبينهم، أجل إنهم لم ينزعوا من أي شخص ما يملك، ولم يسرقوا أحداً ماله، ولكننا كنا ضحايا أفطع سلب وسرقة عرفهما التاريخ، ولن أسمى السارق، فهو أشهر من أن يعرف، ولن أطلب إدانته إذ أن النبي العظيم موسى، قد أدانه عندما خاطبه بقوله : (عليك ألا تسرق جارك، والا أدنتك بقولك) .

وينتمي زملائي من ناحية مساكنهم، إلى أماكن متفرقة من فلسطين فبعضهم جاء من القدس، حيث توجد كنيسة القيامة، ويوجد المسجد الأقصى،

شاهدين حيين على الأخوة القومية بين المسلمين والنصارى في فلسطين، وهي أخوة تتعكس في تشكيل وفدنا، وقد جاء بعضهم من الجليل، ولا ريب في أنكم جميعا تعرفون ما هو الجليل، ولا سيما إذا كنتم قد تعلمتم (الإنجيل) في مدارسكم وأنتم صغار، إنكم تعرفون ما يعنيه الجليل وقداسة الجليل، الذي شهد معجزات السيد المسيح، وجاء بعضهم من الجنوب من المناطق الواقعة على طرق الحجج العريقة التي تؤدي إلى الأماكن المقدسة في مكة، وجاء بعضهم من الساحل، ملتقى الطرق القديمة التي تربط قارات العالم الثلاث، أجل جننا جميعا من فلسطين، لأننا من أهلها، في حاضرتنا وفي مستقبلنا . وقد تبدلت إقامة الكثيرين منا بعد عام 1948، وتبدلت عناويننا، وحصل الكثيرون منا على هويات جديدة . وجوازات سفر أخرى، وزاول الكثيرون منا مهنا وطرائق في الحياة غير التي كنا نزاولها، وبين زملائي سيدتان بارزتان لهما شأنهما في الحركة النسائية، فهما اثنتان، ولكنهما أكثر من اثنتين . . وبين زملائي وزير سابق، وأعضاء في البرلمان، ونقيب للمحامين ومزارع وملاك وطبيب ورئيس بلدية ومحام في لندن، جاء إلينا منها مباشرة، ومع ذلك فنحن فلسطينيون، وسنظل فلسطينيين في كل شيء، سنظل لاجئين، وإن كان القدر قد شاء لنا ألا نكون في عداد اللاجئين الذين ترعاهم القوائم المستر ديفيز .

ولعل هذا هو الشيء الوحيد الذي يميز أعضاء الوفد الفلسطيني في تشكيله الحالي عن المليون والمائتي ألف من اللاجئين الذين يعيشون في معسكراتهم، فنحن جميعا من اللاجئين الذين يحملون نفس الأهداف القومية، والذين يستبد بهم الحنين إلى وطنهم وديارهم، ولا يفرقنا عن الآخرين سوى شيء واحد، وهو أننا لا نعيش على مساعدات المستر ديفيز أي على الإحسان

الدولي، فنحن ما نزال نعتز بكرامتنا ولا نعيش على الإحسان، ولكن هذا شأن القدر، ولو شاء غير هذا، لكننا نعيش على صدقات المستر ديفيز، في المخيمات، عاجزين عن إسماع أصواتنا إلى هذه اللجنة، أجل شاء القدر الا تضمنا قوائم المساعدات، ولكن على اللجنة أن تتق من أن أهدافنا واهداف الآخرين واحدة، إنها التصميم الذي لا يتطرق إليه وهن على العودة إلى وطننا وديارنا في شرف وعزة وكرامة .

ويمت أعضاء الوفد الفلسطيني إلى الفلسطينيين في الأردن وفي غزة، وفي سورية ولبنان وليبيا والأمريكتين الشمالية والجنوبية . وبالرغم من أننا جئنا من بلاد مختلفة يضمها الوطن العربي، إلا أننا نؤلف شيئاً واحداً، فنحن رجل واحد، كرس نفسه لفلسطين حتى آخر نبضة في عروقه، وها هو شأن كل مواطن من مواطنينا، سواء أكان يعيش في الخيام أم في المعسكرات، في الكهوف أم في المدن والقرى .

إننا نعد عشرين رجلاً، وهو عدد كبير بالنسبة إلى أي وفد، ولكن هذه أيضاً ظاهرة غريبة، تتسم بها المأساة التي نعيشها جميعاً، إنها ناحية أخرى من نواحي المأساة، بل الكارثة التي وصلنا إليها، فقد تفرق أهلنا في كل صقع وزاوية من الوطن العربي، وبات التمثيل الواسع النطاق، ضروريا ليتفق مع توزعنا الواسع على الأرض العربية .

ولكن، وبالرغم من تفرقنا جئنا وفداً واحداً، يمثل شعباً واحداً، هو شعب فلسطين، الحرة لا المجزأة، المستقلة لا المقسمة، وهنا يكمن الحل . الحل الصحيح لمشكل لاجئي فلسطين، انه الحل الذي يقوم على وحدة الأرض

المقدسة، واني لأصر على وحدة الأرض المقدسة لأنها تفقد قداستها إذا جُزئت،
فالقداسة لا تجزأ .

وعندما أتحدث عن الوطن والديار، فإنني لا آتي بشيء جديد على البند
المدرج على جدول الأعمال، ولا أحاول أن أقحم قضايا لا علاقة لها بموضوع
البحث، فالوطن والديار عبارات تؤلف المعالم الأساسية لتقرير المستر ديفيز
المدير العام للوكالة الدولية المعروض الآن للبحث في هذه اللجنة، وقد أشار
المستر ديفيز إلى الظلم الفظيع الذي حاق باللاجئين من جراء فقدهم لوطنهم
وديارهم، وهكذا فإن ضياع الوطن والديار هو لباب المشكلة التي تبحثها
اللجنة، أما الغوث والمأوى والتعليم المهني والخدمات الطبية والرعاية
الاجتماعية، فكلها فروع للمشكلة وإن كانت ضرورية لحياة اللاجئين اليومية، إنها
الجوانب الهامشية للمشكلة، أما اللباب، والجوهر، والأساس، فهو الديار للأفراد،
والوطن للشعب . هذه هي المشكلة الحقيقية التي تواجه اللجنة، بل هذه هي
القضية الحقيقية التي واجهت الأمم المتحدة منذ تعرضت لبحث هذه المشكلة،
وفي وسعك أن تتيقن يا سيدي الرئيس أنها ستظل القضية البارزة أمام الأمم
المتحدة إلى أن يعود اللاجئين إلى ديارهم وأوطانهم، ولا ريب في أنها كانت
السبب الذي حفز المستر ديفيز على أن يقول في تقريره : (وما زالت الصورة
التي رسمت في التقارير السنوية للسنوات الأربع الماضية عن حالة اللاجئين
وأوضاعهم وأفكارهم وعواطفهم، واحدة، لم تتغير على الإطلاق) .

ولا ريب في أن هذه الكلمات التي صدرت عن المستر ديفيز في صيغة
عامة، تنطوي على نفاذ الصبر، وقد أعرب المستر ديفيز عن نفاذ صبره إلى
الجمعية العامة بالأمس عندما أعلن استقالته من منصبه .

ولا تعني هذه الاستقالة أن المستر ديفيز قد حقق رسالته وبغيته فنحن نعرف، أن في الإمكان إنهاء عمل أية وكالة، عندما تحقق الغاية التي ألفت من أجلها وتؤدي رسالتها، لكن استقالة المستر ديفيز لم تكن ثمرة عمل تحقق أو مهمة استكملت، أنها وليدة نفاذ الصبر، ولكن لم هذا النفاذ ؟ وما الذي حمل صبر المستر ديفيز على أن يفرغ ؟ إن هناك أسبابا عدة لا يستطيع هو البوح بها، ولكن في وسعنا نحن، أبناء فلسطين، أن نبحث في عقل المستر ديفيز وقلبه، لنعثر على السبب في فروغ صبره بعد الخدمات النبيلة التي قدمها طوال خمس سنوات متعاقبة وقد جاء إلى الجمعية العامة فارغ الصبر ليعلن استقالته . إنها ليست بالاستقالة الناجمة عن الرضا بإكمال الرسالة، بل الاستقالة الناجمة عن اليأس من أدائها . إنها ليست ناجمة عن تحقيق تقدم أو نجاح، كما تزعم لجنة التوفيق، بل ناجمة عن الفشل، والفشل المستمر، وهل لي أن أقول بأن المستر ديفيز قد أعرب في تقريره عن نفاذ صبره . . في وسعنا أن نتيقن من ملله من البيان الذي ألقاه بالأمس، أجل لقد مل وأصابه السأم من القضية التي أوكلت إليه .

ولعل هذا هو السبب الذي دفعه إلى أن يحيلكم إلى تقاريره الأربعة السابقة جامعا إياها بعضها إلى بعض، ونحن نشعر بأن المستر ديفيز، قد ثار على تحدي إسرائيل، بل على تحديها الدائم المستمر .

وفي الوقت الذي أحالكم ديفيز فيه إلى تقاريره السابقة وراح يوجه إلى هذه الجمعية إنذارا مرعبا، إنه إنذار نهائي، يوجهه قبل أن يتخلى عن العمل، وقد أراح ضميره، واستقل برأيه، أجل لقد قرر أن يوجه إنذارا مقتضبا إليكم في بضع كلمات، ليقول لكم أن قضية اللاجئين الفلسطينيين هي اليوم أكثر تعقيدا

من أي يوم مضى، فبعد خمسة عشر عاما من الجهود المضنية التي بذلها المستر ديفيز وأسلافه الكرام من أمثال لابويس وبلاننفورد وغيرهما، يقف المستر ديفيز أمامكم ليعلن أن المشكلة أكثر تعقيدا من أي يوم مضى .

هذا هو الإنذار النهائي الموجه إلى الجمعية العامة، وهو إنذار يجعل من بيان لجنة التوفيق، التي ادعت أن المشكلة تسير في طريق الحل، وأن المحادثات التي أجرتها على أرفع المستويات ما زالت تسير في طريقها وفي أجواء طيبة للغاية، يجعلها أمرا مضحكا ومثيرا للسخرية، فقد نفى المستر ديفيز هذه الادعاءات عندما أعلن في إنذاره، أن المشكلة أعقد اليوم من أي وقت مضى، وكان أكرم بلجنة التوفيق وأشرف لها، لو أنها سارت على غرار نزاهة المستر ديفيز وصدقه، ولو أنها جاءت إليكم هنا لتقول ان المشكلة أكثر تعقيدا من أي وقت سبق، ولو أنها قالت لكم بأن السبب في هذا التعقيد، هو تحدي إسرائيل وغرورها، لأنها تتجاهل تنفيذ قرارات الجمعية العامة، التي أكدت سنة بعد سنة، طيلة خمسة عشر عاما ، ولو وقفت لجنة التوفيق هذا الموقف، لكان ذلك أكثر انسجاما منها مع روح الأمم المتحدة، وكان حريا بها أن تحذو حذو المستر ديفيز وأن تأتي إليكم لتقول.. فشلنا . . وكان فشلنا ناجما عن عصيان إسرائيل المتعمد والمستمر، وعن رفضها قبول المبادئ التي انطوى عليها قرار الأمم المتحدة بإعادة اللاجئين .

ولا ريب في أنكم تذكرون أن لجنة التوفيق كانت قد أوضحت في الفقرة الثالثة عشرة من تقريرها الثالث، بأن إسرائيل رفضت مبدأ العودة رفضا باتا، ولكن هذه اللجنة ذاتها، تأتي بعد خمسة عشر عاما من قولها هذا، فتعلن على مسامعكم بأن كل شيء هادئ على الجبهة الغربية، أو هذه دبلوماسية الهدوء

التي دعت إلى القول بهدوء الجبهة الغربية ؟ ولكني لا أعرف أية جبهة تعنيها،
أهي في الغرب أم في الشرق أم في مكان آخر في أجواء الفضاء ؟.
ولا ريب في أن هذه الأقوال التي اقتبسها من تقرير المستر ديفيز توضح
لكم بجلاء ما بعده جلاء، بأن المشكلة المعروضة عليكم، هي مشكلة وطن
وديار قبل كل شيء، فهي في جوهرها ليست مشكلة مؤن توزع، إنها ليست
مشكلة سكر أو صابون أو زيت أو لاجئين، إنها مشكلة وجودنا القومي، إنها
مشكلة وجود أو عدم وجود قبل كل شيء .

هذا هو لباب تقرير المستر ديفيز، وأرى لزاما علي أن أعلن هنا،
وبصوت جهوري على مسامع الوفد الأمريكي، بأن المستر ديفيز واحد من قلائل
من الشخصيات الأمريكية العامة الذين يقاومون الضغط الصهيوني بعزيمة
صادقة، وإصرار ثابت محتفظين بحقهم في أن يقولوا ويعملوا بوحى أفكارهم
المستقلة وموضوعيتهم الحرة .

وعندما أقول هذا، أنا لا أعني شعب الولايات المتحدة، حتى ولا أولئك
الجالسين أمامي في الشرفة يتابعون مناقشات هذه اللجنة والذين سمحوا لأنفسهم
بأن يضحكوا من قلبي هذا، فنحن لا نشكو شيئا من شعب الولايات المتحدة لأن
هذا الشعب يستحق إعجابنا لكرمه وتسامحه وعدالته، ولكننا نشكو من سياسة
الولايات المتحدة، فعندما نستمع إلى ما يقال في اذاعاتها، ونشهد ما يقال على
شاشات تلفزيونها، وعندما نقرأ ما تقوله صحافتها، وما يصدر عن شيوخها
ونوابها وحكام ولاياتها من أقوال هنا، في الولايات المتحدة، ولا سيما ما يتعلق
منها بموضوع اللاجئين، وبما يدور في الجمعية العامة من مناقشات يخيل إلينا،
أن إسرائيل قد انتقلت إلى هنا، وأنها عبرت المحيطات، لتستقر هنا في نيويورك

. هذا هو الانطباع الذي يتولد لدينا، عندما نستمع إلى كل هذه الدعايات الجوفاء، بكل ما فيها من جلبلة وصخب، وإلى هذه البيانات تصدر من هنا وهناك، عن مختلف الأحزاب، وعن مجلسي النواب والشيوخ متحدية الناحية الإنسانية في مشكلة اللاجئين، إنها تخلق جوا من المرارة وخيبة الأمل، يجعل شعب فلسطين، ينكر أن هذه هي أرض الولايات المتحدة، ويؤمن بأنها إسرائيل، انزلت عبر المحيطات لتستقر هنا وتقيم مقرها الرئيسي في نيويورك على مقربة من حرم الأمم المتحدة، ولا ريب في أنها رحمة الله وحده، هي التي أتاحت لنا مكانا هنا له حصانته ومناعته وامتيازاته، حتى بالنسبة إلى المتوسلين المستدعين من غير أعضاء الأمم المتحدة، أجل إنها رحمة الله أقامت على هذه الضفة من النهر، هذا الحرم الدولي، حيث نستطيع أن نعبر عما نفكر فيه بحرية، وإن حالت الإذاعة والتلفزيون والصحافة دون نشره في اليوم التالي، وإن شوهمه رجال مجلسي الشيوخ والكونجرس، متكرين للاجئين في صراعهم من أجل الحياة، ومن أجل قضيتهم القومية.

هذه هي الحقيقة، الحقيقة التي يجب أن تقال هنا في برلمان الإنسان إذ إنه المكان الوحيد الذي يستطيع فيه اللاجئين أن يبسطوا قضيتهم وأن يقولوا كل ما يجول في ضمائرهم وخواطرهم، وليس ثمة من أعضاء في الكونجرس، يستطيع اللاجئين الاتصال بهم، وليس لهم شيوخ (أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي) يتحدثون إليهم . وليس لهم أمثال المستر ترومان الذي قال ذات يوم، بأن ليس ثمة عرب في دائرته الانتخابية، أجل ليس لنا إلا هذه الأمم المتحدة، هذا العالم المتحضر، ونحن نؤمن بالمجتمع الدولي، الذي لابد أن يرى العدالة مع مضي الزمن، ويزيل الظلم الذي أحاق بشعبنا وجعلنا شعبا من اللاجئين،

أجل شعباً بأسره من اللاجئين، ومن الزرارية بالإنسانية في عصر الأمم المتحدة، أن يقتلع شعب بكامله من جذوره في وطنه، وأن يظل هذا الشعب خمسة عشر عاماً ينادي مطالباً بالعودة، وأن تؤكد الجمعية العامة سنة بعد سنة ودورة بعد أخرى، حقه في العودة، دون أية عودة وأن يظل هذا الشعب يعيش حياة التشرد والإبعاد، إنها جريمة لا يمكن أن تقع في عصر الأمم المتحدة .

وليس في حاجة إلى أن اعرض على مسامعكم سلسلة من السوابق في فقه القانون لأؤكد حقنا في الحياة، فمن حقنا أن نعيش كحقكم أنتم في العيش، وليس ثمة من تمييز في عالمنا اليوم، بين الشعوب صغيرها وكبيرها، ولا يمكن أن تكون ثمة تفرقة على أساس الجنس أو الدين أو اللغة، ويجب ألا تكون آسيويتنا أو فلسطينيتنا، سبباً في أن نحرم من الوجود، وإن يضمن علينا بحقنا في الحياة داخل وطننا .

أجل لن أعرض على مسامعكم سلسلة طويلة من السوابق والشواهد القانونية لأؤكد حقنا في الوجود، حقنا في الحياة، حقنا في العيش في وطننا وديارنا، ودعوني أذكركم أيها السادة، أن فكرة الوطن، هي أقدم فكرة في العالم، وأكثرها عراقية، فقد كان للإنسان وهو في عصر الوحشية البدائية بيت يسكنه في جذع شجرة، أو يحفره في قلب الصخور، أو كهف يلجأ إليه، إنها أكثر الأفكار عراقية في التاريخ، يعود عهدها إلى عصور أقدم من الحضارة ومن عصابة الأمم المتحدة، إذ كان لكل إنسان الحق في أن يعيش في بيته سواء أكان هذا البيت كهفاً أم جذع شجرة، هذه هي الفكرة العريقة، وإننا نطالب بحقنا في أن نعيش في بيوتنا على أرض وطننا .

وكل ما نريده هو أن ننعم في بيوتنا بما تتعمون به في بيوتكم، وأن نمارس في وطننا الحقوق التي تمارسونها في أوطانكم، فنحن نؤلف شعباً كشعوبكم، وكما أكدتم حقكم القوى في تقرير مصيركم، فنحن نتطلع إلى ممارسة حقنا القومي في تقرير مصيرنا، إننا نتطلع إلى ممارسة حقنا، والعدالة شيء لا يمكن تجزئته، ولا يمكن للأمم المتحدة أن تنادي بعدم التمييز في الوقت الذي تطبق فيه التمييز بكل معانيه .

ومن حق الشعب الفلسطيني أن يتمتع كغيره من الشعوب بجميع الحقوق المقدسة التي تضمنها ميثاق الأمم المتحدة، ولا ريب في أن هذا الشمول العالمي، هو ما عناه رجل عظيم، رجل تحبونه كلكم، وتتناقلون كلماته، وكأنها من الأنجيل، رجل اعتبر سلوكه وعمله في الحياة كمرشد عالمي، يوجه الناس إلى سلوكهم البشري، هو جون دون * . عندما قال : كلما مات إنسان شعرت بأني خسرت شيئاً إذ أنني جزء من الإنسانية، ولذا لا تسأل إذا ما سمعت أجراس الكنيسة تقرر حزناً معلنة وفاة إنسان، إذ أنها تعني ضياع شيء منك ، هذه هي الكلمات النبيلة التي أطلقها إنسان نبيل، ولو طبقناها على اللاجئين، لعنت شيئاً مماثلاً . . إذ تصبح على هذا النحو.

* جون دون (1573-1621) شاعر إنجليزي . درس في أوكسفورد وكمبريدج، وكان من أسرة كاثوليكية وحال مذهبه بينه وبين حصوله على الشهادة . درس القانون وتحول إلى البروتستانتية . وقع في مشكلة غرامية في مستهل حياته انتهت به إلى الزواج من حبيبته رغم معارضة أسرته النبيلة. أصبح مقرباً من الملك، وعينه كاهناً لكنيسة القصر الملكي . عرف بالتصوف والميل إلى الروحانيات التي ينبض بها شعره . طبعت قصائده في مجموعات خاصة بها .

(ان كل تشريد لإنسان، تشريد لي، إذ إنني جزء من الإنسانية، ولذا لا تسأل عن الذين توزع عليهم حصص الغذاء، إذ أنها تعطى إليك) .

هذه ليست استعارات بيانية، أو استنتاجات سوداوية . إنها استعارات يمكن أن تتحول إلى واقع في كل زمان ومكان، بل ضد كل أمة من الأمم، وإني لأبتهل إلى الله صادقا، الا يعرض إليها أية أمة من الأمم الممثلة في هذه الندوة . وإذا كان لابد للنظام العالمي من أن يقوم على النزوات، وعلى التحدي، والقوة، فإن كل شعب من الشعوب قد يتعرض لاقتلاع جذوره، واغتصاب ممتلكاته، وطمس بلاده، على حد تعابير المستر ديفيز التي استخدمها في تقريره الموضوع بين أيديكم .

ومن حقي أن أقول لكم جماعة وأفرادا، أنه إذا لم يكن لشعب فلسطين حق في وطنه ودياره، فليس لأي شعب آخر، أي حق في أي شيء، وأنذاك تصبح الحياة الدولية عائمة في محيط من الاضطراب والفوضى . وأستميحكم العذر في بيان الأسباب . .

فلسطين أولا بلد عريق في القدم، وليس بالأرض البكر التي اكتشفها المحدثون من المكتشفين . ولم تكن فلسطين طيلة عهود التاريخ، خالية من الناس، بل كان فيها على الدوام، أهلها وشعبها منذ أقدم عصور التاريخ . ونحن أهل فلسطين مذ وعى التاريخ ذاته . ولو أخذتم سفر الأسفار، وهو الكتاب الذي يستشهد الوفد الإسرائيلي هنا بآياته كثيرا، فإنه يتحدث عن بلادنا على أنها أرض الكنعانيين القادمين من الجزيرة العربية، أجل أرض كنعان التي هاجر إليها من الجزيرة العربية، كما يتحدث عن الوافدين من قدامى العبرانيين على أنهم غرباء وافدون . هذا ما يقوله سفر الأسفار، أي التوراة إذ يقول ما نصه ..

(الأرض التي تعيش فيها غريبا . . هي أرض كنعان)، هذه هي أرض اللاجئين التي يشير إليها المستر ديفيز في تقريره وباستمرار، إشارات تنطوي على العطف والإشفاق الإنساني .

وعاش شعب فلسطين، وهو شعب اللاجئين اليوم، في بلاده العريقة في القدم، مشتركا مع بقية شعوب العالم، في الآلام والمسررات التي تعرضت لها جميع الشعوب في العصور القديمة والوسطى والحديثة . وقد اجتاحت الآشوريون بلادنا، كما اجتاحتها البابليون والعبرانيون والإغريق والرومان والفرس والسلجقة، ثم اجتاحتها أخيرا الأتراك العثمانيون . وهكذا تقلبت عليها الشعوب المحتلة، وتعرضنا للغزوات، ثم صددناها غزوة بعد غزوة . هذا هو تاريخنا، مليء بالغزوات وصد الغزاة وطردهم . وظللنا نحن أهل البلاد، نكتسب الحضارات المختلفة بما تنطوي عليه من ثقافات ولغات وتقاليده، إلى أن خلصنا من كل ذلك كله، لنغدو منذ نحو من ألف وثلاثمائة عام، مجتمعا عربيا نشترك فيه مع بقية أنحاء العالم فيخلق الحضارة العربية والتاريخ العربي . هذا هو سجل فلسطين، وتاريخ شعب فلسطين .

وعلى المرء عندما يستمع إلى إشارة المستر ديفيز إلى مشاعر اللاجئين النابضة بالألم، ومشاعر شعب فلسطين والشعب العربي كله بصورة عامة، أن يزن ما في المنطقة من مشاعر الألم والسخط . وإني لأود أن أقول أن عبارتي الألم والسخط لا تكفيان لوصف ما يحس به الشعب العربي من مشاعر وعواطف تجاه ما أصاب حياة شعب فلسطين القومية من دمار .

على أي حال، يجب ألا يعتبر إغفالي لذكر الوجود اليهودي في حياة فلسطين، محاولة مني لطمس الحقائق . ففي حياتنا القومية، لم تكن هناك

قضية تتناول كون الإنسان يهوديا أو غير يهودي، فقد كان اليهود من أهل البلاد فلسطينيين كالمسلمين أو المسيحيين . ولم يكن اليهود يؤلفون في فلسطين أو في أي بلد عربي آخر مشكلة من المشاكل . وكانوا يعيشون في فلسطين في إخاء وسلام وازدهار مع غيرهم. ومن حقائق التاريخ البارزة، أنه في الوقت الذي تعرض فيه اليهود للاضطهاد والتقتيل في كل مكان، كانوا يجدون المأوى المضيا في الوطن العربي الذي تؤلف فلسطين جزءا منه .

وقد غدت فلسطين منذ مستهل العصور الوسطى، جنة أمينة يفد إليها المتدينون اليهود، فتفتح لهم ذراعيها لاستقبالهم، ولم تكن ثمة فكرة في إقامة دولة، أو في طرد أهل البلاد، واغتصاب مدنهم وقراهم، وسرقة ممتلكاتهم . وهكذا رحبت فلسطين باليهود آنذاك، تمشيا مع شهامة العرب وحسن ضيافتهم. هذه حقائق تاريخية لا يستطيع أحد إنكارها أو تجاهلها .

وذكر (عباديا) المؤرخ اليهودي المشهور، أن مدينة القدس لم تكن تضم في القرن الخامس عشر أكثر من سبعين أسرة يهودية . هل سمعتم . . سبعون أسرة ليس إلا .

وذكرت لجنة التحقيق الملكية في فلسطين في تقريرها إلى البرلمان البريطاني، أن عدد اليهود في فلسطين كلها في عام 1845 لم يكن ليتجاوز اثني عشر ألفا . ولم تكن هناك في عام 1882 الا مستعمرة يهودية واحدة .

وكان أول من وفد إلى فلسطين من اللاجئين اليهود، نحواً من 1500 شخص جاءوا إليها من المجر وهولنده، ليتلوهم نحو من أربعمئة من ليتوانيا. وظل تدفق الهجرة مستمرا في الزيادة، إلى أن بلغ عدد اليهود في فلسطين نحواً من ستين ألفا، لا يملكون الا اثنين في المائة من أرضها، ويتمتعون بإخاء

الشعب العربي في فلسطين وضيافته وشهامته، هذا هو تدفق الهجرة الذي جعل من فلسطين جنة للاجئين تؤمن المأوى الأمين للمضطهدين اليهود.

ولا يسعني هنا إلا أن انتقض مناقضة صريحة ما ادعاه وفد إسرائيل بالنسبة إلى تدفق اللاجئين اليهود من أوروبا إلى فلسطين أو من فلسطين إلى أوروبا أو من البلاد العربية، وإن أقول: إن اليهود لم يكونوا في البلاد العربية من اللاجئين، وإنما كانوا من المواطنين الذين يقيمون معززين مكرمين في الوطن العربي، تفتح لهم الأذرع والقلوب، ولا يمسهم ضرر أو أذى، إلى أن جاءت الصهيونية فأرغمتهم على الهجرة دون أن يكون ثمة سبب يدعوهم إليها. أجل لم يكن هناك ما يدعو إلى هجرة اليهود من العراق أو سورية أو من الجمهورية العربية المتحدة أو تونس أو المغرب أو أي مكان آخر في الوطن العربي . فقد كانوا يعاملون احسن معاملة تتطوي على الشهامة والخير. ولم يكن هناك الا داع واحد، وهو ظهور الصهيونية التي أخذت تلهب ظهور اليهود بسياتها لا في الوطن العربي فحسب بل وفي العالم كله، داعية إياهم إلى الهجرة . وقد ذكر بن جوريون ذات يوم، بأن كل يهودي يعيش خارج إسرائيل يخالف تعاليم دينه اليهودي، وبعبارة أخرى أن كل يهودي يعيش خارج إسرائيل، لا يعتبر يهوديا . ولا ريب في أن هذه العقيدة التي تتادي بالهجرة، هي التي حملت يهود الوطن العربي إلى إسرائيل . إذ لم يكن ثمة اضطهاد على الإطلاق . وهنا تكمن السخرية، بل يكمن التضليل وتشويه الحقائق، فقد كان في بعض البلاد العربية وزراء من اليهود، وكان منهم النواب ورجال الصحافة، وكنت ترى لليهود مكانا في كل درب من دروب الحياة العامة، ومازال لبعضهم حتى اليوم مثل هذا

المكان، ولكن إسرائيل اضطهدت هؤلاء اليهود العرب، لتدفعهم إلى الهجرة إلى إسرائيل .

ولم تكن ثمة حاجة إلى هذين التيارين للهجرة، فقد اصطنعت إسرائيل أحدهما، أما التيار الآخر، التيار المفجع الذي ولده الإرهاب وسفك الدماء، فهو تيار هجرة اللاجئين العرب وخروجهم الجماعي من فلسطين، ليعيشوا حياة التشرد واللجوء في الخارج . وهذا هو التيار الحقيقي الوحيد .

وإني لأعود فأؤكد أن اليهود نعموا بأخوة العرب دائما، إذ أن المستر بن جوريون الذي ظل رئيسا لوزراء إسرائيل سنوات عدة، والمستر بن زفي الذي كان رئيسا لجمهوريتها قبل آنذاك موته، وكانا من أبرز اليهود في فلسطين في الحرب العالمية الأولى، قد أعربا في أيامها لجمال باشا، القائد العام للقوات التركية في سورية وفلسطين آنذاك، والذي في وسع زميلي ممثل تركيا في هذه اللجنة أن يحدثكم عن أهميته في تاريخ الحرب الأولى والشرق الأوسط، عن اعترافهما بجميل البلاد العربية التي ضمنت المأوى لليهود مئات السنين، وهو جميل لا ينسى . أجل أعرب بن جوريون وبن زفي عن تقديرهما لضيافة العرب التي لا تنسى . ولعل من المؤلم بل ومن سخرية الأقدار وتناقضها، أن يصبح هذان اللاجئين اليهوديان سببا في الهجرة الجماعية للشعب الذي قدم إليهما المأوى والملاذ في الوقت الذي ضمنت عليهما فيه بهذا الملاذ البلاد الأخرى . أجل هنا يمثل التناقض، بل وتمثل المأساة، إذ أن هذين اللاجئين اليهوديين البارزين اللذين آويناها في وطننا، قد أصبحا السبب الرئيسي في دفع شعبنا إلى حياة اللجوء .

وظل اليهود، حتى بعد الغزو الصهيوني لفلسطين في عام 1948، يعيشون أحرارا لا يمسهم ضرر في وطننا العربي، وقد أدرج الحاخام الأمريكي المبريجر في كتابه (على الذين يعرفون أن يقولوا) رسالة تلقاها من يهودي معروف هو المستر الياس كوهين، يقول فيها (أن العرب واليهود ظلوا دائما يتمتعون في هذه البلاد* بالحرية المطلقة، الحرية في دينهم، والحرية في قولهم، والحرية في أعمالهم وتجاريتهم . . اجل لم يشعر اليهود في الواقع قط في هذه البلاد بأي وجود للتفرقة أو اللاسامية) .

ولا ريب في أن هذا البيان الصادر عن الحاخام بيرجر، يناقض بصراحة ووضوح، الأكذوبة التي اختلقها الوفد الإسرائيلي، والتي زعم فيها وجود هجرة متدفقة لليهود من الوطن العربي إلى إسرائيل .

وقد أثرت هذه الموضوعات يا سيدي الرئيس لا لاستدر عطفكم او استنير إشفافكم على اللاجئين، بل لأوضح السبب في مشاعر الألم والسخط عند اللاجئين، التي أشار إليها المدير العام لوكالة الإغاثة الدولية . اننا لم نأت إلى هنا لنستدر الرحمة أو نطلب الإحسان، وإنما جئنا نطالب بحقنا الطبيعي في العودة إلى وطننا وديارنا . وإذا كنا سنعجز عن استعادة وطننا عن طريق الأمم المتحدة، أو خارجها، فنحن لا نستحق هذا الوطن أبدا، كما لا نستحق نحن شعب فلسطين بل الشعب العربي قاطبة الوجود أيضا .

وإني لأتحدث في هذه اللهجة العاطفية، إذ أن هذا هو أقل ما يمكن من الانعكاس الإنساني لهذا الإجحاف الصارخ الكبير الذي لحق بشعب بأسره والذي لا يوازيه أي إجحاف مماثل في تاريخ الإنسانية .

* المقصود بالبلاد هنا - الجمهورية العربية المتحدة .

وقد أقرت الأمم المتحدة منذ شرونها في بحث هذه المشكلة وجوب عودة اللاجئين عاما بعد عام ودورة بعد دورة، وقد أشار المستر ديفيز في تقريره المقدم إليكم إلى قرار عام 1948 عن عودة اللاجئين بالعبارة التالية :

(وما زال هذا القرار الذي اتخذ في شهر كانون أول (ديسمبر) عام 1948، والذي أعادت الجمعية العامة تأكيده في دوراتها الأربع عشرة المتعاقبة مفتقرا إلى التنفيذ) .

ولا ريب في أن هذا البيان الموضوعي من جانب المستر ديفيز يعادل الإدانة لا لإسرائيل وحدها، بل وللأمم المتحدة أيضا، وإنني لأجرؤ فأقول : إنه حكم يدين كرامة الأمم المتحدة ويكشف عن حقيقة سلطاتها .

فقد أكدت الأمم المتحدة طيلة الخمس عشرة سنة الماضية قرارها بعودة اللاجئين ولكن لاجئا واحدا لم يعد طيلة هذه المدة إلى وطنه . واستعانت الأمم المتحدة بوسيطها الدولي الكونت برنادوت لتنفيذ قرارها، ولكن الإسرائيليين قتلوه وهو يؤدي مهمته النبيلة في القدس، وعادت المنظمة الدولية فأقامت لجنة التوفيق الدولية، وعهدت إليها بمهمة محددة وهي إعادة اللاجئين، ولكن التقارير الواحدة وعشرين التي قدمتها اللجنة لم تشر إلى أي تقدم، وإنما حسرت النقاب عن موقف العصيان والتمرد الذي تقفه إسرائيل، وأعلنت بصريح العبارة أن إسرائيل ترفض مبدأ العودة ذاته، وليس ثمة من حاجة إلى إقامة الدليل على تحدي إسرائيل، إذ إن سجلات الأمم المتحدة ذاتها طافحة بإنكار إسرائيل على اللاجئين حقهم في العودة وقد أكد المستر ديفيز في تقريره هذا العام بأن (مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ما زالت اليوم أكثر تعقيدا منها في أي يوم مضى) .

وينظر الوفد الفلسطيني ومن ورائه شعب فلسطين إلى هذه القضية نظرة جدية خطيرة ، فليس في وسعنا أن نظل ساكنين ننتظر إلى أجل غير مسمى . وللصبر والاحتمال حدود . كما أن لضبط النفس عند أية أمة حدوده التي لا يمكن تجاوزها . وعندما ينفد صبر إنسان فانه قد ينصرف إلى عمل من أعمال اليأس . وقد علمتنا تجارب الأمم المتحدة ما قد يؤدي إليه اليأس أحيانا من نتائج . ولا ريب في أن الأمم المتحدة، تعي وعيا كاملا هذه الحركات التحررية التي انبثقت وما زالت تنبثق في آسيا وأفريقية .

ومن المتوقع أن تغدو فلسطين مسرحا لحركة تحرير جديدة، وليس من حق أحد أن يدهش من ذلك، لأن فلسطين وطننا ولأن العودة، حقنا الفطري والأصيل .

وأرى من واجبي أن أبين إلى الأمم المتحدة بجلاء ووضوح، أن حقنا في العودة حق طبيعي وأصيل، إنه الحق الإلهي للذين يؤمنون بالله والحق الطبيعي للذين يؤمنون بالطبيعة . وليست العودة ابتكاراً من خلق الجمعية العامة في قراراتها . ولم يكن قرار عام 1948 بالعودة إلا مجرد إعلان عن هذا الحق، واعتراف به، إذ أن حق العودة قائم قبل وجود الأمم المتحدة، كما أن حقنا في وطننا قائم قبل وجود إسرائيل، ومن هنا كانت العودة حقنا الفطري الأصيل، وقد أقمنا في وطننا منذ أجيال لا يعيها عد أو حصر، تسبق وجود إسرائيل . فوجودنا سبق من الناحية الزمنية هذا الوجود اللاشعري لإسرائيل .

ومن حقنا أن نعود دون اشتراطات أو التزامات، حتى ولو لم يكن ثمة قرار بالعودة، صادر من الأمم المتحدة . فمن حقنا أن نعود إلى وطننا، وأن نحيا فيه حياتنا القومية بكرامة وشرف وحرية .

وإذا كان حديثي إليكم ينبض بالألم والسخط، فهذا شيء طبيعي ويتفق مع النفس الإنسانية، وقد أشار المستر ديفيز إشارة بارعة إلى ما نحن فيه من ألم وسخط .

وتحدثت وفود كثيرة من التي تحتل مقاعدها الآن في هذه القاعة، في الماضي بألم وسخط لا يقلان عما نحس به نحن الآن من ألم وسخط . ولكن أيا من أصدقائنا في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لم يمر بالمحنة التي نمر بها، ولا بالبلىة التي أصابتنا. فقد حاربوا دفاعا عن بلادهم وحریتهم ليس إلا وجاء منهم الكثيرون إلى الأمم المتحدة كمتظاهرين ومراقبين، كما نحن اليوم، وسمحت لهم المنظمة الدولية بسماع ما يقولونه كما سمحت لنا، على الرغم من معارضة الدول الاستعمارية واحتجاجها، ولا أغالي إن قلت :إن نحواً من ثمانين دولة من الدول الأعضاء في هذه المنظمة قد انتزعت حريتها انتزاعاً من قبضة المستعمرين . فمشكلتنا إن عدنا بها إلى أصلها وجذورها مشكلة استعمارية، وإن ظهرت في أبشع صورة من صور الاستعمار، أجل إن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ثمرة مشتركة للاستعمار والاستيطان الاستعماري، بكل ما فيها من شرور، وكانت السيطرة الأجنبية تمثل الاستعمار في أفريقية وآسيا، كما كان الاستغلال الأجنبي الدخيل صورته ورمزه . ولكن الشعوب، الشعوب الأصلية ظلت في بلادها، وديارها ومزارعها وأراضيها . ونحن لا ننكر أن إخواننا في آسيا وأفريقية قد تعرضوا لكل أنواع المتاعب وصور التكيل والاضطهاد والتشريد، ولكن شعبنا الأصل في فلسطين اقتلع من جذوره، وانتزعت منه ممتلكاته، وجاء الدخلاء الغرباء، يقذفون به من بلاده تماماً كما فعل المستوطنون الغرباء في آسيا وأفريقية، ولعل هذا هو السبب في أن تكون مشكلة

فلسطين فريدة في طبيعتها، وأن تكون أكثر خطورة من جميع المشاكل الاستعمارية التي واجهت الأمم المتحدة، لا سيما وأن الدعاية الصهيونية القوية التنظيم والغنية بتمويلها، قد حجبت حقائقها عن العيون.

وقد تدهشون أيها السادة من قلبي بأن المشكلة الفلسطينية ثمرة من ثمار الاستعمار، ولكن دهشتكم ستزول عندما تسمعون من إنسان حجة كالسير ونستون تشرشل قولاً يؤكد هذا المخطط الاستعماري الاستيطاني الذي ولد مشكلة اللاجئين، فالسير ونستون تشرشل، هو آخر مهندس حي من بناء الاستعمار والإمبراطورية البريطانية، وأن كان لم يشهد بعد تصفية هذه الإمبراطورية، فهو مازال على قيد الحياة، كما أن بريطانيا العظمى ما زالت على قيد الحياة أيضاً، وقد كتب يقول وهو يرسم الخطوط العريضة لحكمه ومخططه في إقامة الدولة اليهودية.

(وإذا أُتيح لنا في حياتنا، وهو ما سيقع حتماً، أن نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتي الأردن معاً، تقوم تحت حماية التاج البريطاني، وتضم نحواً من ثلاثة ملايين أو أربعة من اليهود، فإننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحقيقية للإمبراطورية البريطانية).

هذه هي لغة الإمبراطورية البريطانية، بل هذا هو صوت الاستعمار والإمبريالية، يصدر عن السير ونستون تشرشل، آخر الاستعماريين في عصرنا الحديث . ولا أرى دليلاً صدق من هذا الدليل، أستطيع تقديمه إلى الجمعية العامة، لأبرهن على أن مشكلة اللاجئين، مشكلة استعمارية، وأنها ليست مجرد ثمرة فرعية بل ثمرة رئيسية من ثمار التحالف بين الصهيونية والاستعمار والإمبريالية، وإذا كان في قول تشرشل هذا من معنى، وهو حافل بالمعاني، فهو

أنه الصورة المجسدة للاستعمار، ولاسيما أنه كان لا بد لهذا الهدف المشين من استيراد ملايين اليهود لا إلى فلسطين وحدها بل إلى ضفتي الأردن معا، من ان ينطوي على مشكلة اللاجئين .

وحري بنا أن نتذكر في هذا الصدد، أن قادة الصهيونية أنفسهم، لم يحاولوا قط إخفاء الحقيقة الواقعة وهي أن الصهيونية حركة استعمارية . وقد عثرنا على قول مدون لشخصية صهيونية بارزة، كان صاحبها يناور وراء كواليس الحكومة البريطانية كما يناور الآن الكثيرون من الصهايين وراء كواليس الكونجرس في الولايات المتحدة، ضمنه رسالة بعث بها إلى دافيد وولفسون، خليفه هرتزل في قيادة الحركة الصهيونية، جاء فيه . . (انني بذلت أقصى ما لدي من جهد لإقناع اللورد ميلنر بأن ما يسميه بالاستعمار، ليس إلا الصهيونية بعينها) .

أوليس هذا اعترافا من شخصية صهيونية بارزة، بأن الصهيونية هي الاستعمار بعينه وبأنه يبذل قصارى جهده لإقناع اللورد ميلنر بأن الاستعمار والصهيونية صنوان يسيران جنبا إلى جنب، ولا يعتبر هذا القول مجرد دليل، بل هو اعتراف صريح وواضح بأن الصهيونية والاستعمار يؤلفان جانبي القطعة النقدية الواحدة، وقد فصل الدكتور وايزمن هذه الفكرة تفصيلا دقيقا، وتؤلف هذه التفاصيل كما ستري يا سيدي الرئيس جذور مشكلة اللاجئين وهي في مرحلتها الجنينية . فقد عثر بين مجموعة وثائق وايزمن في إسرائيل على وثيقة جديدة تظهر لنا أن مقابلة جرت بين الدكتور وايزمن واللورد بلفور في الرابع من كانون أول (ديسمبر) عام 1918، دار فيه الحديث التالي . .

(وقد بينت للورد أن إقامة مجتمع يضم أربعة أو خمسة ملايين من اليهود في فلسطين، سيكون قاعدة اقتصادية كافية، يستطيع اليهود منها أن ينتقلوا بطريق الإشعاع إلى الأجزاء الباقية من الشرق الأدنى، وأن يسهموا إسهاما ضخما في إعادة بناء تلك البلاد التي كانت مزدهرة في يوم من الأيام.. لكن هذا العمل يتطلب أول ما يتطلب تنمية الوطن القومي اليهودي في فلسطين تنمية حرة وغير مقيدة . . بحيث نتمكن من إسكان أربعة ملايين أو خمسة من اليهود في فلسطين في غضون جيل واحد، ونجعل من فلسطين بلادا يهودية في ظل التاج البريطاني . .).

أوليست هذه الأفكار عن الإشعاع إلى الشرق الأوسط، وإعادة بناء بلاده، هي عين أفكار الاستعماري والاستيطان الاستعماري، أوليست تمثل الرسالة المقدسة التي طالما سمعنا الاستعماريين يتحدثون عنها لتبرير استعمارهم لآسيا وأفريقية . إنها لغة الاستعمار والإمبريالية التي طالما سمعها إخواننا في أفريقية وآسيا، ولا ريب في أن استيراد أربعة ملايين أو خمسة ملايين من اليهود إلى هذه البلاد الصغيرة المسماة بفلسطين والتي لا تزيد مساحتها عن عشرة آلاف من الأميال المربعة، فسيجد نفسه مضطرا إلى طرد أهلها الأصليين من بلادهم.

وهذا هو سبب ما نحن فيه الآن . . مليونان من اليهود في فلسطين ومليون من اللاجئين العرب في خارجها، وهذا هو مخطط الدكتور وايزمن، كما حسر عنه النقاب في مجموعة وثائقه مؤخرا .

وبالرغم من أن هجرة العرب الجماعية من فلسطين قد بدأت في عام 1948 كنتيجة للإرهاب اليهودي، فإن مشكلة اللاجئين كانت تقبع هناك منذ أمد

بعيد منتظرة الشروع في التنفيذ، أجل كانت مشكلة متوقعة تختفي وراء الصهيونية، وعندما لاحت الفرصة أخيرا للصهيونية في عام 1948، وقع حادثان في وقت واحد أولهما ظهور إسرائيل وثانيهما ظهور مشكلة اللاجئين، حقا أنها معادلة هندسية يعنى فيها وجود إسرائيل وجود مشكلة اللاجئين، كما يعنى اختفاء إسرائيل اختفاء مشكلة اللاجئين، حقا إنها معادلة هندسية مسرحها الشرق الأوسط بل العالم في مجموعه.

وعلى ضوء هذا لا تشبه مشكلة اللاجئين الفلسطينيين أية مشكلة أخرى للاجئين في العالم، لا من حيث كمها ولا من حيث طبيعتها . فمن ناحية الكم أو العدد يتجاوز عدد لاجئينا نصف أفراد شعبنا، أجل إن أكثر من نصف شعبنا يعيش الآن حياة التشرد واللجوء . وليس ثمة مشكلة أخرى للاجئين في العالم بلغت حدود هذه النسبة، فهم في أي بلد آخر، لا يمثلون أكثر من جزء بسيط من مجموعة السكان حتى في أيام الحربين العالميتين الأولى والثانية .

ولو طبقنا هذه النسبة على بلد آخر يبلغ تعداد سكانه خمسين مليوناً، وهناك عدد من البلاد المشتركة في المنظمة تضم هذا العدد من الناس، فإن مشكلة اللاجئين ستتناول نحواً من خمسة وعشرين مليوناً من الأنفس . وإني لا بهتل إليكم أيها الإخوة أن تتصوروا ضخامة الكارثة وجسامتها . وقد تعمدت ألا اذكر البلاد التي يزيد عدد سكانها على مئات الملايين من الناس . تصوروا لو أن هذه المأساة حلت بشعوبكم لا قدر الله أيها الإخوة، وأنداك ستفهمون لماذا يستبد الحنين واليأس بشعبنا، مصحوبين بالألم والسخط، بل وبالإصرار أيضاً على تحرير وطنهم .

وقد وفد بعض أعضاء هذه اللجنة لحضور الدورة الراهنة ليس إلا، وبعضهم يمثلون بلادهم بصورة دائمة في الأمم المتحدة، ولا ريب في أنهم يدركون ما يعنيه الحنين إلى الوطن . أهيب بهم ان يفكروا بحنينهم إلى بلادهم وبيوتهم وأطفالهم وأصدقائهم وحياتهم هناك في أوطانهم . ولينظروا بعد ذلك إلى ما نحس به من حنين .

لكن سفرتنا ليست بالقصيرة كسفرتكم، فنحن لم ننفذ إلى هنا لحضور هذه الدورة لنعود بعدها إلى بيوتنا . إن رحلتنا قد طالت خمسة عشر عاما ظللنا فيها بعيدين عن بلادنا التي نحبها كل الحب، أجل بلادنا التي جعلناها اجمل ما تكون البلاد، وجنينا ثمارها بعرقنا وكدنا، بلادنا التي ضمناها صلواتنا، وملأناها بكنوز حضارتنا، بلادنا التي خلفنا وراءنا فيها أحداث أحبائنا وآبائنا واخوتنا وكل من هو عزيز علينا، والذين قضوا جميعا نحبهم في تلك الأيام الطيبة .

أنا لا أندب ولا أبكي، أجل أنا لا أندب مصيرنا، ولكني أصور لكم حياة اللاجئين بكل ما فيها من حقائق ووقائع . فالعواطف والأحاسيس، هي في حالتنا لباب الواقع وقلبه النابض بالحقيقة، وأنا لا اشك في أن عواطفكم ستلتهب، لو أنكم لا قدر الله، حرمت من المقاعد التي تحتلونها الآن، وأعطيت لكم مقاعد من الناحية التي نجلس فيها . أما بالنسبة إلى مشكلة اللاجئين، فإني أود أن أقول جهاراً، بأنها تقف على صعيد يختلف تمام الاختلاف عن صعيد أية مشكلة أخرى للاجئين في العالم . وقد ذكر التاريخ أسباباً عدة لمشاكل اللاجئين في مختلف أنحاء العالم . وكانت الحرب دائماً سبباً رئيسياً من أسباب هذه المشاكل، كما كان الاضطهاد الديني والصراع المدني من أسبابها الأخرى .

لكن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين تقف فريدة من نوعها . فقضيتنا تختلف تمام الاختلاف، إنها ليست ثمرة الصراعات الدينية بين اليهود من ناحية والمسيحيين والمسلمين من الناحية الأخرى، وهي أيضا ليست نتيجة صراع اجتماعي أو سياسي . فنحن لا نمثل اليسار كما لا يمثلون هم أيضا اليمين . انها ليست صراعا مذهبيا على القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعقائدية، كما لأنها ليست ثمرة خلافات على الحدود أو صراع مسلح . إنها أكثر من كل هذا وأعمق جذورا .

والعامل الأساسي في وضعنا كلاجئين، هو أننا نفتقر إلى الوجود كشعب . وأنا أقول اننا نفتقر إلى الوجود في رأي أولئك الذين يقبضون بأيديهم على ناحية السلطان في العالم . اجل إننا لا نوجد كشعب في نظرهم، فنحن غير موجودين كشعب عندهم، كما أن بلادنا لا يملكها إنسان، وعندما صدر وعد بلفور في الثاني من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1917 عن الحكومة البريطانية التي وعدت بإقامة وطن قومي لليهود، كانت بريطانيا تقترض أن بلادنا خالية، ليس فيها أحد، وأن لا وجود لشعبنا على الإطلاق . هذا هو المستتبب الذي نشأت فيه مشكلة اللاجئين ونمت . فقد وعدت بريطانيا اليهود بأرض لا تملكها وليست في حيازتها، على حين تجاهلت أن تستشيرنا نحن الذين نملك الأرض ونحوزها . اجل لم يسألنا إنسان رأينا . وقد شكونا وقدمنا احتجاجاتنا بل وثرنا وحاربنا وعد بلفور، ولكن هذا تم وكأن بلادنا من الممتلكات البريطانية وراء البحار التي يمكنها أن تعد بها دون أن تستشير أهلها الشرعيين، أجل فعلت ذلك وكأنها تملك بلادنا أو كأن بلادنا من مجوهرات التاج البريطاني، وهو ما لم نكنه بالفعل . وكان لا بد والحالة هذه أن نصبح من اللاجئين إذ أن

بلادنا اكتظت بحشود الغرباء والدخلاء الذين يمتون إلى كل عنصر وكل عقيدة

وإذا شئنا العدالة فعلياً أن نعتبر وعد بلفور أول تقرير عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين . ولكن تقرير الكونت برنادوت عن مشكلة اللاجئين هو أول تقرير يمكن العثور عليه في وثائق الأمم المتحدة . ولكن قد يكون من الإنصاف بل ومن الشمول، أن نطلب إلى الحكومة البريطانية وإلى سلطات متحفها الوطني حيث توجد النسخة الأصلية لوعد بلفور، نقل هذه الوثيقة المخزية إلى الأمم المتحدة بوصفها الإدارة الأولى التي أدت إلى هذه المسرحية بل المأساة الإنسانية .

وعندما أسهمت الولايات المتحدة في تنفيذ وعد بلفور، فعلت ذلك وهي تفترض أننا لا نوجد كشعب، وقد فعلت ذلك وكأن فلسطين، جزيرة غير مأهولة من الجزر التي تقوم أمام الساحل الأمريكي . وكان من الحتمي والحالة هذه أن نفدو من اللاجئين، إذ لا يمكن للغريب الدخيل أن يستقر في أي بلد إلا إذا أخلاها من أهلها، أو طردهم وأبادهم .

وهكذا فإن بريطانيا العظمى والولايات المتحدة، قد افترضتا أننا غير موجودين عندما تبنتا فكرة إقامة الدولة اليهودية، وشجعتا سياسة الهجرة اليهودية إلى فلسطين دون أن تأبها مطلقاً برغبات سكان البلاد . ولقد دخل إلى فلسطين في عهد الانتداب البريطاني نحو من سبعمائة ألف من اليهود استوردوا بحماية الحراب البريطانية وبمساعدة الدولارات الأمريكية . وليس هذا التدفق في الهجرة بالرغم عن إرادة السكان إلا الغزو الذي لا مثيل له في التاريخ المعاصر . وكان لابد أن نغدو من اللاجئين، إذ أن أحداً لم يكثرث بوجودنا، أجل إننا كنا غير

موجودين بالنسبة إلى الولايات المتحدة أو في نظر الإمبراطورية البريطانية بالرغم مما عرفنا به من بعد نظر ومن قدرة على الرؤية . ومع ذلك فإن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى لم تستطيعا رؤيتنا أو الإحساس بوجودنا .

وعندما اقترحت بريطانيا العظمى، أن تكون يوغندا وطناً قومياً لليهود، وأنا أقول هذا كمجرد ذكرى تاريخية ومع احترامي الزائد وإعجابي بوفد يوغندا وشعبها وحكومتها . احتج مندوبها السامي على قرار حكومته كما احتج المستوطنون الأوروبيون فيها . وقد رفض المشروع، وخلصت يوغندا من هذه الكارثة التي كانت تهددها، ومن ظهور مشكلة للاجئين في بلادها وقد شاءت رحمة الله أن تصبح يوغندا الآن بلداً كاملاً الاستقلال، ودولة كاملة السيادة وإن يمثلها هنا وفد في منتهى الكفاية، وألا تواجهها أية مشكلة خاصة باللاجئين . ولكن رحمة الله وحدها هي التي شاءت أن تنقذ يوغندا من هذه المأساة وتلك الكارثة . وقد جاء وفدها إلى هنا ليحتل مقعده الكريم، بكفاية تامة في الأمم المتحدة.

وقد أكدت هذه النقطة من اللاوجود وافضت في الحديث عنها، لا كشيء تاريخي، أو لدوافع تتعلق بالبحث الأكاديمي، بل لأننا كنا نبدو كأننا غير موجودين حتى أمس القريب . ونحن مازلنا غير موجودين في المجتمع الدولي . وأنا أحدد أمس لأنني أشير إلى التقرير الواحد والعشرين من تقارير لجنة التوفيق الدولية عن تقدمها في عملها .

ولن أتحدث إليكم عما في هذا التقرير من مغالطات إذ أوضح إخواني الفضلاء، ممثلو الدول العربية المضيفة الأربعة لكم أن التقرير طافح بالمغالطات الكبيرة، التي تبلغ من ضخامتها حداً يقضى على كل ما للتقرير من

منزلة ومكانة . وأنا لن أشير إلى هذه المغالطات وإنما أود أن أكتفي بالقول بأننا شعب فلسطين، غير موجودين في نظر لجنة التوفيق الدولية . فقد ذكر تقريرها الموجود بين أيدينا أن الحكومة الأمريكية قد شرعت في محادثات على مستوى عال مع الفرقاء المعنيين الذين حددتهم بأنهم إسرائيل والأردن ولبنان والجمهورية العربية السورية والجمهورية العربية المتحدة .

ولكن أليس من حقنا أن نتساءل عن موضوع هذا التقرير . هل هو موضوع يتعلق بالقنبلة الذرية ؟ أو هل هو موضوع يتعلق بخلافات الحدود بين هذه الدول ؟ أو هل هو موضوع يتعلق بموضوع الخلافات التعاهدية بالنسبة إلى اتفاق دولي ؟ أجل الموضوع يتعلق بهؤلاء الفرقاء أي بين إسرائيل من ناحية وبين الحكومات العربية الأربع من الناحية الأخرى ؟ إنه موضوع فلسطين .

أو ليس من الغريب ألا يؤلف شعب فلسطين في نظر اللجنة فريقا معنيا بالموضوع ؟ فليس في تقرير لجنة التوفيق الدولية ما يشير إلى وجود قضية فلسطين، في حين لا يمكن أن تكون هناك قضية فلسطين إذا لم يكن ثمة شعب فلسطين . أو من الممكن أن تكون هناك قضية لفلسطين إذ لم يكن ثمة شعب لها ؟ وقد شهدنا هنا في الجمعية العامة في غضون السنوات الخمس عشرة الماضية، قضايا عدة كالقضية الجزائرية مثلا . ولكن هناك شعبا جزائريا . وشهدنا قضية الكونجو، وكان لها شعبها أيضا ، وكانت الإشارات توجه مباشرة في كل قضية من أمثال هذه القضايا إلى شعبها المعني بها . ومع هذا فمن الغريب حقا بل ومن المدهش، ألا يكون لشعب فلسطين وجود في نظر لجنة التوفيق .

وأنتم لا تمثلون في هذه المنظمة في عصر الشعوب الذي نعيش فيه
دولا متحدة، بل شعوبا متحدة . وقد أطلق على هذه المنظمة اسم الأمم المتحدة،
ولم تسم بالحكومات أو الدول المتحدة . ومع ذلك فقد تجاهلتنا لجنة التوفيق
الدولية كأمة تمام التجاهل، بل وتجاهلتنا كفريق ذي علاقة . ولكن هل تمثل
إسرائيل فريقا ؟ في وسعى أن أفهم أن تكون الحكومات العربية فرقاء ذات علاقة
إما مباشرة أو قريبة بوصفهم إخوانا ينجدون شعب فلسطين . أجل انهم ذو
علاقة لأنهم إخواننا وأهلنا . وهم ذو علاقة أيضا لأن الموضوع يتصل بأمن
المنطقة التي يعبرون مسئولين عن ضمان استقرارها وأمنها .

أجل في وسعى أن أفهم كيف اعتبرت لجنة التوفيق الحكومات العربية
فرقاء ومعنيين بالمشكلة، ولكني لا أستطيع أن أفهم على الإطلاق كيف تعتبر
إسرائيل فريقا على حين ترى اللجنة أن شعب فلسطين الذي كان يعيش وادعا
في بلده، والذي بات ضحية العدوان والصراع المسلح والاحتلال والطرد
اللامشروع، غير موجود على الإطلاق، إن اللجنة لم تشر إلى هذا الشعب، لا
في قليل ولا في كثير .

ولكن كيف يمكن لكم أن تحلوا المشكلة، إذا لم تأخذوا شعبها بعين
الاعتبار ؟ من الطبيعي أنكم ستعجزون عن حلها من وراء ظهر شعب فلسطين
 . وقد قال لنا تقرير اللجنة أن الولايات المتحدة تعالج الموضوع على مستوى
عال . ترى ما هذا المستوى ؟ إنكم سمعتم أيها السادة من المستر ديفيز بأن
المشكلة ليست قضية سياسية أو قضية لا شأن لشعب فلسطين بها . انها
مشكلة الجماهير، بل مشكلة الشعب بأسره، ولن تؤدي اتصالات المستويات
العالية إلى حلها إلا عندما تحل المشكلة حلا مرضيا لعواطف ثمانين مليوننا من

العرب وأحاسيسهم وأمانهم . ولم يولد بعد ولا يمكن أن يولد ذلك الإنسان الذي يستطيع أن يحل هذه المشكلة دون موافقة شعب فلسطين والشعوب العربية بأسرها .

إنها مجرد سخرية من اللجنة بالأمم المتحدة، إذ أننا نؤلف شعبا قائما. ومن الهزء بالمجتمع الدولي الذي نؤلف جزءا منه، أن يحاول البعض الاتصال بالحكومات العربية من وراء ظهورنا، فنحن على يقين من أن الدول العربية ستدافع عن قضيتنا . ولست أشك لحظة واحدة في أن الحكومات العربية ستبذل قصارى جهدها لتبني قضيتنا . فالأرض أرضنا على أي حال، والبلاد بلادنا والقضية قضيتنا ونحن الفريق الأول المباشر ومن حقنا أن نقبل أو نرفض.

وقد أذهلني والحق يقال أن أجد عبارة (المحادثات الهادئة) عند قراءة السطور وما بين السطور . فما هو الحل النهائي لمشكلة اللاجئين ؟ وإلام تهدف ؟ وما الغاية منها ؟ ولكن التقرير نفسه يقول ان هذه (المحادثات الهادئة) تهدف إلى العثور على (طبيعة الحل النهائي) لمشكلة اللاجئين . ولكنها مأساة تنطوي على مهزلة في الواقع . وليس في إمكاني أن أفهم كيف تستطيع لجنة التوفيق أن تتحدث بعد خمسة عشر عاما في تقريرها عن البحث عن حل نهائي لمشكلة اللاجئين، قد يستغرق منها خمسة عشر عاما أخرى، مع أن الأمم المتحدة قد قررت هذا الحل منذ عام 1948 . فهل تهدف اللجنة إلى العثور على حل مزدوج ؟ وهل انحرفت اللجنة عن صلاحيتها والمهمة الموكولة إليها ؟ وهل تنكرت لقرار الأمم المتحدة وهي تبحث عن حل آخر ؟ حقا إنها معضلات لا أستطيع أن أفهمها .

وأنا لا أظن أن شعب فلسطين مصاب بالجنون، ففي وسعه أن يقرأ السطور وما بين السطور . فما هو الحل النهائي لمشكلة اللاجئين ؟ ونحن نعرف أن الأمم المتحدة قد أقرت حلاً لهذه المشكلة في عام 1948، وأن الجمعية العامة عادت فأكدت موقفها هذا عاماً بعد عام . والآن تقوم الولايات المتحدة فتبحث عن (حل نهائي للمشكلة) وتتحدث عن عدم وجود شروط سابقة عن طبيعة هذا الحل النهائي . وقد تحدث المندوب الأمريكي المستر بليمبتون بالأمس إلى هذه اللجنة فذكر أن عبارات لجنة التوفيق لا تعني وجود شروط سابقة لطبيعة المشكلة، بل شروط سابقة (لطرق تنفيذ اللجنة للمهمة الملقة على عاتقها) .

حقاً إنني أرى في هذا القول لغزاً بل أحجية لا أستطيع حلها فإنها أشبه ما تكون بالغاز الكلمات المتقاطعة التي نقرأها عادة في صحف الولايات المتحدة . فالمستر بليمبتون يتحدث عن الشروط السابقة لطرق تنفيذ الحل النهائي في حين تتحدث لجنة التوفيق في طريقتها عن طبيعة الحل النهائي . فهناك فرق كبير في الواقع بين طبيعة الحل وبين أساليبه ووسائله . ويخيل إلى أن المستر بليمبتون يمثل الولايات المتحدة في لجنة التوفيق . وهنا تمثل الأحجية، إذ نحار فمن نصدق. أنصده، أم نصدق اللجنة التي هو عضو فيها.

هل نصدق المستر بليمبتون كعضو في لجنة التوفيق على النحو الذي أوضحته في تقريرها أو نصدق المستر بليمبتون كمندوب للولايات المتحدة، على ضوء ما قاله في جلسة الأمس ؟ حقاً إنها معضلة آمل أن يتمكن وفد الولايات المتحدة من حلها اليوم قبل الغد .

ونعود فنتساءل عن طبيعة هذه (المحادثات الهادئة) . ويبدو لي أنكم عندما تتحدثون عن إيجاد حل نهائي للمشكلة تتحرفون عن الحل الذي أقرته الأمم المتحدة في العودة . ولا يمكن أن توصف هذه المحاولات بأنها (محادثات هادئة) بل هي في الواقع (جنازة هادئة) تقودها لجنة التوفيق لدفن من تبقى من الشعب الفلسطيني . هذا هو مدى فهمنا نحن أعضاء الوفد الفلسطيني للتقرير، وشاركنا فيه شعب فلسطين، إلا إذا اتضح الموضوع اتضاحا جليا وكافيا.

ولكن الدهشة التي تثيرها الجوانب التي تنيرها الأخرى من تقرير لجنة التوفيق لا تقل عن هذه الناحية التي أثرتها. فقد أقيمت اللجنة منذ عام 1948، وتشترك في عضويتها ثلاث دول، هي الولايات المتحدة وتركيا وفرنسا . أجل هذه هي الدول الأعضاء في اللجنة . وقد أقامت الأمم المتحدة هذه اللجنة . وعهدت إليها بمهمة واضحة وهي العمل على تسهيل عودة اللاجئين . وها نحن نرى أنها قد سمحت لأحد أعضائها بالتسلل جانبيا وإجراء (محادثات هادئة وعلى مستوى عال) مع أربع من الحكومات العربية .

وأود أن أقول هنا أن هذا العمل انتهاك صريح لقرار الأمم المتحدة وإجراءاتها ونظمها . فهناك لجنة تضم ثلاثة أعضاء ومن واجب هؤلاء الأعضاء الثلاثة أن يعملوا معا، وان يشتركوا في القول والتفكير . ولا يمكن للأمم المتحدة بموجب نظمها وإجراءاتها أن تسمح لعضو واحد من هؤلاء الأعضاء الثلاثة بالتسلل والقيام بمهام اللجنة، بصورة انفرادية، لان هذه المهمة هي من عمل اللجنة في مجموعها . ولا يمكن للجنة أن تكل مهمتها إلى أحد أعضائها، فكيف جاز لها أن تنتدب الولايات المتحدة وحدها لهذا العمل ؟ هل

الدافع إلى ذلك هو أن الولايات المتحدة دولة كبيرة؟ ولكن هناك دولا كبيرة أخرى في العالم . فلماذا لا تكل اللجنة على سبيل المثال إلى الاتحاد السوفيتي القيام بها العمل ؟ أو هل وقع الاختيار على الولايات المتحدة لأنها دولة محايدة؟ ولكنها وباعترافها لم تكن في يوم ما محايدة في موضوع فلسطين . فقد كانت ولا تزال السبب الرئيسي في خلق إسرائيل وبقائها واستمرار وجودها . إذن لم أوكل هذا العمل إليها وحدها ودون غيرها، ولم يوكل مثلا إلى الجمعية العامة في مجموعها ؟

وفي وسعى أن أقول، وبكل احترام، أن لجنة التوفيق قد قضت على نفسها بهذا العمل . أجل توقفت اللجنة عن الوجود، لأنها عملت بهذا الأسلوب متحدية التعليمات الصادرة إليها من الجمعية العامة للأمم المتحدة . نعم لم يعد لها وجود . وما لم يجر تصحيح الأوضاع وإصلاحها، تصحيحا واضحا وجليا ونظيفا فان هذه (المحادثات الهادئة) ليست إلا مرادفا للدبلوماسية السرية، التي قضى عليها عصر الأمم المتحدة . فليس ثمة في عصرنا اليوم مجال للدبلوماسية السرية . أجل إنها مضت إلى غير رجعه . وقد تكون عبارة (المحادثات الهادئة)، تعبيرا لطيفا، ولكنها في الواقع عبارة تنطوي على التضليل والخداع . ومن الواجب إصلاح الوضع من ناحية واحدة على الأقل. فنحن الشعب الذي تعنيه قضية فلسطين، ولا يمكن حل هذه المشكلة دون موافقتنا أجل إننا شعب القضية، وقد جننا إلى هنا للدفاع عنها .

وها أنتم يا سيدي الرئيس، تبحثون في القضية، وقد انقضى على عرضها عليكم زهاء خمسة عشر عاما، وهنا لابد وان يثار السؤال الخطير . ترى أليس لهذه المأساة الإنسانية من نهاية ؟ أو ليس ثمة نهاية لمشكلة اللاجئين

؟ أو يسمح لإسرائيل، بأن تتحدى رغبات المجتمع الدولي وإن تهزأ بقرارات الأمم المتحدة إلى ما لا نهاية ؟ أو من حق الأمم المتحدة أن تهجع هجعة أهل الكهف بالنسبة إلى هذه القضية الدائمة، عاجزة، مشلولة، لا حول لها ولا طول ؟ إن شعب فلسطين تواق لمعرفة الردود على هذه الأسئلة . أجل إننا وفد فلسطين، بوصفنا ممثلين للشعب الذي نمت إليه، نعرض هذه الأسئلة على مسامعكم . إننا نريد أن نعرف رد الأمم المتحدة على هذه الأسئلة المذهلة . إننا نريد أن نعرف، ما إذا كان من حقنا أن نظل على إيماننا بهذه المنظمة، وعلى ثقتنا من أنها أداة للسلام مرتكزة على العدالة . إننا لا نريد أن نعرف ما إذا كانت هناك طريقة سلمية لاستعادة وطننا وديارنا. وإنني لأعرض سؤالي هذا، وبمنتهى الصراحة، على جميع الوفود التي اجتمع شملها هنا، أهنأكم طريقة سلمية ؟ أجل أهنأكم وسيلة سلمية لاستعادة وطننا وديارنا؟

ونود أن نعرف أخيراً، ما إذا كان ثمة مجال للعدالة في الأمم المتحدة، دون الرجوع إلى قوة السلاح . أهنأكم مجال للعدل والإنصاف وتقرير المصير في هذا المحفل الدولي، دون اللجوء إلى القوة ؟ فالقانون أيها السادة، سواء أكان دولياً أو محلياً، وميثاقكم وقراراتكم، كلها تنص على أن من حقنا أن نعود إلى ممتلكاتنا ومزارعنا وبياراتنا وزيتوننا، وكرومنا، بل وإلى وطننا وبيوتنا . فهل في وسع القانون وحده أن يعيد إلينا حقوقنا، أو هل يتحتم علينا أن ننفذه بأيدينا ؟ أجل هل نحمل السلاح ؟ هل نلجأ إلى الحرب كوسيلة أخيرة ؟ هذه هي الأسئلة التي نضعها أمامكم بمنتهى الجد والصدق .

ومن طبيعتنا أننا لا نميل إلى الحرب . أجل لسنا من مثيрийها ودعاتها. فنحن من أنصار السلام، وقد جئنا من أرض السلام، بل من أرض رسول

السلام . ولكن هل يكون السلام بديلا عن العدل والحق، وهل يكون الحفاظ عليه على حساب الحق والعدل ؟ إننا شعب لنا تاريخنا . إننا قاومنا العدوان وطردنا الغزاة . هذا هو تاريخنا . وكانت أيامنا مع الانتداب البريطاني، سجلا للنضال الوطني من أجل التحرر، وقدمنا في ميادين هذا النضال قوافل الشهداء، قافلة إثر قافلة.

فهل تواصل الأمم المتحدة، وفي طليعتها تلك الدول الكبرى التي ما زالت تمالي إسرائيل، هذه السياسة من الجمود واللا عمل ؟ إنها في عملها هذا، تدفع شعب فلسطين إلى البحث عن حقوقه خارج نطاق المنظمة الدولية، وتستثيره إلى مناشدة جميع الشعوب المحبة للسلام لتأييده، كما تستغزه إلى حمل السلاح . وإني لأقول لكم، وبمنتهى الجد مقرونا بالأسى، إن هذا سيحدث حتما إذ إنه ملاذنا الأخير ؟ أما متى سيحدث، فلا أعرف ولا أستطيع أن أعرف، وإن كنت أقطع جزما بحدوثه . وعندما يقع، فلن يكون في وسع الأمم المتحدة أن تتدخل .

وتذكرني هذه النغمة السلامية التي أعرضها على الأمم المتحدة، بذلك النداء السلامي الذي وجهه وفد إسرائيل بالأمس . وقد سمعتم مندوبها يطالب بجوار ثنائي، وهذا هو التعبير الذي استعمله، بين العرب من ناحية، وبين إسرائيل من الناحية الأخرى .

ولكننا شعب فلسطين، نعلنها كلمة داوية، بأن حقوقنا لا تقبل التفاوض وإن حقنا في وطننا لا يقبل التفاوض ولن يقبله .

وما الذي يمكن لهذا الحوار أن يحققه ؟ دعوني أتحدث إليكم على صعيد الأمم المتحدة وقراراتها وفلسفتها . ما الذي يعنيه هذا الحوار، وما الذي يمكن له

أن يعنيه ؟ وما الأهداف المتوخاة من هذا الحوار؟ فالمعروف أن الحوار يقوم بين فريقين . ترى ما الذي يمكن تحقيقه بالنسبة إلى مشكلة اللاجئين .

فنحن نعرف، وهذا في سجلاتكم ان إسرائيل قد عارضت، وما زالت تعارض عودة اللاجئين . وقد أبلغتكم لجنة التوفيق أن لاجئاً واحداً لم يعد إلى وطنه . إذن ماذا سيحقق هذا الحوار، إذا لم يعن عودة اللاجئين ؟ فهل يقصد منه أن يكون حواراً منتجاً حقاً، أو مجرد حوار ساخر هازئ ؟ وإذا لم تكن ثمة عودة للاجئين، فأبي جدوى من الحوار ؟

ولنعد الآن إلى مشكلة تدويل القدس . وأنا لا أعدو هنا أن أتحدث على صعيد قرارات الأمم المتحدة . ولست هنا في معرض الإعراب عن رأيي بالنسبة إلى أهدافنا القومية . إنني أتحدث ضمن قاعات الأمم المتحدة، فقد قررت المنظمة الدولية تدويل القدس، وعارضت إسرائيل في هذا القرار في أكثر من مناسبة، ولا سيما بالنسبة إلى الجزء الذي تحتله . ولا ريب في أنكم تذكرون ما قاله بن جوريون، إذ أن أقواله مسجلة في وثائق الجمعية العامة ومجلس الأمن، أنه قال : (ستظل القدس عاصمتنا الخالدة) . وإذا كانت القدس ستظل عاصمة إسرائيل الخالدة، فأين تدويلها، وما القصد من الحوار الذي تقترحه ؟ وإذا لم يكن ثمة تدويل، فماذا سنفعل بالقدس؟ وما علاقة هذا الحوار بالقدس ؟

ولنعد الآن إلى موضوع البلاد . وأنا لا أنطق هنا باسم شعبي أو أعبر عن آماله، وإنما أتحدث على صعيد الأمم المتحدة نفسها . قال بن جوريون للمستتر مكدونالد، أول سفير للولايات المتحدة في إسرائيل ما نصه : (لن نتخلى على مائدة المفاوضات عما كسبناه في الحرب) فما معنى الحوار وما جدواه ؟

على الأمم المتحدة ألا تجعل من نفسها مسرحا للأوبرا، وألا تجعل من
حرمها مكانا للحوار الذي لا حياة فيه ولا ممثلين ولا فائدة. فليست الغاية من
حوار إسرائيل، إلا أن تجعل من الأمم المتحدة مسرحا للأوبرا . وإذا كان القصد
أن نشهد تمثيلا فخليق بنا أن نذهب إلى دار حقيقية للأوبرا، حيث نجد الحوار
البليغ الصحيح، الحوار الطريف الممتع، بل الحوار الذي ينضح باللذة والإثارة
والتسلية . هذا هو الحوار الذي ينشده وفد إسرائيل .

وقد أثار الوفد الإسرائيلي موضوع روح موسكو، وقال أن علينا أن نلتزم
جانب هذه الروح . حسنا أنا أعرف روح موسكو، لأنني أعرف موسكو نفسها .
فقد كنت فيها في السنة الفائتة، وكنت أتتبع سياسة موسكو طيلة الخمسة عشر
عاما الماضية . ولست أرى في روح موسكو ما يحتم علينا أن نتخلى عن وطننا
وديارنا . أجل ليست هذه هي روح موسكو . فأنا أعرف أن روح موسكو تتطلب
من كل إنسان ان يتمسك بوطنه . وأعرف أن معركة ستالينجراد، التي هي من
روح موسكو . قد حوربت شبرا بعد شبر، وجدارا بعد جدار، وغرفة بعد غرفة
دفاعا عن وطن الروس . هذه هي روح موسكو . وليس من شأننا أن نتخلى عن
حقوقنا وعن وطننا، وعن حقنا في العودة . هذه هي روح موسكو .
وأثار الوفد الإسرائيلي أيضا موضوع مؤتمر أديس أبابا . وإني لأحيي
هذا المؤتمر، وأحيي نضال شعوب أفريقيا دفاعا عن حريتها وعن استقلالها .
إن المؤتمرين طالبوا في أديس أبابا باتباع الوسائل السلمية في حل المشاكل
الدولية . ولكنكم تعرفون أن شعوب أفريقيا تؤيد شعب أنجولا وحقه في التحرر
ونضاله من أجل هذه الحرية .

فروح أفريقيا هي روح التحرر، وروح تقرير المصير الوطني، وليس القصد من التفاوض أن نتخلي عن حقوقنا . ولست أعرف شعبا واحدا ممثلا في هذه الهيئة المحترمة، يقبل بان يتفاوض على وطنه و على التخلي عن دياره وأهله . فقد يكون التفاوض وسيلة سلمية وعملية في تخطيط الحدود، وبحث الصراعات والمنازعات وما شابها، أما التفاوض على الوجود ذاته، الوجود كشعب، والوجود كوطن، وعلى نظام الحياة الذي نعيش من أجله ونموت فأمر لا أفهمه .

وأشار الممثل الإسرائيلي إلى (السلام) . ولكن السلام عمل لا قول. إنه حالة عقلية، وفي وسعنا إذا ما تحرينا قليلا، أن نعثر على هذه الحالة بالنسبة إلى إسرائيل . والسلام شيء واضح كل الوضوح بالنسبة إلينا . فنحن لم نشعل حربا على أي إنسان . ونحن لم نقم باعتداء على أي قوم . ونحن سواء في فلسطين أو في الوطن العربي كله، لم نشعلها حربا عدوانية من جانبنا على أي شعب طيلة تاريخنا . أجل كنا دائما في حالة الدفاع لا الهجوم. وقد تعرضت بلادنا دائما للعدوان وكانت ضحية له، ولكننا لم نعتد على إنسان. أما بالنسبة إلى إسرائيل، فالأمر جد مختلف، فقد خلقت إسرائيل ثمرة الحرب، ونشأت في حضن العدوان، وكانت دائما أداة من أدوات سياستها القومية .

وقد قال الكونت برنادوت في تقريره الذي قدمه إلى الأمم المتحدة في عام 1948 عن سير جهوده ما نصه (لم تولد الدولة اليهودية كما كان مؤملا في قرار التاسع والعشرين من تشرين ثاني (نوفمبر) في حضن السلام، وإنما ولدت في حضن العنف وسفك الدماء) . (القسم الثاني، فقرة (5) A/648) .

من هذا يتبين لكم أن وجود إسرائيل، بل ولادتها، قامت على الحرب وسفك الدماء كما قال الكونت برنادوت . وقال بن جوريون في الثامن من كانون ثاني (يناير) عام 1948، في خطاب ألقاه في اجتماع اللجنة المركزية لحزب العمال الإسرائيلي، وكان ظهور إسرائيل لا يزال في طي الغيب، إن قوة السلاح، هي التي ستقرر القضية لا القرارات الرسمية . وهكذا قامت إسرائيل على قوة السلاح لا على قرارات الجمعية العامة . هذا هو ما قاله بن جوريون نفسه . أجل ولدت في الحرب، ونشأت في حضنها، وانطلقت في خضمها . وهنا لا بد لي من أن أعيد إلى أذهانكم، وكنت أود أن يكون الدكتور باناش موجودا الآن ليؤيد قولي، بأن اليهود هم الذين أعلنوا ابان مناقشات مجلس الأمن في عام 1948 حول موضوع الوصاية على فلسطين، وضرورة فرضها بدلا من تقسيم البلاد إلى دولتين بطريقة سلمية بأنهم سيشنونها حربا على الوصاية إذا شاءت الأمم المتحدة فرضها وأنهم سيقاثلون حتى تقوم إسرائيل . وهكذا فإن نشوء إسرائيل ووجودها ومولدها، أمور قامت في بطن الحرب وفي أحضانها .

وقد أعدت الأمم المتحدة في تلك الأيام مشروعا للوصاية على فلسطين يستعاض به عن قيام إسرائيل . وكانت القيادة العليا الإسرائيلية هي التي وجهت ذلك الإنذار إلى الأمم المتحدة التي اجتمعت في ليك سكسيس . هل تريدون أن تستمعوا إلى ما وجهته إسرائيل من إنذار إلى المنظمة الدولية ؟ لقد قالت، لأسلافكم، الذين مثلوا بلادكم في ليك سكسيس، والذين كانوا يتولون دراسة المشروع الأمريكي بالوصاية على فلسطين ... (إن معاركنا هي التي ستقرر المصير الحاسم في فلسطين . وهنا يتبين لكم أن الحرب وحدها، ولا شيء غيرها، هي التي خلقت إسرائيل وأوجدتها .

ولننتقل الآن من عام 1948 إلى عام 1949 و1950، بحثاً عن سياسة إسرائيل وتحرياً لها . إنها سياسة الحرب ولاشيء غيرها . ولقد كانت الحرب هي أداة السياسة القومية التي تتبعها إسرائيل والسجلات هي الشاهد الأمثل . إنه الكتاب السنوي الذي تصدره حكومة إسرائيل وها هو كتاب عام 1951 بين يدي . إنه ليس مجرد بيان صحفي، أو مقتطفات من جريدة أو مجلة . بل إنه كتاب إسرائيل الرسمي، الذي تصدره في كل عام ... إنه يقول ... (لقد حققنا الآن فقط، بداية استقلالنا في جزء من بلادنا الصغيرة) . هل سمعتم ؟ بداية استقلالنا في جزء من بلادنا الصغيرة ! ترى ما الذي يعنيه هذا القول ؟ انه يعني ان شعب إسرائيل قد أقام في جزء من البلاد ليس إلا، وإن عليه ان يحتل ما تبقى منها . ونحن لا نعرف وسيلة سلمية تتسلل عن طريقها إسرائيل لتستولي على الجزء الأكبر من البلاد التي تدعيها . ولم يعد هناك تسلل سلمي في عصرنا، وإنما هناك توغل مسلح . بل هناك احتلال عسكري ومع ذلك فهم يتحدثون هنا في الكتاب السنوي، عن بداية الاستقلال في جزء من وطننا . وإذا كان شعب إسرائيل يقيم في جزء من وطنه ليس إلا، فمعنى هذا، أنه يتطلع إلى العدوان، وينشد التوسع، وأنه يعتمد على الحرب، كنظام بل كأداة لسياسته القومية الرامية إلى الوصول إلى حدود البلاد كلها . هذا ما يقوله كتاب إسرائيل السنوي . إنه ليس مجرد نبأ صحفي في النيويورك تايمس . وإني لأطلب إلى وفد إسرائيل ؟ أن يأتي إلى هنا إلى هذه المنصة في حرم الأمم المتحدة، ليقول لكم، ما قيمة ما يقوله الكتاب السنوي عندما يتحدث عن وجود شعب إسرائيل في جزء من وطنه .

وإذا كانت إسرائيل، تمثل على ما هي عليه الآن مجرد جزء من الوطن، فإن من حقي أن أتساءل أين يقوم الجزء الآخر ؟ وأين تقع الحدود التي تتطلع إليها ؟ وإذا كان ثمة حدود أخرى، فإن هذه الحدود لن تتحقق إلا بالحرب . وإذا كان لابد من تحقيقها عن طريق الحرب، فلست بقادر على أن أفهم السيد القادم من إسرائيل، وهو يتحدث بالأمس عن (السلام) مدعياً أن السلام هو قلب المشكلة ولبابها .

كان هذا في عام 1951 . وقد يقال الآن، إن هؤلاء الناس كانوا حديثي عهد بالاستقلال، كانوا يشعرون بشيء من التعالي والغرور آنذاك . قد يقال بأنهم قد كانوا فرحين باستقلالهم . لابد أن يطلعوا بمثل هذه البيانات والتصريحات، ولكن أصبح هذا بالنسبة إلى عام 1952 ايضاً ؟، إننا نقرأ في الكتاب السنوي والإسرائيلي الصادر تشرين أول (أكتوبر) عام 1952، إن إسرائيل قد أقيمت في جزء فقط من أرض إسرائيل. أسمعتم، إنها أقيمت في جزء من أرض إسرائيل، ويمضى الكتاب فيقول ... (وهناك من يظهر شكه في إعادة إسرائيل إلى حدودها التاريخية المقررة منذ أقدم العصور . ولكن هؤلاء أيضاً لا يستطيعون أن ينكروا شذوذ الحدود الجديدة). هل سمعتم، أن الحدود الجديدة شاذ، وأن أرض إسرائيل لا تحتل إلا شطراً من الأرض التي وضعت حدودها منذ أقدم العصور. إذن أين هذا الوطن ؟ أجل أين وطن إسرائيل ؟ ومع ذلك فهم يتحدثون، الآن، وهنا في الأمم المتحدة عن (السلام)، في الوقت الذي ينشدون فيه التوسع، للعودة إلى حدود (الوطن) التاريخية .

ولا يمكن للمرء وهو يستمع إلى مثل هذه البيانات أن يصدق ما يقوله المندوب الإسرائيلي في حديثه هنا عن السلام . فالسلام ليس معزوفة موسيقية

تعزفها جوقة موسيقية هنا في الأمم المتحدة . إنها السياسة القومية، كما تصدر عن السلطات الرسمية في إسرائيل، ألدك يا ممثل إسرائيل رد على هذا ؟ عليك قبل أن تتحدث عن السلام، أن ترد على هذا. اجل تعال، وأوضح سياسة إسرائيل التي تتحدث عن الحدود، الحدود التاريخية، التي تمتد إلى ما وراء الحدود الراهنة، والتي تصفها وثائقك الرسمية بأنها شاذة . فهل لك أن نخبرنا شيئاً عن هذه الحدود التي تراها شاذة قبل ان تتحدث إلينا عن السلام .

وفي كتاب إسرائيل السنوي لعام 1952، نص آخر اود أن اقتطف بعض العبارات منه ... فقد جاء في ما يلي : (أعيد بناء دولة إسرائيل في الشطر الغربي ...) وإذا كانت إسرائيل الآن في الشطر الغربي، فأين يقوم الشطر الشرقي، والشطر الشمالي والشطر الجنوبي، إن هذا البيان الإسرائيلي الرسمي، الذي يؤلف جزءاً من سياسة إسرائيل الرسمية، يتحدث عن إقامة إسرائيل في الشطر الغربي ليس إلا . وماذا يعني هذا القول ؟ إنه يعني أن هناك أجزاء من البلاد في الشرق والشمال والجنوب، ليست ضمن إسرائيل الآن، وأنه عندما تحين الفرصة فسترفع الحدود الراهنة من أماكنها، لتنتقل إلى الأماكن التي يستطيع الجنود أن يخطوا فوقها .

ولنعد الآن إلى عام 1954. يقول بن جوريون نفسه، إن قوة السلاح لا القرارات الرسمية، هي التي ستقرر القضية . وفي عام 1955، أي بعد سبع سنوات من قيام إسرائيل، إذ يتوقع المرء أن يرى شيئاً من التبصرة والحكمة بعد سبع من الوجود الدولي، صدر البيان التالي : (إن خلق الدولة الجديدة، لا يؤثر بحال من الأحوال على المجال التاريخي لأرض إسرائيل) . أجل إن قيام إسرائيل لا يصرف النظر بحال من الأحوال عن حدود إسرائيل التاريخية .

وأرى أن أذكركم أخيرا بما قاله بن جوريون في الكنيسة في عام 1956، وفي أعقاب حرب العدوان، وما تصورت إسرائيل تحقيقه في حملة سيناء . أجل لقد تحدث بن جوريون إلى الكنيسة في تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1956 في أعقاب الحرب مع مصر فقال : (كان أحد الأهداف الرئيسية الثلاثة التي حققتها إسرائيل في حملة سيناء تحرير جزء من أرض الوطن، لا يزال في أيد غريبة) .

أو ليس هذا قول رجل مسؤول . في زمن دقيق، وأمام هيئة مسؤولة. إنه يقول أن سيناء جزء من الأرض الإسرائيلية وأنها في أيد غريبة، وأنها جزء من أرض إسرائيل . ومع ذلك فإن مندوب إسرائيل يجد في نفسه الشجاعة والمنطق، والثبات والصلافة، ليأتي إليكم هنا متحدثا عن السلام .

ولنتجاهل كل هذه المصادر الرسمية، حيناً، ولنقتبس قول بن جوريون، مخاطباً رئيس وزراء بريطانيا، كان الرئيس البريطاني آنذاك يتحدث عن السلام، وكان يقترح التفاوض بين العرب وإسرائيل وإجراء اتصال بالنسبة إلى الحدود الإقليمية بين الجانبين . أتعرفون رد بن جوريون على اقتراح الرئيس البريطاني بإجراء بعض التبدلات في حدود إسرائيل ؟ انه ينفجر متحدثاً عن الحرب، وعن هديرها ويقول . . ما نصه بالحرف الواحد...

(إنني على ثقة من أن رئيس وزراء بريطانيا يعرف تمام المعرفة بأن حدود إسرائيل لا يمكن ان تتبدل دون حرب دامية . . حرب حياة أو موت).

وإذا كانت هذه الحدود لن تتبدل إلا بعد حرب دامية، حرب حياة أو موت، فما جدوى الحوار في بحث المكان الذي تنتهي إليه حدود إسرائيل ؟ وإني لأتحدث هنا بلغة الأمم المتحدة أيضا، لأبلغه أهدافها القومية .

ولأعد الآن إلى ما قاله كومي (مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة) نفسه . قال في خطاب ألقاه في تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1960، عن مشكلة اللاجئين في هذه اللجنة نفسها، ما نصه . . (ليس ثمة من سبيل واقعي إلا الحرب، يحطم إسرائيل، ويعيد إسكان اللاجئين فوق أنقاضها).

هذا هو المندوب الذي يتحدث وفده الآن عن السلام. إنه يتحدث عن حل مشكلة اللاجئين إلى هذه اللجنة في عام 1960، مؤكدا أن ليس ثمة سبيل آخر إلا الحرب وتحطيم إسرائيل لحل مشكلة اللاجئين عن طريق إسكانهم فوق أنقاضها . هل هذا هو الحوار الذي ينشدونه ؟ وهل هذا هو السلام الذي يتطلعون إليه ؟ هل هذه هي المفاوضات ؟ إنها الروح التي تقوم وراء معزوفة السلام، التي تواصل إسرائيل عزفها بين الحين والحين . انهم يتحدثون عن العودة كشيء لا يتحقق إلا بالحرب، وإلا بتحطيم إسرائيل، ولكن عودة اللاجئين حق، ولا شأن له بالحرب على الإطلاق . إنه حق طبيعي أصيل، ومن الواجب تحقيقه وتطبيقه .

ولن أطيل الحديث في هذه النقطة بالذات، فقد سبق الحديث عنها بإسهاب وتفصيل ولكنني أود الإشارة هنا إلى بيان صدر عن رئيس دولة عظيم هنا في الأمم المتحدة، في قاعة الجمعية العامة، إنه الإمبراطور هيلاسلاسي . كان الإمبراطور نفسه لاجئا ذات يوم . أجل إنه أخرج من بلاده، وجاء إلى عصابة الأمم في جنيف، كرجل بلا بلد وهناك تجاهله أعضاء العصابة، ،

ورفضوا الاستماع إليه، كما رفضوا الاعتراف بحقه، وقد استمعت دورة الأمم المتحدة الحالية إلى اللاجئ الإمبراطور . ولكن كرئيس دولة ذات سيادة . ولكن أتم هذا بسهولة ؟ انه تم بعد ثمن باهظ من الدماء والشقاء الإنساني . وقد أشار الإمبراطور في خطابه إلى البيان الذي كان قد ألقاه في عتبة الأمم، وتحدث في قاعة الجمعية العامة بعد أن كانت بلاده، مقرا لمؤتمر أفريقي أخيرا، أشار إليه مندوب إسرائيل في خطابه، قال الإمبراطور: (وقد تحدثت آنذاك إلى ضمير العالم مناشدا إياه . ولكن أحد لم يصغ إلى كلامي . ومع ذلك فقد أقام التاريخ الدليل على صحة التحذير الذي أطلقتة في عام 1936).

ولا ريب في أن هذه الكلمات المتزنة، يجب ان تكون نبراسا للأمم المتحدة، يرشدها، إلى ضرورة التخفيف عن لاجئينا، لا بسفك الدماء ولا بالشقاء الإنساني، بل بالسلام والعدالة : وفي وسعي أن ألخص قضيتنا الآن في مجموعة من الأسس الواضحة المطلقة

أولا- إن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من مشكلة فلسطين ولا يمكن البحث عن حل لها إلا ضمن إطار القضية الفلسطينية كلها، وعلى أساس حق أهل فلسطين في تقرير مصيرهم .

ثانيا- كانت مشكلة فلسطين، ثمرة حتمية لمؤامرة جرى تخطيطها بين الصهيونية وقوى الاستعمار العالمي . ولا يمكن حل مشكلة فلسطين، كقضية استعمارية، إلا ضمن إطار المخطط العام لتصفية الاستعمار، وهو المخطط الذي رسمته الأمم المتحدة في عهدها الأخير .

ثالثا - كان تشريد اللاجئين الفلسطينيين الثمرة المباشرة لقيام إسرائيل، تماما كالعلاقة بين السبب والنتيجة . وكان لابد لإسكان شعب غريب في البلاد، من أبعاد أهلها الأصليين وسرقة ديارهم واقتلاع جذورهم من وطنهم .

رابعا - إن شعب فلسطين بوصفه المالك الشرعي لبلاده، مصمم على ممارسة حقه الكامل، على الصعيدين القومي والشخصي .

إن شعب فلسطين مصمم، بكل ما في التصميم من إصرار، على استعادة دياره، وأراضيه، ومزارعه، ومدنه وقراه، بل وعلى استعادة وطنه، وتراث أجداده، منذ وعى التاريخ ذاته . ونحن في تصميمنا هذا سنناضل دون لين أو هواده، ولن نكون وحيدین إطلاقا . وستمدنا الشعوب العربية وهي أخوة لنا وأهل، بكل عون ممكن، إذ أن قضيتنا في جوهرها، قضية عربية عامة، وسيهب لنصرتنا كل إنسان شريف كريم، سواء أكان رجلا أم امرأة، إذ إن قضيتنا هي قضية الإنسان في شرفه وكرامته . وستهرع جميع الشعوب المحبة للسلام والحرية إلى تأييد قضيتنا بمختلف السبل، وأنا أعني ما أقول، أجل بمختلف السبل، التي لا أتردد في بيانها بصراحة وجلاء، إذ أن قضيتنا هي قضية السلام والحرية .

ومن هنا يتبين لكم أن القضية التي تواجه الأمم المتحدة الآن، قضية واضحة وجلية. إنها التساؤل عن موقف المنظمة الدولية . فالقضية التي تواجهكم، قضية حاسمة، بل قضية مصير وأن عليكم أن تردوا على هذا التساؤل، ومن حقنا أن نلحف عليكم بهذا الرد .

أن عليكم أن تردوا على سؤالنا . سؤالنا الواضح الصريح . أتريدون السلام أم الحرب . والخيار في متناول أيديكم . وإني لأناشدكم أن تختاروا

السلام ولا شيء غير السلام، على أن يقوم على العدل ولا شيء غير العدل،
هذا هو أملنا، وهذا هو رجاؤنا ، بل هذه هي صلاتنا وابتهاalna .

العرض الثاني

لا ريب في أننا مدينون للمستتر ديفيز، المدير العام لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين، ولبعض العوامل الأخرى، وذلك في الإبقاء على قضية اللاجئين حية في الأمم المتحدة . وقد قدم المستتر ديفيز، كما قدم أسلافه من قبل دائما، صورة صادقة وواضحة عن الأوضاع المفجعة التي يعيشها اللاجئين، وعن تعاستهم وما يعانونه من شقاء إنساني . وحاولت إسرائيل من جانبها دائما، ان تحجب الحقائق عن العيون، وان تشوه الصورة . وان تحول دون رؤية القضية بوضوح . وأفلحت القوى الصهيونية بما تملكه من سيطرة كاملة على وسائل الإعلام في معظم البلاد الغربية، إلى حد كبير، في الإبقاء على مشكلة اللاجئين بعيدة عن العيون، وان تتأى بها عن الذاكرة الإنسانية .

ولا يملك اللاجئون العرب، أي نفوذ انتخابي في العالم الخارجي . كما لا يجدون سبيلا للوصول إلى أعضاء الكونجرس، ومجلس الشيوخ وصانعي الرأي العام، كما نحس دائما بالقلق الشديد في السنوات التي تدور فمها الانتخابات هنا في الولايات المتحدة، من ان تضيق مشكلة اللاجئين في غمرة الحملات الانتخابية . ولا ريب في ان مشكلة فلسطين في مجموعها، ومشكلة اللاجئين بوجه خاص، قد عانت في الولايات المتحدة، مما يمكن لي ان اسميه، بالغبار الذري.

ولا ريب في ان الجمعية العامة تعرف تمام المعرفة، مخاطر الإشعاع الذري، والآثار السيئة لإشعاعات الغبار الذري في عالمنا الراهن، وبالرغم من ان

العلماء، لم يحددوا بعد الأضرار الخطيرة التي تلحق بالصحة الإنسانية العامة من جراء إشعاعات الغبار الذري، فان (الغبار الانتخابي) كما اسميه، قد الحق ضررا هائلا، بشعب بأسره، فهذا الغبار الانتخابي في الولايات المتحدة، هو الذي أحال شعبا بأسره، إلى شعب من اللاجئين . ومن الضروري، الا تصبح الانتخابات في الولايات المتحدة، جزءا أو فرعا، من المشكلة الفلسطينية بأي حال من الأحوال او حتى من مشكلة اللاجئين .

وأنا لا اعرف مشكلة أخرى، لها من البروز في الحملات الانتخابية الأمريكية كمشكلة فلسطين . ولم اسمع ان الديمقراطيين او الجمهوريين في أمريكا، يقولون في حملاتهم الانتخابية، ان مشكلة الكونجو، يجب ان تحل على هذا النحو او ذاك . واني لأود ان أسال هنا، وفي هذه اللجنة، فلعل الشعب الأمريكي يسمع سؤالي، عن السبب الذي يجعل من مشكلة فلسطين، جزءا لا يتجزأ من الحملة الانتخابية . وما الذي يدعو إلى إبراز مشكلة اللاجئين، كجزء لا يتجزأ من الحملة الانتخابية في الولايات المتحدة .

ولعل من الصحيح ان يقال، ألا اثر للعرب المقيمين في أمريكا في المعارك الانتخابية . وبالرغم من ان هناك بعض الأمريكيين الذين يمتون إلى اصل سوري او لبناني، او فلسطيني، فانهم لم يحاولوا قط، ان يظهروا في هذه الصورة .

انهم لا يؤلفون جماعة من الجماعات الضاغطة أبدا، ولا يحاولون ان يوجهوا سياسة الولايات المتحدة هذه الوجهة او تلك . واني لأود ان أؤكد يا سيدي الرئيس، بان هذا الغبار الانتخابي اكثر خطورة على عالمنا اليوم من

إشعاعات الغبار الذري، ومن الضروري حماية شعب فلسطين من أخطار هذا الغبار وإشعاعاته .

ومن الصحيح ان يقال، ان الرئيس الأسبق ترومان، قال عندما كان يعالج مشكلة فلسطين، وذلك في معرض الرد على احتجاجات دبلوماسيات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ان العرب لا يملكون دوائر أو أصواتا انتخابية . ولكن يجب ألا تكون أصوات اليهود بأي حال من الأحوال عاملا مقرا بالنسبة إلى سياسات الولايات المتحدة، لا بالنسبة إلى مشكلة فلسطين، ولا بالنسبة إلى مشكلة اللاجئين .

ومن الواجب أن تقرر مشكلة فلسطين على ضوء خصائصها ليس إلا. انه وضع مؤسف، لا يمكن احتماله بحال من الأحوال . ومن الضروري ان يحكم على مشكلة اللاجئين على ضوء ما فيها من خصائص ليس إلا . وأنا اعرف ان هذه المشكلة، كانت دائما مصدر ألم لنا جميعا نحن اللاجئين، بل نحن شعب فلسطين، وكنا نحس بالأسى، كلما سمعنا تصريحاً سياسياً، يصدر من وقت إلى آخر عن الدوائر الغربية دون ان يحسب لحقوق اللاجئين أي حساب . وقد يكون الجهل أحيانا مصدر هذه التصريحات، وقد تكون البراءة أحيانا أخرى مبعثها، ولكنها كثيرا ما تكون وليدة التأمر والتدبير الصهيوني .

وبات لزاما على الأمم المتحدة، عن طريق أجهزة الإعلام الموجودة لديها، وأنا اوجه حديثي هنا إلى سكرتارياتها الممثلة خير تمثيل في هذه اللجنة بالدكتور باناش، الجالس هناك، ان تطلع الرأي العام العالمي على مشكلة اللاجئين الفلسطينيين كلها، وان تعرفه بدقائقها ووقائعها انها مشكلة إنسانية تتعلق بشعب بأسره، ومن حق البشرية ان تعرف عنها كل شيء، وان تطلع على

حقائقها. ونحن نذكر انه عندما كان اللاجئين اليهود في معسكراتهم في أوروبا، كانت البشرية كلها تغلي وكأنها على فوهة بركان، وعبئت موارد الإنسانية كلها لخدمة قضيتهم، وتحسين أحوالهم . وهذا أمر نستطيع ان نفهمه، نحن شعب فلسطين بل لاجئها . ولكن من حقنا ان نسأل هذه اللجنة، عن السبب في هذا الصمت الذي يحيط بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . اجل لم هذا الصمت بالنسبة إلى حالتنا، وإلى أوضاع شعبنا المفجعة، شعبنا الذي ما زال يعيش في الخيام والمعسكرات منذ خمسة عشر عاما ؟ اجل لم هذا التجاهل وذلك الصمت .؟

فالأخوة الإنسانية كل لا يتجزأ، ومن الضروري الا تتجزأ . اجل ان الأخوة الإنسانية كل لا يتجزأ، ومن العدالة ان تبذل الأمم المتحدة، كل جهد ممكن، لا لإضفاء المأساة على قضيتنا، إذ ان المأساة قائمة، بل لعرض ما يحس به الألوفا من مواطنينا، من أسى، ولتصوير ما يعانيه شعبنا من تشرد طيلة خمسة عشر عاما. ونحن نسأل الأمم المتحدة، ان تنشر الحقيقة وان تروج لها، ولا نريد غير الحقيقة بالنسبة إلى مشكلتنا . إننا لا نريد الدعاية الكاذبة، بل نريد أن يطلع العالم على حقيقة مأساتنا . نريد ان يعرف الناس في كل مكان، الحقيقة كما هي . إذ ان هذا هو السبيل الأمثل، لعرض الحقيقة وبسطها دون زيادة أو نقصان . وقد قال ارازمس (Erazmus)* المصلح العظيم ذات يوم : (اسمح للضوء بالدخول، وأن ذاك ينجلي الظلم) . وقد طال الأمد على اللاجئين

* ديسيديريوس ارازمس (1466-1536) - مصلح ديني ومفكر هولندي . ولد في روتردام . درس اللاهوت في سنتين واصبح كاهنا في عام 1492 ثم درس في جامعة باريس . زار إنجلترا ودرس في جامعة اوكسفورد، ألف عدد ١ من الكتب اشهرها حوار .

وهم يعيشون في ظلام، يا سيدي الرئيس، ويا إخواني الأعضاء، ولنكن منصفين عندما نتحدث، بل ولنكن عادلين عندما نعمل .

وإذا كنا لا نستطيع ان نقول الحق في هذه اللجنة، فعلينا على الأقل ان نتجنب الكذب والتضليل، لنتجنب الكذب، في أي شكل، إذ ان ثمة صورا كثيرة للكذب والتشويه هنا، وفي الأمم المتحدة، فهناك شعار كاذب يرفعه البعض، وهو شعار حرية القول . وهناك شعار كاذب آخر وهو شعار الواقعية، والتفكير الواقعي، والاسترشاد بوقائع الوضع هذه هي الشعارات المضللة، التي سمعناها، نحن هنا، وفد فلسطين في الأمم المتحدة .

ولكن دعوني أقول لكم، ان حرية القول، شيء آخر، غير التضليل والتشويه المتعمد للحقائق، ولا سيما إذا صاحبه ادعاء الواقعية . والتصوير الواقعي للوضع المتسربلين بالعدالة الزائفة . وإذا لم يكن الوضع مشروعا ولا عادلا فلا يمكن ان يكون موجها للأمم المتحدة، كحقيقة دائمة، يتحتم عليها ان تسير على ضوئها . على الأمم المتحدة، ان تسترشد بالوقائع العادلة، الوقائع المنصفة ليس إلا . والا تقيم وزنا، للوقائع إذا كانت مطلقة . فالأمم المتحدة، تواجه حالات من العدوان في مختلف الصور والجهات في العالم . وإذا كنتم تعتبرون العدوان واقعا، فانكم ستلتزمون بالعدوان، وستحنون رؤوسكم إجلالا له . ومن الواجب ان يقوم الواقع على العدل والأنصاف، وإلا لم يقدر له البقاء . ومن الواجب إذ تجد المنظمة الدولية نفسها في مثل هذه الحالة مضطرة إلى قبول العدوان تحت شعار (حقائق الوضع) . وإذا كنتم تريدون ان توجهكم حقائق الوضع فان عليكم ان تستعدوا لقبول العدوان، والرضا بانتهاك حقوق الإنسان والتكر لها .

وقد واجهتم هنا، في الأمم المتحدة، عدة شكاوي، عن انتهاك حريات الإنسان وحقوقه . فالتفرقة العنصرية في جنوبي أفريقيا، واقع لا يمكن إنكاره فهل انتم على استعداد لتقبل هذا الواقع، لمجرد انه قائم في جنوب أفريقيا، ولأنه ضمن تشريعات دولة ذات سيادة، ممثلة هنا في الأمم المتحدة ؟ فالوقائع العادلة وحدها والأوضاع المنصفة، هي التي يجب ان تظل حية بسيطة على عقولكم، وقلوبكم وضمائركم، وإلا فسأجد نفسي مضطرا إلى ترديد العبارة التي قالها زميلنا مندوب نيوزيلندة بالأمس، عندما واجهكم قائلا . . (علينا في مثل هذه الحالة، أن نحزم حقائبنا، وان نعود إلى بلادنا) . اجل يا سيدي الرئيس، عليكم إذا تقبلتم وقائع الوضع دون مراعاة للحقائق، ودون التثبت مما إذا كانت قائمة على العدل أو على الإجحاف، وعلى الأنصاف أو على الظلم، ان تحزموا حقائبكم، وتعودوا إلى بيوتكم .

وقد دأبت إسرائيل منذ ظهرت مشكلة اللاجئين إلى حيز الوجود على ابعاد انتباه الناس عنها، وصرف أنظار الرأي العام عنها . ولم تأل إسرائيل جهدا في تحقيق هذا الهدف . ولم تتوان لحظة واحدة عن استخدام وسائل تقترب أحيانا من الفضائح وينطبق هذا القول أيضا على بعض البلاد التي تملك الصهيونية فيها نفوذا كبيرا ، وقوة عظيمة وعندما قلت انها فضائح ،عנית تماما ما قلت ، بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ وتفسيرات . فقد حسرت التحقيقات التي قامت بها لجنة الشؤون الخارجية الأمريكية برئاسة الشيخ فولبرايت في عام 1963 النقاب ، وإني لأود من زميلنا المحترم مندوب الولايات المتحدة أن يسمع ذلك عن أن عددا من المنظمات الأمريكية تتلقى التمويل من إسرائيل . لتقوم بتضليل الرأي العام الأمريكي . وقد كشف تقرير اللجنة الذي نشر قبل أيام ،

بعض الحقائق البارزة , التي تقيم الدليل علي أن إسرائيل تستخدم عددا من المنظمات الأمريكية , عن طريق تزويدها بالمنح والمساعدات المالية , والعملاء للاضرار بقضايا العرب ولا سيما بقضايا اللاجئين , وهي حقائق أود من الشعب الأمريكي أن يعرفها ويطلع عليها .

وقد لا يكون من اختصاصي التحدث عن النواحي الأخرى التي تسمم إسرائيل بها عقول الناس في الولايات المتحدة , ولكن ما يعني هنا , هو الحديث عن مشكلة اللاجئين العرب , وعن المدى الذي تتمكن فيه إسرائيل وعملاؤها من استخدام المنظمات الأمريكية , التي تحمل أسماء أمريكية بارزة , في لتسميم الرأي العام , وتضليله في الولايات المتحدة , وتحويله إلى جانب الإضرار والحاق الأذى بمصالح اللاجئين العرب .

وسأكتفي هنا بسررد بعض الأمثلة , وقد استقيتها كلها من تقرير الشيخ فولبرايت , وتقرير لجنته , وقد تضمن التقرير هذه الأمثلة كلها التي ابدأها بما يلي : يتلقى المجلس الأمريكي الصهيوني , وهو هيئة أمريكية بأعضائه وقانونه الأساسي ومجالات نشاطه , جعلا سنويا من إسرائيل بقدرة 328.350 دولارا , وهذا المبلغ ليس تافها يعد بالآحاد أو العشرات أو المئات بل بمئات الألوف . ولكن ما الغاية من هذه المساعدة الضخمة ؟ إنني لا انقل إليكم رأيي أو استنتاجاتي , بل رأي لجنة الشيخ فولبرايت , والاستنتاجات الواردة في تقريرها . ان ما تريده إسرائيل من مساعداتها هذه كما يقول هذا التقرير , (مكافحة الدعاية العربية عن طريق الإذاعة والتلفزة والأشرطة السينمائية والمجلات , والخطب والرحلات شبه المجانية إلى إسرائيل وغير ذلك من السبل مجاني) ولعل من الطريف أن تعرفوا أيضا أن هذه المنظمة نفسها قد تلقت من

إسرائيل في عام واحد (712) ألف دولار أيضا . وقد خصص شطر من هذه الأموال , كما يقول التقرير . لتوزيع بعض المطبوعات والمنشورات الخاصة التي تتناول بعض القضايا التي يدور حولها الخلاف، وبينها تضيق اللاجئين العرب . أسمعتم ؟ سبعمائة ألف دولار دفعتها إسرائيل، لمنظمة أمريكية , هنا في الولايات المتحدة , كمجابهة بعض القضايا وبينها قضية اللاجئين العرب . ونحن نسمع من زميلنا المحترم، ممثل الولايات المتحدة في هذه اللجنة الموقرة، حديثه عن العدل والإنصاف، بالنسبة إلى حل مشكلة اللاجئين، في الوقت الذي يتعرض فيه شعب بلاده للتضليل في هذه المشكلة . ولنسمع من التقرير قوله أن المال يدفع إلى بعض هذه المنظمات الأمريكية، لتمويل صانعي الرأي العام ومكيفية من الأفراد، ولمساعدتهم على الحصول على تجارب خاصة بإسرائيل، ولتمكينهم - وهنا بيت القصيد - من إعداد التصريحات والبيانات المالية لإسرائيل، ليلقيها حكام الولايات، ورؤساء البلديات . . أسمعتم أيها السادة ؟ ان إسرائيل تدفع ثلاثة أرباع المليون من الدولارات، لإعداد البيانات والتصريحات لحكام الولايات ورؤساء البلديات في الولايات المتحدة . واني لأرجو صادقا، ألا يكون البيان الذي ألقاه ممثل الولايات المتحدة هنا من إعداد صانعي الرأي العام الأمريكي ومكيفية، الذين تلقوا ثلاثة أرباع المليون من الدولارات . واني لأرجو صادقا أيضا، أن يكون هذا البيان من إعداد الولايات المتحدة ذاتها، وإلا يكون متأثرا بجهود تلك المنظمات الأمريكية التي تتلقى التمويل من إسرائيل وعملائها .

وهناك مثل آخر، يقول التقرير ان هناك نشرة تصدر في واشنطن تدعى (تقرير الشرق الأدنى) تتلقى خمسة آلاف دولار كل ثلاثة اشهر . على سبيل ما يسمونه بالعلاقات العامة .

وهناك مثل ثالث، يقول التقرير ان إسرائيل تدفع مساعدة سنوية قدرها 48 ألف دولار لما يسمى (بمجلس شؤون الشرق الأوسط) .
وهناك مثل رابع . أن إسرائيل تقدم منذ أمد طويل، مساعدات مالية لما يسمى بلجنة فلسطين المسيحية الأمريكية . أسمعتم هذه التسمية المضللة (لجنة فلسطين المسيحية) .

واستمعت لجنة مجلس الشيوخ أيضا في جلستها المعقودة في الأول من آب (أغسطس) عام 1963، إلى شهادة تقول، ان جامعة هارفرد، الجامعة الأمريكية المحترمة، تلقت عن طريق مركز دراسات الشرق الأوسط فيها، مساعدة سنوية بسبعة آلاف دولار . وهكذا تجدون أن هذه المنظمات الأمريكية بأسمائها الطنانة، وسمعتها الداوية، تصوغ الرأي العام الأمريكي لمحصلة إسرائيل، ولا يهمني من أمر إملاء إسرائيل لإرادتها على السياسة الأمريكية إلا شيء واحد، وهو علاقة هذا الإملاء بمشكلة اللاجئين، وبحق شعب فلسطين في وطنه ودياره . وقد يكون من حق الولايات المتحدة أن تكون تابعة لإسرائيل، خاضعة لإرادتها ولكن ليس من حقها أن يصل هذا الخضوع، حدود قضيتنا والاضرار بحقوقنا، وحقوق شعبنا . فهنا يجثم الخطر الذي يهدد قضية اللاجئين الفلسطينيين . ولعل من الإنصاف هنا أن يعتبر هذا (التوجيه) الصهيوني، على حد تعبير الشيخ فولبرايت، أمرا غير مشروع، لا في الولايات المتحدة وحدها، بل وفي جميع البلاد التي تمارس الصهيونية فيها نشاطها .

أما نحن لاجئي فلسطين، بل شعبها . فلا نستطيع الوصول إلى الكونجرس ولا إلى مجلس الشيوخ أو البيت الأبيض، ولا نملك الأموال الطائلة التي تمكننا من مساعدة المنظمات الأمريكية ماليا، إذ أن الواحد منا يعيش على ستة سنتات في اليوم الواحد، ولذا فنحن عاجزون عن التأثير على الرأي العام في الولايات المتحدة . ولهذا السبب وحده، نحن نحثكم في اللجنة، كممثلين لبلادكم ودولكم، بأن من واجبكم اتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الصدد . لمنع مثل هذه الحملات والحيلولة دون هذا التشويه، وهذا السيل العرم من التضليل الذي تنظمه وتموله، هيئة غريبة عنكم، لتضليل شعوبكم، وتسميم أفكاركم وإذا ما قمتم بمثل هذا العمل، ففي وسعكم ان تتأكدوا من ان إسرائيل لن تكون قادرة على ان تعد للحكام في الولايات المتحدة، أو لأي إنسان آخر سواء أكان من الشيوخ أم من الوزراء، بيانات معادية لقضية العرب، ولمشكلة اللاجئين .

وفي وسع اللجنة أيضا ان تتيقن ان إسرائيل لن تتمكن من حمل حكومة الولايات المتحدة على عكس قرار اتخذته، على حين كان في وسع إسرائيل ان تحقق ذلك في اكثر في مناسبة، بفضل هذا (التوجيه) الذي شرحه الشيخ فولبرايت في تقريره . وأنا لا أقول هذا كتعبير عن رأي، او كاستنتاج، وإنما أقوله كحقيقة مقرر . وقد حسر بن جوريون عن هذه الحقيقة قبل أمد طويل من التحقيق الذي قامت به لجنة الشؤون الخارجية الأمريكية وذلك في تصريح أفضى به لصحيفة النيويورك تايمز في الخامس من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1951، واني لألفت نظر مندوب الولايات المتحدة إلى هذا التصريح المهم والشديد الخطورة . فقد أعلن بن جوريون قائلا :

(في إمكاننا ان نقيم اتصالنا في الولايات المتحدة مع المشرعين ومع رجال الصحافة . وقد مكن هذا الوضع حكومة إسرائيل في مناسبات عدة من التأثير على الحكومة الأمريكية ومن حملها على تغيير قراراتها السابقة) .

وسواء انبثق هذا القول عن رغبة في التبجح اولا، فان هذا الاعتراف من جانب بن جوريون، قد أعلن للعالم، وعن طريق صحيفة النيويورك تايمز ان الحكومة الإسرائيلية قادرة على تغيير القرارات التي تتخذها الحكومة الأمريكية، واني لأشفق وايم الله على قوة الولايات المتحدة النووية، من ان تتقلب قراراتها نتيجة إيهاء بن جوريون، ونتيجة المساعدات المالية التي تقدم إلى المنظمات الأمريكية، ونتيجة ما يتعرض له الشيوخ ورؤساء البلديات والوزراء من توجيه .

حقا إننا لنشفق على الولايات المتحدة، نحن اللاجئين الذين نتطلع إلى الإشفاق من جانب العالم الدولي .

وأود ان أسأل في ظل الظروف الراهنة، هل في قدرة اللاجئين ان يحملوا الولايات المتحدة على تغيير قراراتها ؟ وهل نحن في وضع يمكننا من الضغط على الحكومة الأمريكية والتأثير على ما تتخذه من قرارات ؟ واني لأود ان احصل من المندوب الأمريكي في هذه اللجنة على رد على سؤالي هذا . فهناك بن جوريون، يزعم، واعتقد انه على حق، بان في وسعه ان يغير القرارات التي تتخذها الحكومة الأمريكية. والان هل لي ان اوجه سؤالا صريحا إلى الوفد الأمريكي بل وإلى حكومة الولايات المتحدة، أسالها فيه هل هي على استعداد لا تحت تأثير المال او التوجيه، بل تحت تأثير قوة المنطق والعقل، بل قوة الحق والإنصاف، لتغيير قراراتها، تأييدا للعدل والإنصاف ؟.

ولعل اقل قدر من الإنصاف يدفعنا إلى ان ننصر قضية اللاجئين وان نشرح ما هم فيه من شقاء . ويحدثنا الدكتور ديفز عن الأوضاع المفجعة التي يعيشون فيها، ولا ريب في ان الأرقام التي تتألف منها الموازنة تبعث على الفزع، وتخلق صورة مفزعة للغاية . فهذه الأرقام تظهر ان اللاجئين يعيشون على ستة سنتات في اليوم، ويشمل ذلك المأوى والغوث والعناية الصحية والتعليم . ولست ارجب في ان اجعل من هذه المخصصات الضئيلة قضية اثريها . فالأمم المتحدة مسؤولة قبل كل شيء عن اللاجئين الفلسطينيين، إذ ان مشكلتهم خلقت على أعتاب هذه المنظمة وكننتيجة مباشرة لمشروع تقسيم عام 1947 الذي أقرته الأمم المتحدة . وما زلنا نذكر، ان التحذير قد وجه إلى الجمعية العامة بان الصراع المسلح لا بد وان يقع نتيجة للتقسيم وان مشكلة اللاجئين لا بد وان تخلق، ولقد اقترح حتى أولئك الذين آثروا ان يقترحوا إلى جانب التقسيم بقلوب يفعمها الأسى، وما زال بعضهم ماثلين هنا، وفي هذه المنظمة، وحول هذه المنضدة .

وقد تحدث مندوب السويد عن مشروع خلق إسرائيل وأود ان اذكره بعباراته البليغة، فقال . . (لا ريب في ان للمشروع جوانبه الضعيفة وبعض أخطائه الخطرة) . ولا ريب في ان هذه الأخطاء الخطرة التي أشار إليها ممثل السويد هي التي خلقت مشكلة اللاجئين .

وقال ممثل كندا، واني لأود ان الفت انتباه ممثلها الحالي هنا، إلى ما قاله سلفه : (ونحن نؤيد هذا المشروع بقلوب مثقلة بالأسى وبكثير من الشك والتشاؤم . ولا ريب في وجود الأسى، إذ ان المشروع انطوى على مشكلة اللاجئين التي كانت مخبوءة في طياته، بل كانت جزءا لا يتجزأ منه . ولا ريب

في ان هذا التشاؤم قد تحقق في المليون وربع المليون من اللاجئين الذين يمثلهم هنا أمام هذه الهيئة الموقرة .

وقال ممثل نيوزيلندة، وأود ان اذكر زميلنا الذي يمثلها الآن والذي تحدث بالأمس في هذه اللجنة حديثا أوثر التعليق عليه في مرحلة لاحقة من بياني، بما قاله سلفه عند إقرار مشروع التقسيم في الجمعية العامة، ان المشروع ينطوي على (عيوب خطيرة) . ولا يمكن تفسير هذه العيوب إلا بوجود مليون وربع المليون من اللاجئين الذين ما فتئوا يعيشون حياة التشرد واللجوء منذ خمسة عشر عاما .

وتحدث وزير خارجية بلجيكا ببلاغة وقوة سحر، إلى الجمعية العامة، ففاه بعبارات تاريخية تنطوي على الكثير من التكهّن إذ قال : (ولسنا على ثقة من عدالة المشروع عدالة كاملة . ونحن نشك في عمليته، كما أننا نخشى ان ينطوي على كثير من الأخطار العظيمة) . حقا انه عراف يتكهن . وقد تحققت تكهنات الوزير البلجيكي عن الأخطار العظمي، وها نحن هنا صورة مصغرة عن هذه الأخطار .

ومضى الوزير بعد ذلك يقول : (ولا ريب في ان مشكلة فلسطين مزعجة بصورة خاصة للبلجيكيين . وعلى البلجيكيين ان يبذلوا جهدا خاصا لكي يفهموا الصهيونية . فالوطن القومي لإخواننا اليهود البلجيكيين هو في بلجيكا نفسها . ولم يسبق لأحد منا ان عاملهم معاملة سيئة تدفعهم إلى البحث عن وطن آخر لهم في فلسطين) .

ولكن البيان الذي أفضى به وفد الولايات المتحدة آنذاك، كان اكثر البيانات إفصاحا وجلاء . فقد كان موقف الولايات المتحدة في ذلك الحين،

وأقول بكل إجلال واحترام، من السذاجة والهدم والتخريب، بحيث يظل حتى هذه اللحظة، موقفا لا يكمن تصوره، وغير مفهوم على الإطلاق . هذه هي عبارات ممثل الولايات المتحدة، في تأييد مشروع التقسيم وخلق إسرائيل . انها عبارات تاريخية، خالية من الصحة، ومن المعنى، بل ومن كل معنى كريم في العرف الدولي . واني لأود ان أتلو هذه العبارات لكي يتيقنوا من إنني لا أتجنى على الولايات المتحدة، بعبارات تحمل طابع العنف والهجوم . فنحن بعيدون عن العنف بطبيعتنا، ولكن المشكلة التي ما زالت حية أمامكم منذ خمسة عشر عاما، ترغمنا على توجيه العبارات العنيفة . اسمعوا ما قاله ممثل الولايات المتحدة آن ذاك :

(ستكون الحدود بين الدولتين العربية واليهودية حدودا ودية وسلمية، كالحدود التي تمتد مسافة ثلاثة آلاف ميل بين كندا والولايات المتحدة) .
يا له من كفر وهرطقة، ان تصدر مثل هذه الأقوال والتكهنات عن مندوب الولايات المتحدة، وان يتكهن بان الحدود بين إسرائيل والدول العربية ستكون ودية وسلمية كالألاف الثلاثة من الأميال التي تفصل الولايات المتحدة عن كندا . وأني لا اعتقد ان كندا، ستحتج على هذا الكفر، وتلك الهرطقة . ولا ريب في ان كل إنسان شريف في العالم سيحتج أيضا . فلقد قتل اكثر من ألف إنسان على الخطوط المصطنعة بين إسرائيل والدول العربية . او ليس في مثل هذا القول في عام 1947، ما يتجاوز حدود السذاجة والتفاهة. ولكنهم يجيئون بعد خمسة عشر عاما ويقولون (حسنا، يبدو ان الكهانة لم تتحقق، وان هناك ما يناقض هذه الأقوال لصعوبة التفاهم بين الفريقين) .

وقد ذكر مندوب المملكة المتحدة، ان بلاده، وجدت بعد خمسة وعشرين عاما من الانتداب، استحالة التوفيق بين الوعود والسياسات المقررة. اجل تطلبت معرفة هذه الحقيقة خمسة وعشرين عاما من المملكة المتحدة . ولا ريب في ان أي طفل، في روضة من رياض الأطفال، واغفروا لي هذا التعبير، إذ يخيل إلي إنني أتحدث عن الرجال لا عن الأطفال، يستطيع ان يدرك، ولتوه، ان هذه الوعود، غير عملية، ويستحيل التوفيق بينها، هذا إذا حكم الطفل ضميره وعقله، والتزم جانب العدل والأنصاف .

وإنني لأرى علائم الدهشة، تبدو على زميلي، ممثل الولايات المتحدة، من أقوالي هذه، ومن حقه ان يدهش فعلا . فهو لا يعرف تاريخ هذه المشكلة. ولقد رأيت في ذلك اليوم يتحدث في موضوع (الإجراءات) ويتطلع حوله، مستنجا بفرسان (الإجراءات) وخبرائها . ولكن عليك يا صديقي، ان تعود إلى سجلات الأمم المتحدة، وان تراجع بيان حكومتك، وان تتمعن في هذا البيان المنطوي على سياسة في منتهى السذاجة، إذ يخلق دولة لها حدود يفترض ان تكون ودية وسلمية كالحدود بين كندا وأمريكا . هذا هو الفرض الذي قامت المأساة بكاملها على أساسه . انه الأساس الذي قامت عليه إسرائيل، عندما تم خلقها في قلب البيت الأبيض .

هذا هو الفهم الذي سيطر على أولئك الذين اقترحوا إلى جانب التقسيم وخلق إسرائيل . أما أولئك الذين عارضوه، فكانوا من الكهنة، الذين صحت كهانتهم متمثلة في المأساة كما هي، دون زيادة أو نقصان .

ولا ريب في ان الكونت برنادوت، كان يفكر بمثل هذا التفكير المفجع، عندما تحدث عن استمرار مسؤولية الأمم المتحدة في موضوع اللاجئين الفلسطينيين .

قال الكونت برنادوت في تقريره عن سير أعماله إلى الأمم المتحدة :
وكننت أود ان يكون الدكتور بانث هنا لأذكره بهذه المناسبات القدرية والتاريخية، لا سيما وقد رأيته حاضرا بالأمس ليدلي بدلوه في قضايا (الإجراءات) متغيبا عن قضايا الجوهرية . .

(لا ريب في ان اللاجئين الفلسطينيين بوصفهم من سكان فلسطين، البلد الذي كان يخضع للانتداب، والذي يتحمل المجتمع الدولي مسؤولية مستمرة عنه، يتطلعون، بحق إلى الأمم المتحدة، ناشدين المساعدة الفعالة منها) .

وعندما تحدث الكونت برنادوت عن (مسؤولية الأمم المتحدة المستمرة) وعن (مساعداتها الفعالة) . ، لم يكن يعني تخصيص ستة سنوات للاجئ الواحد في اليوم، كما أننا لم نأت إلى هنا، لنشكو من هذا المبلغ التافه . إننا جننا لعرض قضيتنا، لا لنشكو من هذه المخصصات الضئيلة التافهة . فهذا إجراء تافه من إجراءات الغوث، لا يكاد يفي بمتطلبات اللاجئين للبقاء على قيد الحياة .

وقد تحدث الكونت برنادوت عن وسائل أخرى، أكثر جدارة بالكرامة الإنسانية، وقيمة الإنسان . فقد مضى في تقريره يقول .

(ولا ريب في ان مسؤولية إسرائيل عن إعادة الممتلكات الخاصة إلى أصحابها من العرب، والتعويض على ما أصاب بعضها من أضرار طائشة، مسؤولية واضحة) .

ولكن منذ ان اصدر الكونت برنادوت هذا الحكم القاطع، لم تعد الممتلكات العربية إلى أصحابها، كما لم تدفع أية تعويضات على ما لحق بعضها من أضرار طائشة . وقد غدت موازنة اللاجئين الآن كاملة، ولا نقص فيها . ولم تنفذ توصيات الكونت برنادوت، بسبب تحدي إسرائيل و صلفها . وقد دفنت جميع هذه التوصيات مع الكونت في مستقره الأزلي الأخير .

وانقضى الآن نحو من خمسة عشر عاما، وما زال اللاجئين يعيشون على الصدقات . وانقضت هذه السنوات الطويلة، وما زال المجتمع الدولي يدفع ثمن تحدي إسرائيل . إنكم تدفعون ثمن التحدي الإسرائيلي، ولا شيء غير هذا التحدي . وقد اغتصبت إسرائيل ممتلكات اللاجئين، كما اغتصبت عائدات هذه الممتلكات ودخلها وما فتئت وكالة الغوث الدولية بقيادة الدكتور ديفيز تتوسل إلى المجتمع الدولي، أين يقدم تبرعاته . وهذا يعني تقديم الإحسان إلى شعب له أملاكه ولا يفتقر هذا الشعب إلى الأرض، أو المال . فله أملاكه وهي أملاك ضخمة، بل أكثر من ضخمة . انها حقا قضية عظيمة، والرد عليها يثير الدهشة والذهول . انه يحسر النقاب عن سرقة دولية لا مثيل لها في الضخامة .

وكثيرا ما تكون الأرقام والإحصاءات جامدة لا روح فيها ولا عاطفة. أما بالنسبة إلى ممتلكات العرب، فان الأرقام تنبض بعواطف الغضب والنقمة والمرارة . ولن أتقدم بأية أدلة في هذا الموضوع، وان كانت الأدلة كثيرة ومتوافرة . ولعل اعتراف إسرائيل وحده دليل كاف، إذ ليس ثمة ما هو أقوى من الاعتراف في حكم الأدلة القانونية.

في الصفحة السابعة عشرة من التقرير الذي قدمته لجنة التحقيق في فلسطين إلى الأمم المتحدة بيان من بن جوريون، عن ممتلكات العرب واليهود في البلاد . قال بن جوريون : (ان العرب يملكون 94 في المائة من مجموع الأراضي، وان اليهود يملكون ستة في المائة) . وبالرغم من اقتضاب هذا الاعتراف، فانه يلقي ضوءا على الأحوال المفجعة التي يعيشها اللاجئون . ويظهر هذا الدليل، ان إسرائيل لا تملك إلا ستة في المائة من الأراضي التي تحتلها . تصوروا هذا التناقض الذي يجمع بين المأساة والمهانة. ترى أية دولة ستكون الولايات المتحدة الأمريكية، لو ان أهل كندا كانوا يملكون أربعة وتسعين في المائة من مجموع أراضيها . ؟ وقد جئت بهذه المقارنة، إرضاء مني لزميلنا المحترم ممثل الولايات المتحدة لأنه يلز له دائما ان يعقد المقارنات بين الولايات المتحدة وكندا . ترى ماذا سيكون حال الولايات المتحدة، لو ان أربعة وتسعين في المائة من أرضها كانت ملكا لأهل كندا، وكان ستة في المائة فقط ملكا لشعب الولايات المتحدة ؟

هذا هو الوضع بالنسبة إلى إسرائيل . إنها لا تملك إلا ستة في المائة من الأرض التي تحتلها، أما ما تبقى، فهو ملك لنا . فهل يصح بعد هذا، ان تكون دولة، وان تنطبق عليها أوضاع الدولة . ولعل هذا واحد من الأسباب الكثيرة التي تحملنا على عدم الاعتراف بإسرائيل، إذ أننا لن نعترف بها أبدا . وهنا لا بد لي أن اذكر بان ذكرنا لإسرائيل هنا، لا ينطوي على أي اعتراف من جانبنا بها، وإنما تسهيل منا لمهمة أعضاء هذه الهيئة الموقرة . إنها لا تمثل دولة في نظرنا كما قلت، بل إنها نتيجة عمل من أعمال الاغتصاب الذي يكون عادة ثمرة من ثمار الغزو، تلحق بالاحتلال العسكري . وهذا هو وضع إسرائيل،

التي لم تقم على أرضها، بل على أرض اللاجئين، على أرضنا نحن، إذ أننا نمثل أصحاب الأرض التي تحتلها إسرائيل الآن عن طريق الغزو، والتي يعتبر وجودها عملاً لا مشروعاً، ومفتقراً إلى الشرعية .

إن إسرائيل هناك على أرضنا وأماكننا . ويحتل الإسرائيليون بيوتنا ومزارعنا . أنهم يزرعون أرضنا، وكرومنا وبياراتنا، وها هم يأتون إليكم هنا، ليقولوا أننا مجرد أفراد عاديين . أنهم يقولون أننا لا نمثل أحداً . وإنما لسنا موجودين، وإن السيد الشقيري لا يمثل حتى الشقيري . هذه هي خلاصة التضليل الذي صدر بالأمس عن الإسرائيلي كومي، عندما كان يعارض في منحي حق الكلام في الأمم المتحدة .

إننا لم نأت إلى هنا لنطلب اعترافاً من أحد، أو لنحصل على وضع معترف به . إننا نستمد قوتنا من شعبنا، شعب فلسطين . إننا نستمدنا من الشعوب العربية، ونحن نحصل على الحب والعطف من جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام في طول العالم وعرضه .

وقد تكرم علي الأفاضل، ممثلو أفغانستان والباكستان ويوجوسلافيا والاتحاد السوفيتي بالأمس، وأطلقوا علي تطفأ منهم لقب رئيس الوفد الفلسطيني . ولكننا لم نأت إلى هنا، لنطلب من الأمم المتحدة، أن تمنحنا هذا اللقب أو ذاك . إننا جئنا نعرض قضيتنا، ولسنا بالذين يستمدون حقوقهم من الأمم المتحدة . فستظل حريتنا ماثلة في الأشجار التي زرعها أسلافنا في وطننا، وستظل قائمة في كنائسنا ومساجدنا، وفي مزارعنا وقرانا وديارنا . وكل ذرة في الأرض المقدسة، دليل على وجودنا، ومن هذا الدليل وحده، نستمد وجودنا هنا في الأمم المتحدة . لا طلباً للرحمة بل طلباً للحق والعدالة . إننا لا نسألكم

الإنصاف، وانما نسألكم العدل . والاعتراف بحقنا الطبيعي الذي لا يمكن نكرانه في أرضنا ووطننا وديارنا .

اننا لسنا مجرد أفراد يا سيدي الرئيس . وإذا كان ثمة من فرد بالنسبة إلى فلسطين، فانه السيد كومي، ولكن كومي، ليس بالفلسطيني على صعيد ما تعنيه فلسطين . أما نحن العشرون شخصا ، الماثلون أمامكم هنا . ففلسطينيون لحما ودماء، منذ وجد التاريخ . وقد انطوى ثراها على رفات آبائنا وأجدادنا . وقد تصبب منا العرق ونحن نفلح أرضها ونزرعها . اننا لم نسرق أحدا ماله . فكل ما فيها لنا . ملك لنا . وحيث يوجد إسرائيليون في أرضها، فانهم يمثلون أفرادا قد سقوقوا منا ديارنا ومالنا . والبيوت التي يقيمون فيها، بيوتنا . والمزارع التي يفلحونها هي مزارعنا، والحدائق التي يجنون ثمارها، هي حدائقنا . أما الأسرة التي ينامون عليها، فهي أسرتنا . وما عليها من غطاء هو غطاءنا . والملاعب التي يأكلون بها، هي ملاعقنا، والأكواب التي يشربون بها هي أكوابنا . إنني لا استعمل التكنية والاستعارات وانما اردد الحقائق والوقائع .

وإني لأطلب إليكم أن توفدوا إلى إسرائيل بعثة تزورها، لتتقنوا من أن ما فيها ملك لنا، نحن العرب . فنحن لسنا مجرد أفراد، وانما نحن أصحاب البلاد . وإني لأقول أن السيد كومي، ليس بالفلسطيني . انه من جنوب أفريقية . ولست هنا في معرض التنديد الشخصي به، ولكنه شاهد حي أمام الأمم المتحدة على ما أقول . وهم يقولون في عرف القانون الإنجليزي، ان البيئة المادية أقوى من البيئة الثانوية، ولا ريب في أن السيد كومي نفسه بيئة مادية أمام الأمم المتحدة على ما أقول : انه ليس بالفلسطيني، وانما جاءها من جنوب أفريقية . انه لا يملك شيئا في فلسطين، على حين نحن نملك كل شيء .

وحتى السيدة جولدا ماير، ليست بال فلسطينية، إنها مواطنة أمريكية . إنها كانت دائما مواطنة أمريكية، وأنا لا اعرف بوجود أي اضطهاد لليهود في الولايات المتحدة . انهم يتمتعون على النقيض من ذلك بمركز ممتاز هنا، وهذا أمر يعرفه الجميع ويقرون به . ولكن، كيف يمكن لمواطنة أمريكية أن تتقلب بين عشية وضحاها إلى مواطنة في إسرائيل، بمجرد أن وطئت قدمها ارض فلسطين، لتصبح وزيرة لخارجيتها، في حين نضل (أفرادا) ونضل (غائبين)، لا وجود لنا، ولا نمثل أحدا . هذا هو التضليل الجنوني المعروض أمامكم في الأمم المتحدة .

وقد أسهبت يا سيدي الرئيس في القول بان الممتلكات العربية لم تكن مجرد قطع من الأرض متناثرة هنا أو هناك، أو مجموعة من العقارات متفرقة في هذه الناحية أو تلك . ويملك اللاجئون العرب الذين يعيشون في المخيمات الان، مدنا وقرى بكاملها، وتظهر سجلات الأمم المتحدة ان ما يملكه العرب في فلسطين، يتألف من نحو من عشرين مدينة، و841 قرية في مجموعها . ومعظم الحقول ويساتين البرتقال . وغابات الزيتون وما تحصل عليه إسرائيل من دولارات، هو ملك للعرب وجزء من ثرواتهم . وليس برتقال يافا الذي تجدونه في كل مكان في أسواق العالم إلا من أملاكنا . فقد زرعناه بعرقنا وتعبنا وجهدنا . وقد اغتصبت إسرائيل دخل العرب القومي لتمويل إسكان المهاجرين اليهود الجدد . ويكفي أن تعرفوا أن مكتب اللاجئين الذي أقامته لجنة التوفيق الدولية، قد أكد أن الأراضي التي هجرها أصحابها من اللاجئين العرب قد بلغت 16. 424 كيلو مترا مربعا . ويستثنى من هذا التقدير المناطق المنزوعة السلاح، والمناطق المحرمة في القدس، وأراضي المشاع العربية المشتركة . وقدر التقرير

التاسع عشر الذي قدمته لجنة التوفيق الدولية إلى الأمم المتحدة في تشرين أول (أكتوبر) عام 1961 الأراضي التي يملكها الأفراد العرب من اللاجئين بنحو من (450) ألف قطعة . ولم تشمل هذه التقديرات بالطبع، الطرز الأخرى من الممتلكات العربية . أما بالنسبة إلى المنتجات العربية، فقد انتج العرب ثمانين في المائة من محصول الحبوب، و 98 في المائة من الزيتون و 70 في المائة من الحمضيات . وينتج اثنان وخمسون محجرا عربيا محصول إسرائيل الحالي من الحجارة الذي تصدره إلى الخارج . بالإضافة إلى مئات المقالع العربية التي تستخدم في أعمال البناء المحلية .

وهكذا فان إسرائيل لم تغتصب كرامتنا أو حمضياتنا أو زيتوننا فحسب، بل اغتصبت حجارنا أيضا، ولم توفره، أنها تسرقها، وتغتصبها، وتجنحها وتصدرها إلى أسواق العالم . ومع هذا يأتي السيد كومي إلى هنا، ويقول بمنتهى الجراءة والشجاعة، اننا لا نمثل شيئا . حسنا أعيدوا إلينا أراضينا واملاكنا، ومحاجرنا، وأنذاك سنصفي حساباتنا، لنرى إذا كنا حقا نمثل شيئا أو لا نمثل، وإذا كنتم انتم تمثلون شيئا أولا تمثلون .

وأنا لا اعرض هذه التفاصيل أمامكم، على اعتبار اننا نريد أن نبيع بلادنا، بل لأننا نريد أن نبين للجنة، ضخامة ما يملكه العرب، لنتمكن من إدراك أهمية تلك الفقرة التي انطوى عليها اقتراح أفغانستان بالتعاون مع بعض الدول الأخرى، بالنسبة إلى ممتلكات اللاجئين العرب وإذا كنتم تريدون ان تتركوا أهمية تلك الفقرة فعليكم أن تتبينوا ضخامة النسب الكبيرة للممتلكات العربية في فلسطين . اننا لن نبيع بلادنا . ولن نتخلى عن وطننا، مقابل كنوز العالم كلها . وقد عرضت هذه الحقائق كلها، لأقول لكم ان اللاجئين الذين يعيش الواحد

منهم، على ستة سنتات في اليوم، قد خلفوا وراءهم ممتلكات تساوي البلايين والبلايين من الدولارات التي اغتصبها إسرائيل . وقد اغتصبت إسرائيل أرضنا في المنطقة، وها هي تغتصب مقعدنا هنا في الأمم المتحدة إذ لو طبق الانتداب البريطاني تطبيقاً سليماً، كما بين المندوب العراقي بالأمس لكان أمامكم الآن ممثل دولة فلسطين، يحتل مقعده الكريم، إلى جوار مقعد الوفد الباكستاني طبقاً للترتيب الهجائي للوفود . ولكن هذا سيتحقق في يوم ما، ونحن على ثقة وبقين من ذلك .

ولأقدم لكم صورة أوضح عن ممتلكات اللاجئين، أرى أن أعقد مقارنة بينها وبين ممتلكات اليهود في فلسطين، إذ أن مثل هذه المقارنة أكثر وضوحاً وبيانا واستقراراً . ولن أعرض عليكم أرقامنا أو إحصاءاتنا، أو أنباءنا الصحفية أو مقتطفات من صحفنا . وإنما سأعرض عليكم أرقام الأمم المتحدة نفسها، وأرقام لجننتها الخاصة بفلسطين . فقد وضعت هذه اللجنة في تقريرها الذي قدمته إلى الأمم المتحدة، بياناً إحصائياً بما يملكه اليهود في فلسطين، على أساس تقسيمها إلى أقضية . ولن أثقل على لجننتكم الموقرة، بتلاوة كل ما في هذا البيان من أرقام، إذ أنني اعتقد أن بعض أرقامه كاف كل الكفاية . ففي عكا مثلاً، وهي على سبيل الإيضاح التاريخي العارض، مسقط رأسي، والمدينة التي انتمي إليها، كما أن هناك مدناً أخرى ينتمي إليها رفاقي في هذا الوفد، لا يملك اليهود أكثر من ثلاثة في المائة من المدينة التي انتمي إليها أجل أن اليهود لا يملكون أكثر من ثلاثة في المائة من المدينة التي انتمي إليها ، ومع ذلك يأتي من يقول : أن الشقيري، لا يعدو أن يكون فرداً هنا، مع أنني، كعربي املك 97 في المائة من الأرض هناك : أرى الآن ما في المنطق الإسرائيلي، من لا

منطق ومن فلسفة ومن معان . وفي جنين مثلاً، التي ينتمي إليها أحد زملائي من أعضاء الوفد، لا يملك اليهود أكثر من واحد في المائة . أما زميلي، فلا يعدو ان يكون فردا لان اليهود يملكون واحدا في المائة، ولأنه يملك تسعة وتسعين . ولذا فان زميلي هو السيد (اللاموجود) بينما كومي هو السيد المطلق .

ولا يملك اليهود في نابلس شبرا واحدا . ويملك اليهود في طولكرم التي ينتمي إليها أحد رفاقي سبعة عشر في المائة، بينما يملك الزميل ما تبقى وهو 83 في المائة . وزميلي يجئ إلى هنا من الأردن . وهو فلسطيني، ومع ذلك فهو سيد (لا موجود)، بينما السيدة جولدا ماير هي كل شيء، لأنها تملك شطرا صغيرا من قضاء كبير . ويملك اليهود في بئر السبع أيضا، واحدا في المائة، واليه ينتمي أحد رفاقي، وهو من اللاجئين، ومع ذلك، فهو لا موجود لأنه يملك تسعة وتسعين في المائة بينما لا يملك اليهود إلا واحدا في المائة .

هذا هو الوضع المؤلم الذي نجد أنفسنا فيه . فلا مكانة شرعية لنا في الأمم المتحدة، إذ لا وجود لنا في عرفهم . ولكن أملكنا موجودة . إنها الأرض هناك . بل إنها البيوت . ومع ذلك فلا وجود لنا . ان اللامنقولات موجودة، أما الأحياء فلا وجود لهم . انهم لا شيء .

وفي منطقة النقب *، التي يمت إليها أيضا أحد الرفاق، لا يملك اليهود، وهذا أمر يتجاوز حدود الخيال، أكثر من نصف واحد في المائة، أنهم لا يملكون واحدا في المائة، بل نصف واحد ومع ذلك فان هذه المنطقة تؤلف نصف

* اعتقد أن هناك خطأ تاريخيا في هذه التسمية الشائعة التي يعتمد فيها اليهود على التوراة أما التسمية العربية التي جاءت في كتب التاريخ العربي فهي صحراء السبع أو البادية الجنوبية.

مساحة فلسطين، أسمعتم ؟ إن اليهود لا يملكون في نصف فلسطين، أكثر من نصف واحد في المائة، أما ما تبقى فهو ملك مشاع للعرب . ومع ذلك، يعتبر العرب، وكان لا وجود لهم على الإطلاق، وكأن ليس لهم حقوق أبدا . فكل شيء ملك لإسرائيل، حتى ولو كانت ملكيتها لها عن طريق السرقة واللصوصية . وقد أصبحت السرقة قانونا دوليا، يمكن السارق من الحياة والامتلاك . وهذا هو الوضع الذي نجد أنفسنا فيه . وليست هذه الملكية الجزئية والتافهة في فلسطين، إلا مظهرا واضحا من مظاهر التفوق العربي فيها .

ولننتقل الآن إلى الدخل، بعد أن تحدثنا عن الممتلكات . وكيفي أن تعرفوا أن الدخل السنوي للممتلكات العربية في فلسطين يصل إلى حدود (47) مليون جنيه إسترليني . أجل أن دخل العرب في فلسطين، يبلغ سبعة وأربعين مليوناً، ولن أتولى المحاسبة، إذ أن الأرقام في مجموعها، عن السنوات الخمس عشرة الماضية تتحدث عن نفسها، لن أتلو الرقم على مسامعكم، ولكن يكفي أن تضربوا هذا الرقم أي (47) مليوناً بخمس عشرة سنة، لتحصلوا على الرقم الإجمالي، الذي يحسر النقاب عن اعظم سرقة دولية سجلها تاريخ الإنسان .

ومع ذلك، فقد يكون ثمة من يتساءل، عن الطريقة التي تتصرف بها إسرائيل بهذا الدخل الهائل للاجئين، أجل كيف تتصرف إسرائيل بدخولنا وعائدتنا ؟ ما الذي تعمله إسرائيل بهذه الملايين السبعة والأربعين في كل عام وكيف تتصرف بها ؟ وهنا لن ألجأ أيضا إلى الأقوال أو المقتطفات الصحفية، وإنما سأعتمد على تقارير إسرائيل وبياناتها ووثائقها، ساحيلكم إلى الصفحة الثالثة والأربعين من الملخص الرسمي لتقرير الوكالة اليهودية بتاريخ الخامس

والعشرين من أيار (مايو) عام 1951 . وفي وسعكم ان تحصلوا على هذا الملخص في مكتبة الأمم المتحدة، إذا شاء أحدكم أن يرجع إليه . وإذا ما قلبتم صفحاته، ووصلتم إلى الصفحة الثالثة والأربعين فستعثروا على الحقائق التالية : يصرف أربعون في المائة من الدخل على أعمال التعمير والإصلاح، وهو رقم مزيف لا أود الخوض في بيان ما فيه من زيف، ويدفع (25) في المائة من الدخل كضرائب، وهو رقم لا أريد مناقشته أيضا . وينفق (12) في المائة على أعمال التطوير والتنمية، وما الحاصل بعد كل هذه المدفوعات . انه عشرة في المائة ليس إلا من الدخل، لن أخوض في الحديث عن الأرقام المزيفة السابقة، ولا عن التقديرات الكاذبة، ولكنني سأحصر بحثي في هذا الرقم الضئيل المتبقي وهو عشرة في المائة ليس إلا .

ان هذا الرقم الصغير التافه، لا يدفع إلينا أيضا . انه لا يدفع إلى اللاجئين، وكان من المتوقع أن تدفع إسرائيل هذا المتبقي من العائدات إلى اللاجئين اما عن طريق لجنة التوفيق الدولية أو عن طريق الدكتور ديفيز . اجل كان من المتوقع أن يدفع للاجئين الذين يعيشون على فتات السنوات الستة في اليوم، حياة الضنك والشقاء والعذاب والألم . هل سمعتم، ان هذه العشرة الباقية من الدخل، بعد خصم كافة الأرقام الزائفة، لا تدفع إلى الدكتور ديفيز أو لجنة التوفيق الدولية، لتصل إلى اللاجئين، وانما تدفعها إسرائيل، إلى إسرائيل نفسها . إنها تنتقل من أيدٍ إسرائيلية إلى أيدٍ إسرائيلية أخرى . إنها تستخدم بعد خصم كل تلك النفقات الزائفة في إسكان المهاجرين اليهود . ان العشرة الباقية من المائة تستخدم في إسكان المهاجرين اليهود . بدلا من دفعها إلى اللاجئين، ليتمكنوا

عن طريقها من الحياة والبقاء على دخل ممتلكاتهم . بدلا من إثقال عاتق الأمم المتحدة بالتزاماتها المالية تجاه وكالة الغوث الدولية.

وفي الوقت الذي يعيش فيه اللاجئون حياة الضنك والفاقة على السنوات الستة، تنفق إسرائيل العشرة المتبقية من المائة من دخلنا على إسكان المهاجرين اليهود . تصوروا المأساة . إسكان المهاجرين اليهود على الأرض العربية ويساعدون على إسكانهم هذا برؤوس أموالنا، ودخل ممتلكاتنا . إنها الجريمة التي لا تضاهيها جريمة في فدايتها وهولها .

وهكذا لم تكتف إسرائيل باغتصاب ممتلكات اللاجئين فحسب بل حرمتهم من عائلاتها أيضا . وبحرمانهم هذا من عائلاتهم، حرمتهم إسرائيل حقهم الفطري في العيش، بل ومن حقهم الأصيل في البقاء كبشر وفي وسعكم أن تحرموا إنسانا من حقه في الحرية والديمقراطية، بل ومن حقه في العبادة أيضا . ولكن بحق السماء، كيف يمكن حرمان إنسان من حقه في العيش كإنسان في هذا العالم، بل في هذا الكون . كيف يمكن حرمانه من الحياة، والتخلي عنه ليعيش على الصدقات ؟ ولعل مما يشين الدول التي تتبرع لوكالة الغوث الدولية ومما يشرفها في الوقت نفسه إن هؤلاء الناس، الذين يعيشون على صدقاتها، يملكون من الممتلكات أضخمها، ومن الدخل أعظمه . هذه هي أهمية مشروع القرار المعروف باسم أفغانستان وغيرها من الدول الأعضاء على هذه اللجنة وهذا هو جوهره .

وعندما يطرد شعب بأسره من وطنه، وتسلب منه ممتلكاته ويغتصب دخله، ويعيش على حافة الموت جوعا، فإن هذا لا يعدو أن يكون قتلا بالجملة،

يقترف تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها، وعلى مرأى من العالم المتحضر بكامله .

لسنا هنا في معرض البلاغة، في الخطابة والقول . وقد سبق لزميلنا مندوب الولايات المتحدة، أن ذكر أمامكم، في هذه اللجنة، إن البلاغة والخطب النارية، لن تخدم مصلحة اللاجئين، ولست اعرف نفسي خطيباً، أو متكلماً ناري العبارة . ولكن هناك ،وراءنا يقبع وضع ملتهب، تنطلق النار منه، وليس من العار أن يلقي المرء خطاباً نارياً، وإنما العار، هو ما قامت به تلك الدول الكبرى، من خلقها لأوضاع ملتهبة يتدفق النار منها، وتحمل الناس على إلقاء الخطب النارية، ثم ماذا تجدي الخطب النارية على أي حال ؟ إن وراءها وضعاً سيئاً لشعب بأسره، يعيش على آلامه ومأساته، ويحيا حياة اللجوء والتشرد منذ أكثر من خمسة عشر عاماً، وإذا كان ثمة من عار في هذا العالم، فانه ليس ثمرة الخطب النارية أو العبارات الساعرة وإنما هو نتيجة خلق هذا الوضع المتهلب الذي يؤدي إلى إلقاء الخطب النارية، ولا ريب في أننا سنخون قضيتنا، يا سيدي الرئيس، يا زميلي ممثل الولايات المتحدة، لو أننا جئنا إلى هنا، دون هذه الخطب النارية .

أهناك ما يغضبك، يا زميلي، ممثل الولايات المتحدة، لو أنك استمعت إلى لحن جنائزي ؟ أنك لن تحتج على هذا اللحن بالتأكيد أيها الزميل، إذ إن وراء هذا اللحن، جنازة فعلية . ووراء هذه الخطب النارية التي تسمعها أيها الزميل من أعضاء الوفود العربية، ووفد فلسطين وضعاً نارياً ملتهباً، يمثل اعظم إجحاف عرفه تاريخ العالم، وليس ثمة ما يشيننا لو أننا القينا خطاباً نارياً، ولست في حاجة إلى تذكير الزميل، بأن الخطب النارية هي إحدى كنوز

حضارتنا وثقافتنا . وما قيمة الثورة الأمريكية لو لم تكن هناك تلك الكنوز من الخطب النارية التي ألقاها خطباء أمريكا العظام ابان الثورة ؟ فقد كانت الخطب النارية في أمريكا التعبير اللاهب الساعر عن الثورة على الاستعمار، استعمار المملكة المتحدة . وكانت تلك الأوضاع اللاهبة التي تميز بها استعمار بريطانيا، هي التي أدت إلى صدور تلك الخطب النارية في عهد الثورة الأمريكية، وإلى قيام تلك الثورة التي تعتبر من اعظم ما حققه عالمنا المعاصر . وما قيمة الثورة الفرنسية بدون ميرابو أو غيره من خطباء الجمعية الوطنية ؟ اجل ما قيمتها بدون تلك المجموعة من الخطباء الذين يعتبرون من أهم كنوز عالمنا الراهن . لا ريب في أن الثورة ستخلو من كل معنى لها بل ومن كل وجود، لولا هؤلاء الخطباء . ولو لم يكن هناك هؤلاء الخطباء العظام، لما كانت ثمة هاتان الثورتان العظيمتان .

وإذا كان لابد لك أيها الزميل، من توجيه اللوم والتثريب، فعليك ان توجههما إلى ذلك الوضع اللاهب الساعر، اجل إلى تلك الأسباب الملهبة التي أدت إلى هذه الخطب النارية . ثم ما هو هذا (الميثاق)، الذي تشير إليه بين الفينة والفينة . إنني أرى بعض إخواني من أعضاء الوفود، يشيرون إلى بعض النصوص المعينة في الميثاق، بين آونة وأخرى وهل ميثاق الأمم المتحدة نفسه، إلا قطعة بليغة ملتهبة من آثار عالمنا المتحضر ؟ اجل ما مضامين هذا الميثاق ؟ ليس (الاستقلال) الذي يعتبر من هذه المضامين، إلا تعبيراً نارياً ضد (التبعية) وليست الكرامة الإنسانية التي نص عليها الميثاق إلا تعبيراً نارياً ضد (الإذلال الإنساني)، وليست (السيادة) التي تعتبر من دعائم ميثاق الأمم

المتحدة، إلا تعبيراً نارياً ضد (الاستعمار) و(الاستيطان الاستعماري)، ان الميثاق بكامله أداة من أدوات التعبير الناري الملتهب .

دعوني اذكر زميلنا الأمريكي الموقر، فان مشكلة (التفرقة العنصرية) في الولايات المتحدة الأمريكية، ليست إلا تعبيراً نارياً في الدفاع عن المساواة بين الناس، هنا وفي الولايات المتحدة . ولم نعالج قضية الصراع العنصري في الولايات المتحدة، في تعابير جامعة، قاسية، وصلبة، وانما عالجه الرئيس كندي نفسه، وغيره من قادة أمريكا سواء أكانوا من السود أو من البيض، بتعابير نارية ملتهبة . علينا ألا نأخذ على ما في خطبنا وبياناتنا من حدة والتهاب . وإذا كان لابد من مأخذ، فانه يجب أن يوجه إلى سياسة الولايات المتحدة التي أدت إلى هذا الوضع اللاهيب، والتي أثمرت هذه الخطب النارية في الأمم المتحدة .

أيجوز لي أن أسألك، أيها الزميل، عن شكل خطابك، لو كان عندكم في الولايات المتحدة نحو من مائة مليون لاجئ ؟ وإنني لأحدد هذا الرقم، لان هذه هي نسبة اللاجئين في شعبنا، إذا ما طبقت النسبة على شعب الولايات المتحدة، أو تعرف ماذا يعني هذا ؟ ولو كانت لديكم مشكلة لاجئين، لعنت هذه النسبة وجود مائة مليون منهم، أي من اللاجئين الأمريكيين . ولو كانت لديكم مثل هذه المشكلة، وعلى هذا القياس، اكنت تأتي إلى الأمم المتحدة، لتتحدث بلغة جامدة وتعابير جامدة، فيها اللطف والوداعة، شارحا فيها هذه المشكلة الرهيبة ؟ إنني أرد على سؤالي هذا بالنفي، وأؤكد انك لن تفعل ذلك . إنني على ثقة من انك لن تفعل ذلك، ولديمن السوابق ما يؤكد ثقتي هذه .

دعني أذكرك ببعض الخطب التي ألقاها السفير كابوت لودج، عندما كان ممثلاً لبلادك في الأمم المتحدة . فعندما تحدث السفير قبل سنوات، هنا،

في الجمعية العامة في موضوع الطيارين الأحد عشر، الذين احتجزتهم (الصين الحمراء)، أخذت الدورة كلها، بالعواطف والأحاسيس، التي انطلقت عن السفير لودج في خطبه، وان كنا جميعا نعرف انه ليس بالإنسان العاطفي، لا انتقاصا من قدره، بل تبياننا لحقيقة تتصل بسلوكه، فهذه هي شيمته، وهذه هي أخلاقه، انه رجل ذو عقل (بارد) وان تميز فؤاده بالدفء والحرارة . وقد جاء إلى الأمم المتحدة ليدافع عن قضية أحد عشر طيارا، لا مليون ولا حتى ربع مليوناً . أحد عشر طيارا احتجزتهم (الصين الحمراء) وقد ألب الأمم المتحدة كلها على (الصين الحمراء) وأحالها إلى جحيم، لان أحد عشر شخصا احتجزوا فيها لبضعة أيام . وقد ناشد العالم كله، أن يعمل على إطلاق سراحهم، لان عيد الميلاد كان على الأبواب ولان الواجب يقضى، بان يمضى هؤلاء المحتجزون العيد مع أسرهم .

ترى كم عدد الاعياد التي قضيناها، بعيدا عن بلادنا المقدسة ؟ ان خمسة عشر عاما قد انقضت، دون أن نتمكن من صرف العيد في بيوتنا على النحو الذي أراده الممثل الأمريكي للطيارين الأحد عشر، اولسنا من البشر أيضا ؟ أو ليس من حقنا أن نحتفل بأعياد الميلاد المقدسة وان نمضيها مع أسرنا أيضا ؟ كانت هذه هي قصة السفير لودج، ولكنها كانت قصة قديمة فلننتقل منها إلى قصة احدث عهدا واكثر جدة، اجل لنصل إلى قصة السفير ستيفنسون، وهو رجل شجاع ذو مواهب رئاسية، بل وذو مزايا عظيمة .

تذكرون ولا شك أبان أزمة كوبا، كيف وجه ستيفنسون، وهو في مجلس الأمن سؤاله إلى ممثل الاتحاد السوفيتي، طالبا الرد، اما بالسلب أو الإيجاب، مستخدما أقصى ما يمكن من العواطف والحماس، وكيف ان الممثل السوفيتي

رفض بكل برود وإصرار، الرد على هذا السؤال، وعاد السفير ستيفنسون يقول :
(أجبنى سلبا أو إيجابا) وهو يصرخ فعاد ممثل الاتحاد السوفيتي يكرر الرفض،
وراح السفير ستيفنسون يقول ... سأنتظر ردك على هذا السؤال، عندما ينتهي
تجمد جهنم .

أو ليس هذا القول، بيانا ناريا ؟ أو ليست هذه بلاغة خطابية ملتهبة ؟
انها اكثر من مجرد تعبير ناري . إنها تعبير جهنمي، إذ اننا نتحدث عن تجمد
الجحيم، ولا يعرف إلا الله وحده متى تتجمد الجحيم . ومع هذا، يقوم ممثل
الولايات المتحدة، في هذه اللجنة، ويتحدث عن التعابير النارية ناسيا او متناسيا
ان ممثلي الولايات المتحدة ودبلوماسييهيها لا يستخدمون التعابير النارية وحدها،
إذا حزب الأمر، بل يمضون أيضا إلى مغامرات نارية .

دعوني الفت انتباه لجننتكم الموقرة، إلى شطر من تقرير المستر ديفيز
يتعلق بوضع (325) ألفا يعيشون في أوضاع التضور جوعا، وبينهم على حد
تعبير المستر ديفيز سبعة آلاف من قبيلة العزازمة تعرضوا لزيارة مرض السل،
اجل زارهم السل، وهم على وشك التضور جوعا، وعلى شفير الموت أيضا، أو
ليس هذا هو القتل الجماعي بعينه، ومع ذلك نجد هنا من يدعوننا إلى المجيء،
للتعبير عن آرائنا بصورة تقتقر إلى العاطفة والحماسة . هناك ثلاثمائة وخمسة
وعشرون ألفا من البشر، يصفهم تقرير المدير العام لوكالة الغوث، بأنهم على
وشك التضور جوعا ومنهم سبعة آلاف من العزازمة من أهل منطقة النقب التي
يملكون فيها كما اسلفت وبينت تسعة وتسعين في المائة من أرضها، يهددهم
خطر السل، ومع هذا يقوم ممثل الولايات المتحدة، فيتقدم إلينا بنصيحة معسولة،
وهي ان نبتعد عن الخطب النارية .

أنا لا اعرف أن ثمة في الأمم المتحدة، ثلاثة نستطيع أن نقبع فيها، لنبرد عواطفنا، حتى نجئ إلى هنا، وكأننا سمك مثلج مقدد، لا يعبر عن أية عواطف حماسية . ان عواطفنا حقيقية واقعية، ومن واجب الأمم المتحدة، ان تأخذها في حسابها .

وقد سمعت من يقول، ان إسرائيل استولت على أملاك اللاجئين بحكم قوانينها وتشريعاتها . ولكن ردي على هذا القول، بسيط وواضح أن هذا هو القتل الجماعي، مرتديا لباس القانون . فقد سنت إسرائيل حتى الآن ستة من التشريعات القانونية للتصرف بملكات اللاجئين، إنها لا تحمل طابع القانون إلا في اسمها، وذلك لأنها تحد صارخ لمفهوم القانون وروحه . ولا مكان لها في حرم القانون المقدس، تماما كاستحالة تسمية التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا بالقانون . وتعرف اللجنة الموقرة قوانين التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا . انها تحمل اسم التشريع القانوني، ولكن جميع علماء القانون في العالم، لا يعتبرونها قانونا على الإطلاق . ولا ريب في أن قوانين إسرائيل هذه لا تخرج عن صعيد القوانين المذكورة في جنوب افريقيا .

فاللاجئون ليسوا من الغائبين على الإطلاق . انهم مطرودون لان إسرائيل قد طردتهم . اجل إن إسرائيل تطرد اللاجئين وتعتبرهم من الغائبين . ولا يمكن أن يعتبر هذا غيابا من جانب اللاجئين . ولا ريب في أن الافتقار الكلي إلى الضمير الإنساني، هو الذي يعتبرهم من الغائبين وكل عربي داخل إسرائيل نفسها ينتقل من ناحية في المدينة التي يعيش فيها، إلى ناحية أخرى، يعتبر في عرف التشريع الإسرائيلي، غائبا يعرضه انتقاله هذا، لانتزاع ملكية أملاكه منه .

اسمعوا ما يقوله دون بيريتز المؤلف الأمريكي الذي تولى دراسة هذا الموضوع .

(اصبح كل عربي في فلسطين ترك مدينته أو قريته بعد التاسع والعشرين من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1947، يعتبر في ظل التشريع الإسرائيلي غائبا . وقد اعتبر جميع العرب من ذوي الأملاك في القسم الجديد من مدينة عكا من الغائبين مع انهم لم ينتقلوا اكثر من بضعة أمتار، عند تحولهم إلى المدينة القديمة، وتعرض نحو من ثلاثين ألف عربي، هربوا من مكان إلى آخر، داخل إسرائيل نفسها، إلى اعتبارهم من الغائبين، مع انهم لم يتركوا البلاد لحظة واحدة . واعتبر كل عربي زار بيروت أو بيت لحم، يوما واحد، في الأيام الأخيرة من الانتداب البريطاني غائبا، تنتزع أملاكه منه) .

هل سمعتم هذا ؟ انه ليس صادرا عن مصدر عربي، انه مصدر أمريكي يتكلم بحرية فكر واستقلال رأي .

ولو طبقنا شريعة إسرائيل على هذه المدينة، نيويورك، لتبين لنا أن كل من ينتقل فيها من ناحية إلى أخرى، يعتبر غائبا، يجيز القانون انتزاع ملكية أملاكه منه، وقد يعتبر الواحد منكم غائبا، لو انه انتقل من قاعة الأعضاء إلى قاعة مجلس الأمن، داخل بناء الأمم المتحدة نفسه، ويتعرض بذلك لمصادرة أملاكه، لو لم تكن هناك للأمم المتحدة حصاناتها وامتيازاتها .

وتتيح لنا هذه الصورة ان نذكر . ان اليهود قد طردوا من بيوتهم في العهد النازي، وانتزعت أملاكهم منهم. وقد ابتكرت في ألمانيا النازية، بل في جميع البلاد التي اجتاحتها ألمانيا، قوانين عدة، لتبرير سرقة الممتلكات اليهودية ولكن ثار الضمير الأوروبي بعد تحطيم النازية، وارتفع صوت العالم بأسره

احتجاجا على هذا الطغيان . وكلنا يذكر، ان هذه القوانين النازية كلها . قد اعتبرت وحشية وهمجية ولا متحضرة وعندما حررت قوات الحلفاء أوروبا، قامت جميع الحكومات الأوروبية بإلغاء هذه القوانين . واستصدرت قوانين قومية جديدة، لتحل محل هذه القوانين النازية .

واني لأذكر المندوب الأمريكي في هذه اللجنة، بان سلطات الاحتلال الأمريكية في ألمانيا أصدرت في التاسع من آب (أغسطس) عام 1949 قانونا في منطقتها، أسمته (قانون التعويضات العامة) وقد نص على أن من حق كل إنسان، تضررت ممتلكاته في ألمانيا النازية على اسس عنصرية أو دينية أو عقائدية أن يحصل على التعويض اللازم . وقد استغل اليهود هذا القانون، غاية الاستغلال، وأفادوا منه اجزل الفوائد .

وأود أن اذكر المندوب البريطاني بان سلطات الاحتلال البريطانية في ألمانيا أصدرت قانونا في منطقة احتلالها، يحمل رقم (59) ويدعى قانون (التعويض على أملاك ضحايا الطغيان النازي) وذلك في الثاني عشر من أيار (مايو) عام 1949، وتنص المادة الأولى من هذا القانون على وجوب السرعة في إعادة الممتلكات التي انتزعت بصورة غير عادلة، لأسباب تتعلق بالعنصر أو الدين أو الجنسية أو الآراء السياسية سواء أكان أصحابها أفرادا، أو هيئات ذات شخصية قانونية، وكان اليهود أول من أفاد من هذا التشريع البريطاني .

وصدرت قوانين عدة في دول المحور السابقة والدول التي كان المحور يحتلها للتعويض على الممتلكات التي كان يملكها ضحايا الاضطهاد النازي وذلك بعد إلغاء القوانين النازية، واني أود هنا أن أفت أنظار ممثلي هذه البلاد إلى هذه القوانين .

ففي فرنسا صدر مرسوم بتاريخ الرابع عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1944 ينص على إعادة الممتلكات اليهودية إلى أصحابها .

وفي رومانيا صدر قانون في التاسع عشر من كانون أول (ديسمبر) عام 1994 يتناول بصورة خاصة إعادة جميع حقوق الملكية إلى اليهود .

وفي بلغاريا، صدر مرسوم بقانون في الرابع والعشرين من شباط (فبراير) عام 1945، ينص على التعويض على كافة الأضرار المادية التي نجمت عن القوانين المناهضة لليهود .

واصدر رئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا في التاسع عشر من أيار (مايو) عام 1945، مرسوما يقضى بإلغاء بعض عمليات البيع المتعلقة بالممتلكات التي جرت في عهد الاحتلال النازي، وأن تتولى الدولة إدارة الممتلكات التي تخص الألمان والخونة والمتعاونين وبعض المنظمات والمؤسسات .

وصدر مرسوم في هولنده في السابع عشر من أيلول (سبتمبر) عام 1944 وكان من الشمول بحيث عالج كافة المشاكل التي يشملها تعريف (إعادة العدالة) . ولا يطلب اللاجئين طبقا لمشروع القرار المعروض عليكم الآن أيها السادة أكثر من إعادة العدالة، هذا إذ شئنا استعارة تعبير التشريع الهولندي .

وتحدث قانون الرابع والعشرين من أيار (مايو) عام 1945 في يوجوسلافيا بالتفصيل عن إجراءات الملكية بالنسبة إلى الممتلكات التي اظطر أصحابها إلى هجرها عند الاحتلال النازي وكذلك بالنسبة إلى الممتلكات التي اغتصبها المحتلون وأنصارهم . وقد صفق العالم المتحضر بأسره لهذه القوانين التي أصبحت الآن جزءا لا يتجزأ من قانونها الدولي الحديث، الذي اكتسب سمعة دولية . ولا ريب في أن هذه القوانين الأوروبية تعتبر في جوهرها إلغاء

للإجراءات الإسرائيلية بالنسبة إلى ممتلكات اللاجئين وقد تأثر ضمير أوروبا والشعوب الأوروبية بالنسبة إلى الممتلكات اليهودية وكانت إعادة هذه الممتلكات هي العلاج الوحيد . وكانت هذه الإجراءات من الثمار الأولى للحرب الكونية الثانية عن طريق الأمم المتحدة التي أضفت اسمها على المنظمة المعروفة باسمها، ترى هل يتحرك ضمير الأمم المتحدة وهل يستيقظ ضمير الجنس البشري لحماية ممتلكات اللاجئين العرب، كما حمت ممتلكات اللاجئين اليهود ؟ ان هذا السؤال ظل ينتظر الجواب نحو من خمسة عشر عاما، وما زال ينتظر الرد حتى اليوم، بشيء من العدالة والإنصاف والصدق.

والواجب يلزم الأمم المتحدة بحماية حقوق اللاجئين ومصالحهم ومن الضروري تسليم ممتلكات العرب وعائدتها إلى اللاجئين . وقد أخطأت الأمم المتحدة في عام 1947 عندما ادعت لنفسها صلاحية معالجة مشكلة فلسطين. ولما كانت الأمم المتحدة قد فعلت ذلك . فليس في وسعها الآن أن تتراجع وان تدعي ان لا صلاحية لها . إذ لما كنتم قد ادعيتم لأنفسكم الصلاحية والسلطان، وعلمتم بموجب هذه الصلاحية وبقوة ذلك السلطان، فليس في وسعكم ان تدعوا اليوم أن لا حول لكم ولا طول . ولما كنتم قد تدخلتم في المشكلة في عام 1947، فليس في وسعكم ان تتقاعسوا الآن في عام 1963 وان تقفوا موقف المتفرج من المأساة . ولعل اقل ما يمكن من الإنصاف، هو أن تزيلوا الإجحاف الذي ألحقتموه في الماضي . وإذا ما أعدتم إلى العرب ممتلكاتهم، فستحرروا من تلك الالتزامات المالية الكبيرة التي تثقل ظهور أعضاء الأمم المتحدة اليوم وسيعيش اللاجئين على دخل ممتلكاتهم، لا على الصدقات والإحسان مهما كانت هذه كبيرة . إذ أنها تحطم الكرامة الإنسانية . اننا لا ننشد الرحمة ولا

نطلبها على الإطلاق إنما نحن نطالب بحقوقنا . حقوقنا التي لا تقبل النقاش والجدال . ومن واجب الأمم المتحدة ان تعيد إلينا حقوقنا ، هذا إذا أرادت أن تكون جديرة بميثاقها، وبالمبادئ الرفيعة التي ينطوي عليها الميثاق . ومن الواجب حماية حقوقنا وصيانتها، ولا ريب في ان هذا هو الواجب الذي يتحتم على الأمم المتحدة ان تؤديه، لا عن طريق قرار شفوي فحسب . سواء أتم العمل عن طريق حارس أو عن طريق يوثانت الإداري الدولي العظيم أو عن طريق المستر ديفيز أو أي من خلفائه أو عن أي سبيل آخر، فمن الواجب القيام بعمل ما لإعادة الممتلكات إلى اللاجئين العرب، ولدفع عائداتها إليهم .

وقد نصت قرارات الأمم المتحدة، هذا إذا شئنا الحديث من زاوية المنظمة الدولية وحدها على ضمان حقوق اللاجئين، وقد عادت الجمعية العامة إلى تأكيد هذه القرارات سنة بعد سنة، طيلة خمسة عشر عاما . وتضمن قرار عام 1947، وأنا أتحدث هنا من زاوية الأمم المتحدة وحدها ثلاثة فصول، تنص على حماية حقوق اللاجئين، وحماية حقوق الشعب العربي في أراضيه، وحرية مرور أفرادهم إلى ممتلكاتهم وإلى الأماكن المقدسة. اجل تضمنت ثلاثة فصول طويلة . بإسهاب وإطناب، في قرار عام 1947، هذه الحقوق الإنسانية . وعلى ضوء هذه الحقيقة، ليس في وسعكم أن تتقاعسوا، وان تقولوا، أن ليس لديكم الصلاحيات، وان ليس في امكانكم ان تتدخلوا، لان الأرض في حيازة إسرائيل، وهذه تدعى حقوق السيادة الكاملة . واني لأقول، أن ليس لإسرائيل سيادة في هذه القضية، إذ أنكم منذ البداية، أي منذ نشوء القضية في عام 1947، وضعت عددا من الشروط، ضمتموها ثلاثة فصول كاملة، لحماية حقوق العرب في ممتلكاتهم، وصيانة حقوقهم الانسانية . ولما كنتم قد افترضتم لانفسكم

الصلاحيات والقدرة على العمل في عام 1947، فليس في وسعكم الآن أن تتقاعسوا وان تدعوا العجز، وعدم الصلاحية، بحجة أن الأرض تحت سيادة إسرائيل . ودعوني أذكركم، ان إسرائيل لا تملك الصلاحية القانونية في الموضوع حتى بموجب قرار عام 1947 . اجل أن إسرائيل لا تملك هذه الصلاحية، فهي الدولة الوحيدة العضو في الأمم المتحدة، التي تولت المنظمة الدولية، نفسها إعداد دستورها وصياغته .

وكلكم يعرف أن شعوبكم هي التي وضعت دساتيرها، لأنها جاءت معبرة عن إرادة هذه الشعوب . اجل انكم انتم الذين صنعتم دساتيركم لأنفسكم. أما بالنسبة إلى إسرائيل، فان دستورها نتيجة صياغة القرار الذي وضعته الأمم المتحدة في عام 1947 . وهو قرار نص على أن ليس في وسع إسرائيل أن تشرع أي قانون عن ممتلكات شعب فلسطين، أو يتعارض مع حقوقه الإنسانية . وهكذا فان ثمة نقضا لما تقررره إسرائيل، نقضا تضمنه قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة، وقد نص هذا النقض على أن ليس من حق إسرائيل أن تضع تشريعا، أو تتخذ قرارا يؤثر على حقوق شعب فلسطين في أملاكه أو على حقوقه الإنسانية .

وأود أن اذكر زميلنا، مندوب الولايات المتحدة، بان موضوع ممتلكات اللاجئين، قضية لا تقبل النقاش والجدال . فقد سمعته يقول في البيان الذي ألقاه في هذه اللجنة، بأنه لا يود ان يسمع مقترحات قابلة للجدل والنقاش تثار من جديد، حقا إنني لا افهم، ولا اعرف كيف نعرف الاقتراح القابل للجدل والنقاش . ترى ما هو هذا الاقتراح؟ ويخيل إلي أن الولايات المتحدة، تود أن تعتبر كل اقتراح لا ترضى عنه إسرائيل، اقتراحا يقبل الجدل والنقاش. هذه هي القاعدة

التي وضعتها الولايات المتحدة لنفسها، للحكم على ما إذا كان أي اقتراح، قابلا فعلا للجدل والنقاش .

ترى أين كانت حكمة الولايات المتحدة في تجنب الاقتراحات والقرارات القابلة للجدل والنقاش ؟ أين كانت هذه الحكمة في عام 1947، عندما قامت الولايات المتحدة، بإرغام الأمم المتحدة، على اتخاذ أكثر القرارات هداما، وتقبلا للجدل والنقاش في عام 1947، وهو القرار الذي قضى بتقسيم فلسطين وإقامة إسرائيل ؟ وهل كانت إقامة إسرائيل شيئا يتقبله العالم وشعب البلاد بلا جدل ولا نقاش ؟ أجل هل كانت قضية تقبلها أهل البلاد وأصحابها الشرعيون ؟ إنها كانت اقتراحا من النوع الذي يتعرض للجدل والنقاش والمعارضة . وقد عارضنا آنذاك، وقلنا أن ليس من حق الأمم المتحدة أن تقسم أرضنا وأن تقيم عليها، دولة غريبة . انه قرار أثار الجدل والنقاش والاعتراض .

وقد نصحن الولايات المتحدة بالا تمضي قدما في اقتراحها، وقلنا لها ان اقتراحها لا يثير الجدل والاعتراض فحسب، بل ويعتبر اقتراحا مخربا وهداما . ولكن الولايات المتحدة لم ترض بنصيحتنا واعتراضنا . فأين كانت هذه الحكمة التي تظهرها اليوم مختفية آنذاك ؟ ولم لم تتجل هذه الحكمة في تلك الأيام في البيت الأبيض ؟ إنها كانت ضائعة عندما خلقت إسرائيل في البيت الأبيض، بل في حضنه، إذا جاز لي أن اعبر هذا التعبير الصادق . أجل أين كانت تلك الحكمة ؟ إنها تكتشف الآن تماما كما اكتشفت أمريكا في القرون الوسطى . أن أمريكا لم تكتشف حكمة (الاقتراحات القابلة للجدل والاعتراض) إلا في الساعة قبل الأخيرة، بعد أن كان الضرر قد نزل وحم، وبعد أن شرد اللاجئين وطردها من ديارهم، ليقذفوا خارج أوطانهم، وليأتي ممثلها المحترم هنا، وقد تدرع بحكمة

سليمان، بعد خمسة عشر عاما ليقول... اننا لا نريد أن نبعث إلى الحياة اقتراحات قابلة للجدل والنقاش . ولكن الاقتراح المتعلق بملكات اللاجئين . وهذا ما أريد تأكيده، ليس قابلا للجدل والاعتراض . ولنعد إلى بعثة كلاب ولعل الكثيرين من زملائي هنا لا يعرفون شيئا عن بعثة كلاب هذه .

حملت بعثة كلاب اسمها من رئيسها المستر كلاب . انه مواطن عظيم وبارز . وقد كان رئيسا للبعثة التي أوفدتها لجنة التوفيق الدولية . لتولي دراسة مشكلة اللاجئين على الطبيعة وفي أرضها . وقد عادت البعثة على أي حال، باقتراح قدمته . تحدث فيه عن (325) ألفا من الناس عزلتهم خطوط الهدنة عن أراضيهم ومراعيهم ومصادر ثرائهم . انهم (325) ألفا، يعيشون في (118) بلدة وقرية، فصلتها خطوط الهدنة عن أراضيها . انهم لا يستطيعون زراعة أراضيهم، ولا يستطيعون رعاية مواشيهم في مراعيها . انهم عاجزون عن الذهاب إلى آبارهم، وهي المصدر الوحيد الذي يستطيعون منه أن يحصلوا على مياه الشرب لهم ولماشيتهم .

وقد رفع المستر كلاب تقريره إلى الجمعية العامة، وضمنه اقتراحا ينطوي على مشروع قرار . والمستر كلاب مواطن أمريكي، أوفد في بعثة لدراسة قضية اللاجئين ولا سيما أولئك الذين يعدون (325) ألفا والذين غدوا بلا ارض، وعاجزين عن الحياة، لان قوائم المستر ديفيز بأسماء اللاجئين لا تتضمنهم، ولأنهم لا يستطيعون الوصول إلى أراضيهم لفلاحتها . ولا ريب في أنكم تعرفون بان خط الهدنة، قد عزل القرى عن أراضيها، وفصل بين الناس وذويهم هم، بل بين الوالد وولده . انه جزءاً أحد المستشفيات إلى جزئين، يقع أحدهما على

الجانب الإسرائيلي من الحدود، ويقع الثاني على الجانب العربي منها. هذه هي الحدود التي شكا منها المستر كلاب في تقريره إلى الأمم المتحدة .

وهناك مدرسة في الجانب الإسرائيلي من الحدود، على حين يقيم طلابها وكلهم من الأطفال، على الجانب الآخر . ومع ذلك فلا نسمع تدمرا أو شكوى من هذا الوضع في الولايات المتحدة . ، إلا عندما يعبر رجل أو رجلان الحدود من ألمانيا الشرقية إلى ألمانيا الغربية، فتطلق النيران عليهما من شرطة الشرق ويقتلان . هذه هي الشكوى الوحيدة التي تسمعها هنا في الولايات المتحدة، والتي نقرأ عنها في صحفها . ولكن ما يحدثه خط الهدنة في البلاد المقدسة، فأمر لا يهم أحدا هنا، ولا سيما وفد الولايات المتحدة .

وإنني لأعود فأقول، ان هذا الاقتراح لا يثير الجدل والاعتراض لان المستر كلاب قد اقترح على الأمم المتحدة ما يلي :

(إن مشكلة اللاجئين في منطقة غزة - وهم أولئك الذين قطعتم خطوط الهدنة عن أراضيهم - لن تحل، إلا إذ سمح لهم بفلاحة أراضيهم القريبة التي تفصلهم عنها الآن، خطوط الهدنة) .

هذا اقتراح مقدم من بعثة كلاب، وهي بعثة أو اوفدتها الأمم المتحدة، بل هي جهاز من أجهزتها، وترئسها شخصية أمريكية بارزة. انه يقترح أن ليس ثمة من حل لمشكلة هؤلاء الناس، إلا إذا سمح لهم بفلاحة أراضيهم عبر خط الهدنة . وإذا كنت أيها الزميل، لا ترغب في سماع الاقتراحات المثيرة للجدل والاعتراض، فإنني لأرجوك أن تقبل بهذا الاقتراح الذي قدمه أحد مواطنيك، والذي شاء القدر أن يكون رئيسا لجهاز من أجهزة الأمم المتحدة . وهل في

وسعك أن تقول ان اقتراح جهاز الأمم المتحدة قابل للجدل والاعتراض ؟ إنني لا اعتقد انك ستصل إلى هذا الحد مهما شططت وغلوت.

وإذا كنت لا ارغب في اقتراح أفغانستان، فإنني لأرجوك، أن ترغب في اقتراح المستر كلاب . وإنني لأرجوك أن تتقدم بمشروع قرار يقضى بالسماح لهؤلاء الناس بزراعة أراضيهم الواقعة عبر خط الهدنة، لان هذا هو الحل الوحيد الذي رآه المستر كلاب . لكنني واثق من انك لن تفعل هذا، بسبب مئات الألوف من الدولارات، التي تدفعها الصهيونية إلى المنظمات الأمريكية لتسميم عقولكم، ولتوجيه سياسة الولايات المتحدة في موضوع اللاجئين وإنني لأرى أن لا لوم ولا تثريب عليك في هذا .

وقد اصبح تدخل الأمم المتحدة، اكثر من حاجة ملحة، وذلك لان مشكلة اللاجئين آخذة في التفاقم والشدة الاحتداد . ولا ريب في أن استقالة المستر ديفيز المؤسفة، تعتبر احتجاجا صامتا على تقاعس الأمم المتحدة عن العمل، بل إذا شئنا الدقة في التعبير، على تلك الدول الكبرى التي ما انفكت عن تدعيم إسرائيل بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية . ونحن نعرف أن سياسة هذه الدول، خارجة عن نطاق هذا البند من جدول الأعمال الذي نتولى درسه، إلا من ناحية واحدة، وهي الإخلاص للأمم المتحدة وقراراتها . ولما كنتم قد اقترعتم إلى جانب هذه القرارات، فليس في مكنتم أن تواصلوا تقديم المعونات الاقتصادية والعسكرية، إلى دولة عضو ما انفكت عن تتحدى هذه القرارات والتكر لها . وكيف يمكن لشخص كالمستر ديفيز، أن يحقق تقدما في المهمة الموكلة إليه، إذا كانت الولايات المتحدة، تواصل، من وراء ظهره، تزويد إسرائيل بكل شكل من أشكال المساعدات، بما في ضمنها القوة النووية؟

وليس من الغريب والحالة هذه أن يستقيل المستر ديفيز كما استقال أسلافه من قبل . وقد رأينا مديري وكالة الإغاثة يستقيلون واحدا اثر آخر، وبلا استثناء، بدلا من أن ينكبوا على أداء المهام الموكلة إليهم .

ويزداد عدد اللاجئين عاما بعد عام، وليس لهذا الوضع من نهاية مرتقبة، اجل تزايد عدد اللاجئين دورة اثر دورة من دورات الأمم المتحدة التي تولت المنظمة الدولية فيها البحث في هذه المشكلة . ويبدو وكأن هذه المنظمة تتولى تفاقم هذه المشكلة، توسعها بالعناية والرعاية . فالعدد يزداد بدلا من أن ينقص، وإسرائيل وحدها، هي التي وضعت هذه المأساة من بدايتها حتى نهايتها . وقد تزايد العدد بسبب ما تقوم به إسرائيل من اعتداءات وتحديات، وكانت سياسة إسرائيل التوسعية السبب في إضافة أرقام جديدة من اللاجئين إلى القائمة . ولا أرى بيئة تفوق في هذا الصدد، سجلات إسرائيل نفسها .

كان عدد اللاجئين الذين غادروا البلاد في عام 1947، بموجب التقارير الأولى للأمم المتحدة، لا تزيد على الثلاثين ألفا . اجل كان هذا هو الرقم قبل انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وكنتيجة للإرهاب اليهودي، وقد ارتفع هذا الرقم بعد مذبحه دير ياسين المروعة في نيسان (أبريل) عام 1948 من ثلاثين ألفا إلى مائتي ألف . ونقل وسيط الأمم المتحدة في تقريره إليها أن هذا الرقم قد ارتفع إلى أربعمئة ألف بعد قيام إسرائيل واستمرار الإرهاب الإسرائيلي . وعندما حل عام 1950، كان هذا الرقم قد ارتفع إلى تسعمئة ألف، نتيجة الاعتداءات والتحديات الإسرائيلية . وما زال هذا الرقم سائرا في طريق الازدياد، منذ ذلك التاريخ حتى يومنا هذا. ويقول الدكتور ديفيز في تقريره، ان عدد اللاجئين بلغ في حزيران (يونيو) عام 1963، نحو من (1.210.170) . ولكنه

لم يشمل جميع اللاجئين في حسابه هذا . فعددهم ما زال ماضيا في الزيادة . ومن حق المرء أن يفترض انه مع انقضاء السنين، لا بد أن تسير أية مشكلة تعالجها الأمم المتحدة في طريق التناقص بل والتصفية . ولكننا نرى هذه المشكلة، مشكلة اللاجئين، آخذة في التوسع والازدياد المستمرين، بدلا من ان تأخذ في طريق التناقص . وقد ارتفع هذا الرقم من ثلاثين ألفا في عام 1947 إلى (1.210.170) في عام 1963 . ولا ريب في ان إسرائيل وحدها، هي السبب الوحيد الكامن وراء هذه الظاهرة . إنها إسرائيل بمذابحها وحملاتها العسكرية، وتحديها لاتفاقات الهدنة، بل إنها إسرائيل بوجودها، إذا شئنا التخصيص والتحديد .

وإني لأقول أن وجود إسرائيل هو السبب، لان هذه هي النتيجة المنبثقة عن درس وتمحيص عميق . وعندما اقترحت الأمم المتحدة قيام الدولة اليهودية، ظهرت هناك مفارقة عجيبة . فقد تبين أن الدولة اليهودية المقترحة، برغم كل ما اتبع من دهاء ومهارة في تخطيط الحدود، لا تضم أغلبية يهودية . وكان عدد العرب في الدولة اليهودية مساويا لعدد اليهود فيها، باستثناء زيادة إلى جانب اليهود لا تعدو الألف نسمة، اجل ألف نسمة ليس إلا . هذه هي أرقام الأمم المتحدة، والله وحده يعرف ما إذا كان هذا الرقم، أي ألف نسمة، دقيقا، بالنظر إلى عدم وجود إحصاء دقيق وفعلي .

فكيف يمكن لدولة تضم مثل هذا العدد من السكان العرب، أن تسمى بالدولة اليهودية؟ هذه هي المعضلة. وقد وجدت إسرائيل الحل سهلا وبسيطا عليها . عليها أن تبديد هؤلاء العرب وان تطردهم . وقد طرد العرب وأبيدوا في الواقع . ولم تكن مذبحه دير ياسين في عام 1948 إلا البداية .

وأنا أقول أن دير ياسين كانت البداية، إذ أن هجمات إسرائيل العسكرية على العرب العزل، استمرت على عنفها بالرغم من قرارات الإدانة المتعاقبة التي أصدرتها لجان الهدنة المشتركة .

وإذا شئنا تعداد هذه الهجمات التي أسهمت أكثر من غيرها في رفع أرقام اللاجئين، علينا أن نذكر القصف الجوي الذي تعرضت له قرية الحمة العربية في نيسان (أبريل) عام 1951، والهجمات التي تعرضت لها قريتا فلمه ورنيتيس في عام 1953، والقصف الجوي على منطقة غزة في العام نفسه والهجمات على قرية قبية وشقبة وبدرس في السنة نفسها والهجوم على نحالين في عام 1954 والغارة على عزون في السنة نفسها والهجوم على بيت لقيا في عام 1955، والهجومين على غزة في العام نفسه والهجمات على خان يونس وبنى سهيلة وصحبة في السنة نفسها والغارة على الطرف الشرقي من بحيرة طبرية في العام نفسه، والهجوم على غزة وعلى أم الريحان والرهوة وقرندل وشرف الدين وقليلية وعزرون والنبي الياس وخان سوفين في عام 1956، والغارة الأخيرة على التوافيق في عام 1960 .

وعلى أي حال، أدانت لجنة الهدنة المشتركة إسرائيل أبان الدورة الحالية للأمم المتحدة، أي في الثامن عشر من تشرين أول (أكتوبر) ، بتهمة التسلل إلى الأردن عبر خطوط الهدنة وقتل عدد من رجال الحرس الوطني .

ولم تكن هذه القرى التي هاجمتها قوات إسرائيل المسلحة خالية من السكان، بل كانت مأهولة بالعرب . ومن الطبيعي أن يصبح أهل هذه القرى من اللاجئين عندما تنسف بيوتهم بالمتفجرات، وتحرق مزارعهم، وتسلب وتقتل مواشيهم . ومن الطبيعي أيضا أن يزداد عدد اللاجئين عاما بعد عام . والنتائج

الطبيعية لمثل هذه الاعتداءات واضحة كل الوضوح، وهي أن يتحول السكان إلى لاجئين يتولى المستر ديفيز إطعامهم، ويتحتم عليه إيواءهم، وإيواء أطفالهم وإطعامهم . وهكذا تنسف إسرائيل وتدمر، ويتحتم على المستر ديفيز أن يؤوي ويطعم وغيث . هذه هي المعادلة التي تسود منطقتنا .

وبالإضافة إلى هذه الغارات العسكرية التي كانت سببا في ارتفاع عدد اللاجئين، قامت إسرائيل بغزو عدد من المناطق المنزوعة السلاح طارئة أهلها منها . وهكذا أضيف عدد جديد إلى أرقام اللاجئين .

وقد ذكر الجنرال بنيكه، رئيس هيئة الرقابة الدولية في تقريره إلى مجلس الأمن، أن إسرائيل قامت في شهر أيار (مايو) عام 1951، بطرد نحو من ألف عربي من منطقة العوجة المنزوعة السلاح، كما طردت في عام 1953، مائتين وخمسين آخرين من المنطقة نفسها وقامت في آذار (مارس) عام 1951 بإخراج (785) عربيا من ديارهم، وطردتهم خارج وطنهم .

وذكر الجنرال رايلي، وهو رئيس آخر، من رؤساء هيئة الرقابة الدولية في تقرير رفعه إلى الأمم المتحدة، أن إسرائيل قامت في أيلول (سبتمبر) عام 1950 بجمع نحو من أربعة آلاف من البدو في منطقة النقب ودفعت بهم إلى الأراضي المصرية . وطردت إسرائيل في آذار (مارس) عام 1950 نحو ألف من العرب، من أراضيهم، وأبعدتهم إلى قطاع غزة . وقامت في تموز (يوليو) و أيلول (سبتمبر) عام 1950 بطرد (756) عربيا، ودفعتهم إلى الأراضي المصرية .

وقد تحول جميع هؤلاء الناس إلى لاجئين، وأدى تحولهم إلى ارتفاع الرقم، وإلى زيادة الأعباء التي يتحملها المستر ديفيز، والاثقال التي ينوء بها المجتمع الدولي من جراء تقديمه العون المالي إلى هؤلاء التوسع . وأخرجت إسرائيل من المنطقة المجردة على الحدود السورية نحواً من ستمائة وخمسين عربياً من قراهم . وبالرغم من قرار مجلس الأمن الصادر في الثامن عشر من أيار (مايو) عام 1951، فإن هذه القرى لم تعد إلى أهلها، وإنما بات هؤلاء من اللاجئين تكتظ بهم المخيمات التي تسودها أوضاع لا تطاق . وقد وصف رئيس هيئة الرقابة الدولية في تموز (يوليو) عام 1955 الأوضاع الحياتية التي يعيشها سكان هذه المخيمات بقوله (إن هؤلاء الناس يعيشون في أوضاع سيئة للغاية، أنهم أشبه بالحيوانات منهم بالناس) .

وهكذا أدت هذه الاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية الصارخة إلى إسهام يخلو من الشرف في زيادة عدد اللاجئين . ونحن نخشى أن تكون عملية الزيادة هذه ما زالت ماضية في طريق الارتفاع . ويبدو أن العرب المقيمين في إسرائيل هم الهدف المباشر لهذه العملية، ويبدو أنهم مسجلون على قائمة الانتظار لكي يصبحوا لاجئين، ليزيد الرقم ارتفاعاً، والمأساة أسمى .

وقد أكد نائب رئيس بلدية الناصرة العربي في رسالة بعث بها إلى النيويورك تايمز في السادس والعشرين من أيلول (سبتمبر) عام 1951، أن إسرائيل قد انتزعت (250) ألف دونم من الأرض من أصحابها العرب . والنتيجة التي نصل إليها من هذا القول، لا تقبل الجدل . فهؤلاء العرب، بعد أن سرفت أراضيهم، أصبحوا لا يملكون شيئاً، وباتوا مؤهلين للدخول في زمرة اللاجئين،

يؤلفون عبثاً جديداً على عاتق المجتمع الدولي وعلى عاتق المستر ديفيز بصورة شخصية أو عاتق خلفه من بعده . وإنني لاسترعي انتباه زميلي ممثل نيوزيلندا، الذي تحدث بالأمس عن الأقلية العربية في إسرائيل، بأن هذه الرسالة منشورة في النيويورك تايمز، وهي تتناول موضوع (250) ألف دونم من الأرض العربية سرقت من أصحابها العرب . وهم بعد أن سرقت أرضهم منهم، غدوا من اللاجئين . هذا هو وضع الأقلية العربية في إسرائيل، التي أشار إليها صديقنا النيوزلندي المحترم . واني لأنصح به بأن يرجع إلى السجلات والوثائق، قبل أن يتحدث عن أوضاع الأقلية العربية في إسرائيل . هذه ملاحظة عابرة وددت أن أتقدم بها، لأمكن صديقنا النيوزلندي من معرفة الوضع وتحريره من جميع نواحيه، قبل أن يتناول هذه المشكلة في حديثه هنا إلى لجننتكم الموقرة .

ولكن القضية لم تقف عند حدود ما تنشره صحيفة النيويورك تايمز، إذ كانت القضية من الخطورة، بحيث تطلبت إثارتها أمام الأمم المتحدة . ففي العاشر من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1960، تلقى رئيس الجمعية العامة، عريضة موقعة من عشرة من العرب المقيمين في إسرائيل، واني لأطلب إلى زميلنا المحترم وصديقنا مندوب نيوزيلندا، أن يعود إلى وثائق رئيس الجمعية العامة وان يقرأ هذه العريضة التي وقعها أشخاص يعيشون في إسرائيل ويؤلفون جزءاً من الأقلية العربية التي أشار إليها، ليتبين انهم يؤكدون في عريضتهم هذه أن السلطات الإسرائيلية قد اغتصبت (315) ألف دونم من أراضي العرب المقيمين في إسرائيل لتسلم إلى المهاجرين اليهود ليقيموا عليها مستعمراتهم الجماعية .

وأود أن أبين لزميلنا المحترم، مندوب نيوزلندة، أن السكان العرب في إسرائيل اخرجوا بالقوة والعنف من منازلهم في أربع قرى عربية، اثنتان منها يسكنهما المسلمون وهما الخس والجلمة واثنتان أخريان يسكنهما المسيحيون وهما كفر برسوم وإيجريت . ولقد قامت القوات المسلحة الإسرائيلية بنسف جميع الأبنية في القريتين المسيحيتين وأحالتهم إلى أنقاض. وطرد عدد كبير من السكان من قرية شعب العربية في الجليل الغربي، وأقصوا عن ديارهم ومنازلهم، وحيل بينهم وبين العودة إلى أراضيهم، واجبر العرب في بئر السبع على العيش محصورين في مخيماتهم، بينما وزعت أراضيهم على المستوطنين اليهود . وقد حاول محام عربي أن يقدم مشورته القانونية إلى هؤلاء الضحايا، فحيل بينه وبين الوصول إلى مخيماتهم . هذه هي زبدة المذكرة التي تقبّع الآن في وثائق الأمم المتحدة، واني لاسألكم أيها السادة أن تقرّوها، وان تطلبوا من إسرائيل بيانا بشأنها . . ومع هذا فان خشيتي هي ان لا تكون القضية قد انتهت عند هذا الحد .

ولا ريب في أن الهجرة اليهودية تؤلف مصدرا آخر، من مصادر الزيادة المستمرة في تعداد اللاجئين، وكلما اتسع نطاق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، كلما كان هناك المزيد من اللاجئين العرب .

وهناك نبأ حديث، فقد نشرت النيويورك تايمز، في عدد صدر منها في تشرين أول (أكتوبر) عام 1962 ، تصريحاً للسيدة جولدا ماير تعرب فيه عن أملها، بان يرتفع عدد سكان إسرائيل بمعدل مليون آخر في عام 1970، وان يرتفع هذا الرقم بمعدل مليون ثان في الحقبة التي تلي هذا التاريخ . وهذه هي تمنيات السيدة جولدا ماير وآمالها، وهي التي تتحدث إليكم هنا في الأمم المتحدة

عن السلام . إنها تأمل في مليون جديد قبل عام 1970 وفي مليون آخر في الحقبة التي تلي هذا التاريخ . هل هذه هي لغة السلام ؟ إن هذه ليست بالهجرة، وإنما هي حركة بشرية جماعية، إنها غزو بكل ما تحمله من معان مجردة وبسيطة .

علينا أن نستذكر في هذا الصدد العبارات التي تحمل طابع التنبؤ والصادرة عن الكونت برنادوت . ففي تقريره إلى مجلس الأمن بتاريخ الثاني عشر من تموز (يوليو) عام 1948، قال الوسيط الدولي - وفي وسع الدكتور باناش المائل بينكم، أن يؤيد استشهادي هذا من تقرير الوسيط الدولي الذي يخل إلي أن قلمه قد اشترك في كتابته - ما نصه بالحرف الواحد، في عبارة نبيلة واضحة .

(لا يمكن أن ننكر الحقيقة الواقعة وهي ان استمرار الهجرة المطلقة وغير المقيدة إلى المنطقة اليهودية من فلسطين، قد يؤدي بعد بضع سنوات إلى ظهور حالة من حالات ضغط السكان وما يصاحبها من اضطرابات سياسية واقتصادية تبرر مخاوف العرب الراهنة من توسع اليهود الحتمي في الشرق الأدنى . . ولا يمكن ان نتجاهل على الإطلاق الحقيقة الواقعة وهي ان الهجرة اليهودية، لا تعني المنطقة اليهودية من فلسطين وحدها . أو الشعب اليهودي، بل تعني العالم العربي المجاور أيضا) .

وعلى الأمم المتحدة إلا تنسى أبدا هذا التحذير الواضح الصريح إذ أرادت وقف الأخطار المحيطة بالمشكلة، هذا إذا لم ترد الإسراع في حلها . ونحن نشهد في هذا العام يا سيدي الرئيس، ويحزنني أن أقول هذا العام، كما يقلقني ويفزعني، خطرا آخر، يتناول المزيد من تعداد اللاجئين

وارتفاع أرقامهم . ولكن لن تكون هذه الزيادة عن طريق المذابح ولا عن طريق الهجرة، بل عن طريق الاضطهاد الديني . أجل عن طريق التعصب الديني والتفرقة العنصرية . وقد تأثر المجتمع العالمي في السنة الماضية ابلغ التأثير لان إسرائيل رفضت ان تعطي جنسيتها إلى يهودي، ولد يهوديا ويحمل اسم اوزوالد روفيزين، ثم تحول إلى النصرانية واصبح راهبا يحمل اسم الأب دانيال . وهذا يعني أن الأب دانيال قد يبدو لي أن السخط العالمي في قضية الأب دانيال . لم يترك أي اثر على إسرائيل ولم يفرض عليها أي ضغط معنوي .

وشرعت إسرائيل مؤخرا أي في التاسع من أيلول (سبتمبر) الماضي، وقبل بداية الدورة الحالية بأيام قليلة، بشن حملة وحشية من الاضطهاد الديني، على مدارس البعثات التبشيرية والمؤسسات الدينية في إسرائيل ولن مضى في إيراد التفاصيل، إذ أن أنباء هذه الحملة، انتشرت في العالم بأسره، ولا بد أنكم قرأتم شيئا عنها في الصحف . ويكفي ان تعرفوا، على حد تعبير الأنباء الصحفية أن رئيس أساقفة الطائفة الرومية الكاثوليكية في إسرائيل، وهو عربي، قد تعرض لإهانات كبيرة، واسيئت معاملته . وكانت هذه المؤسسات الدينية التي تعرضت في إسرائيل للهجوم والاضطهاد، وبينها عدد من المدارس، ضحية لهذا التعصب الديني . وهي مؤسسات فلسطينية، وموظفوها سواء أكانوا من الأطباء أم من رجال الدين أم من الممرضات، أم من أية فئات أخرى، هم من الفلسطينيين . إذ عاشوا حياتهم كلها في فلسطين . وقد خدموا في مشاريعهم المحسنة، طيلة حياتهم في فلسطين، فقراءها ومرضاها . انهم من الفلسطينيين . وهم يتعرضون للاضطهاد، بدافع التعصب الديني ليس إلا، ولا ريب في أن هذا التعصب سيضيفهم إلى قائمة اللاجئين، ويزيد من الأعباء التي يتحملها المستر

ديفيز أو خلفه الكريم . ولا يعني اضطهادهم إلا انهم سيصبحون من اللاجئين . وبينهم عدد من العرب الذين لا حكومة لهم تتولى حمايتهم أو إيوائهم . ولقد احتجت السفارتان البريطانية والفرنسية في إسرائيل بالنسبة إلى رعاياهما . ولكن من يتولى حماية الفلسطينيين قبل أن يتحولوا إلى لاجئين ؟ والفلسطينيون هم، كما قال زميلي المحترم، ممثل العراق، قبل أيام، (الوديعة المقدسة) لعصبة الأمم المتحدة، وهم بموجب قراركم لعام 1947، في حماية الأمم المتحدة وضمانتها . ومن يتولى حماية فلسطين من التعصب الديني الذي يسود الآن إسرائيل، لا كمجرد ريح تهب بل كريح عاصفة ضد غير اليهود سواء أكانوا من المسيحيين أم من المسلمين. ان إسرائيل بعملها هذا، تضيف عددا جديدا إلى أعداد اللاجئين . ولا ريب في أن إسرائيل بإضافتها الألوف بعد الألوف إلى قوائم اللاجئين، إنما تسهم إسهما ضخما في وجود الأمم المتحدة انه إسهم مخجل معيب تقدم به بعد ان اغتصبت مقعدها في الأمم المتحدة . وأنا لا اعلم أن إسرائيل قد تمكنت من الإسهم بأي شيء آخر للأمم المتحدة، سوى هذه الزيادة المخجلة في عدد اللاجئين .

ولا ريب في أن إسرائيل ستحاول تضليل الرأي العام العالمي، فتكسب هذه المظالم ثوبا مقبولا . ولكن الأحكام الخفية التي أصدرتها المحكمة الإسرائيلية على المدنين في هذه المظالم، لا يمكن أن تغطي بثوب مقبول أبدا . وليس في وسع إسرائيل أن تدعي البراءة بالنسبة إلى هذه الأحداث . ولا ريب في ان سلسلة الأحداث تثبت جريمة إسرائيل، وتقيم الدليل على وجود عملية مستمرة في هذا الاتجاه .

وليست قضية الأماكن المقدسة في فلسطين، وموضوع حرية العبادة إلا ناحية واحدة من نواحي البند الحالي المدرج على جدول الأعمال إنها ناحية واحدة من مشكلة اللاجئين التي نتولى درسها . وكانت قضية الأماكن المقدسة وحرية العبادة مصدر اهتمام ومبعث قلق دائم للعالم في مجموعه وللغاتيكاف بصورة خاصة . ولهذه القضية علاقة بموضوع اللاجئين وسأشير إليها، بالنسبة إلى هذه العلاقة ليس إلا . فليست الأماكن والأضرحة المقدسة مؤسسات حية إلا في تعبير الناس . ووجود الناس وحده، هو الذي يضفي على هذه الأماكن والأضرحة قداستها، بل وحياتها، وستصبح بدون وجود اللاجئين سواء أكانوا من المسلمين أم من المسيحيين مهجورة ولا قيمة لها . وخير ما يمكن أن يقع لها، هوان تتحول إلى متاحف، وقد اغلق الكثير من مساجدنا وكنائسنا في إسرائيل، إذ أن المؤمنين، وقد باتوا من اللاجئين لم يعودوا يؤمنونها لأنهم بعيدون عن مساجدكم وكنائسكم . وهكذا أخذت الديار المقدسة تفقد قداستها وتفقد طابعها الديني . وعلى هذا الصعيد تكون عودة اللاجئين إلى ديارهم، إعادة للقداسة إلى الأماكن المقدسة، بل إعادة القدسية إلى البلاد المقدسة . فمئات المساجد والكنائس والأضرحة المقدسة، كلها في خطر الآن، مع أنها اثنان ما يملكه العالم من تراث روحي . وهذا التراث بل هذه المئات من المساجد والكنائس، مهددة الآن بالتحول إلى مجرد متاحف، إذا لم يعد اللاجئين إلى ديارهم .

وإذا ما ضربنا صفحا على النواحي السياسية والقومية للعودة، توجب علينا أن نلفت انتباهكم إلى النواحي الدينية في مشكلة اللاجئين . وأنا لا أقحم هنا عنصرا غريبا على القضية، فقد اعترفت الأمم المتحدة دائما، ومن قبلها عصابة الأمم بالطبيعة المقدسة والدينية لفلسطين وللبلاد المقدسة . ونحن نذكر

إجراءات عدة اشترطت لضمان سلامة الأماكن المقدسة . ولكن هذه الأماكن لا تستطيع البقاء وحدها . إنها تفقد قداستها اذا فقدت شعبها، والشعب الذي ظل اجيالاً لا تعد ولا تحصى بتولي حراستها . وهاهي القدس المقدسة، ولا سيما القسم الجديد منها، بما يضمه من أماكن مقدسة لا تعد ولا تحصى، تصرخ مطالبة بأهلها من المسيحيين والمسلمين، وكلهم من اللاجئين الآن . وهاهي الناصرة، بلدة النصراني العظيم، المعلم ورسول السلام، يسوع المسيح تنادي بأعلى صوتها مطالبة بأهلها من المسلمين والنصارى، وكلهم من اللاجئين . وهكذا فان كل أجراس أو مآذن صامته في إسرائيل، تعيش الآن في حزن واسى، منتظرة أهلها، وهم من اللاجئين .

وإذا قدر للاجئين ان يظلوا مشردين كما تريد لهم إسرائيل إن يظلوا، فان فلسطين، ستفقد طبيعتها الدينية بصورة كلية . وستغدو البلاد المقدسة مجرد اصطلاح تاريخي، يمت إلى الماضي البعيد . وقد تصبح فلسطين مزرعة آلية، ولكنها ستغدو بيداء قفراء، خالية من كل أهمية في التاريخ العالمي . ولن ترضي هذه الحالة، ملايين المؤمنين في طول العالم وعرضه، بل ستثير نقمتهم وسخطهم . ولما كنا أصحاب هذه الديار المقدسة الشرعيين وسدنتها، فان مثل هذا الوضع سيكون مفجعاً لنا . ولن نضن بأية تضحية، للحفاظ على قداسة بلادنا .

ومن هنا تكون عودة اللاجئين ضرورية من جميع النواحي والاعتبارات بما فيها الاعتبار الديني . ولعل من الحقائق المقررة، ان الصهيونية لم تخف قط نواياها العدوانية الشريرة تجاه الأماكن المقدسة، مسيحية كانت أم إسلامية .

ولعل هذه النوايا سبب آخر من الأسباب التي تدعو إسرائيل إلى الإبقاء على مشكلة اللاجئين . فعندما قام سوكلوف، الزعيم الصهيوني المعروف، وقائد الحركة الصهيونية، ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية، بزيارة الفاتيكان، وهي زيارة تاريخية حقا تكشف عن الكثير، كان ينشد الحصول على تأييد الفاتيكان لقيام الدولة اليهودية . وقد قابل ابان هذه الزيارة المونسنيور بارشيبي والمونسنيور جاسباري وزير خارجية الفاتيكان . وتشير السجلات والوثائق، إلى أن الفاتيكان أعرب عن قلقه العميق على الأماكن المقدسة واقترح اتخاذ إجراءات مشددة لصيانة سلامتها .

وكتب سوكلوف وهو يسجل ما تركته مطالب الفاتيكان من انطباعات في نفسه يقول، وأنا أقرأ عليكم هنا عبارته التاريخية لسمعها جميع المؤمنين في طول العالم وعرضه ... (وأحسست بالقشعريرة تهز عظامي). هل سمعتم هزت القشعريرة عظامه . هذا هو الانطباع الذي سجله سوكلوف عن نفسه عندما استمع إلى مطالب الفاتيكان المتعلقة بصيانة الأماكن المقدسة، وبحرية المرور إلى الأماكن المقدسة المسيحية منها الإسلامية، (وشعرت بالقشعريرة تهز عظامي) هذا ما قاله الزعيم الصهيوني، وأمعنوا النظر، بعض النظر، في هذه العبارة القصيرة وما تنطوي عليه من معان مخيفة .

إن هذه القشعريرة في العظام، هي رد فعل الصهيونية، وهي التي خلقت مشكلة اللاجئين . إنها السبب في بقاء مشكلتهم بدون حل حتى الآن . ويرقد سوكلوف الآن في مرقد الأخير، دون أن تقشعر عظامه، ولكن هذه القشعريرة، تصيب اللاجئين الذين يعيشون في مخيماتهم الباردة، يعانون قر الشتاء، وترتجف عظامهم من هوله . إنني لا أكني هنا ولا استعير المجازات، بل أتحدث

الواقع بلحمه ودمه، وبكل ما فيه من صدق . وإنني أقول ان هذا هو الواقع، لان شقاء اللاجئين يفوق حدود التصور، وليس في مكنة أي تعبير أن يصور ما هم فيه من شقاء يثير الوجيعه . وإذا أردتم ان تدركوا هذا الواقع، وان تحسوا بما يعانیه اللاجئين، فعليكم أن تشهدوا بأنفسكم، لتروا هول الكارثة وضخامتها . ونحن، وفد فلسطين، ندعو باسم شعبنا، أعضاء هذه اللجنة الموقرة، جميعهم، أو بعضهم، إلى الذهاب إلى هناك لرؤية ما يعانیه اللاجئين من شقاء .

وسيرى الوافدون منكم إلى هناك، ممثلين أحياء، من الرجال والنساء، والشيوخ والأطفال، يؤدون دورهم في مسرحية هي مأساة، يعيشون في مخيماتهم، على مرأى من مزارعهم وديارهم . ترى ما هو الحل لهذا المأساة كلها، بل لهذه الفاجعة بكاملها ؟

وقد تحدثت إلى هذه اللجنة في هذه القضية سنوات عدة، وبمختلف الصفات والصلاحيات وها أنا أتحدث إليكم الآن بوصفي رئيسا للوفد العربي الفلسطيني . والحل الوحيد أمام الأمم المتحدة، هوان يعطى اللاجئين حقوقهم الفطرية في العودة، وهي حقوق لا تقبل الجدل والنقاش لأنها تعني العودة إلى الوطن . والعودة إلى الوطن حق مقدس لا يقبل النقاش .

ولكن مع الأسف الشديد، أرى في نص بيان الوفد الأمريكي، الذي ألقى في هذه اللجنة، والذي لم يوزع بنصه عليها، مما أرغمني على طلبه من بعض الأصدقاء الصحفيين للحصول على نص كامل، استعيض به عن الملخص الذي وزعته السكرتارية، والذي لا أكتفي به لتقهم موقف الولايات المتحدة عبارة، تشير إلى اللاجئين ولا أستطيع فهمها، وهذا نصها : (علينا أن لا نتردد في

بذل الجهود لضمان إدماجهم في حياة الشرق الأوسط، بأسرع وقت ممكن، وبأكثر السبل فاعلية وجدية) .

ومن هنا يتضح أن موقف الولايات المتحدة يتلخص في الإدماج في حياة الشرق الأوسط . ولكن ترى من الذين تريد إدماجهم أيها السفير كوك ؟ أتريد إدماج مواطني الدول العربية وحاملي جنسيتها ؟ هذا من شأن الدول العربية وحدها ولست ناطقا باسمها . فهل تقترح إدماج السفير رياض ممثل الجمهورية العربية المتحدة أو السفير الرفاعي ممثل الأردن أو السفير الطرزي ممثل سورية، أو أي من الزملاء الآخرين ؟ طبعاً لا . ومن حقهم هم أن يردوا على اقتراحك هذا إذا كان يعينهم.

أما إذا كنت تعيننا نحن أعضاء وفد فلسطين وشعبها، وتعني إدماجنا في حياة الشرق الأوسط، فهذا أمر آخر . وهنا هل لي أن أتساءل، ما هو البند المدرج على جدول أعمال الأمم المتحدة ؟ انه موضوع اللاجئين الفلسطينيين وضمن إطار القضية الفلسطينية . وكيف تجرؤ على اقتحام الشرق الأدنى في الموضوع ؟ ان مشاكل الشرق الأدنى ليست من اختصاصك ولا شأن لك بها، ففيها دول ذات سيادة، هي صاحبة الحق المطلق والتصرف الكامل في شؤونها . وليس في وسعك أن تدمجنا في بلادها . فهذه هي سيادتها، وهذا عمل يتصل باستقلالها وشؤونها ونحن لن نندمج في بلادها، وليس من حقك أن تتدخل في سيادتها . انها شؤون داخلية تتصل بحكومات المنطقة، وليس من حقك أن تملي إرادتك على دول مستقلة ذات سيادة .

وليست المشكلة معروضة أمام الأمم المتحدة، إذ أنها مشكلة خاصة بالشرق الأوسط وحده . ونحن لا نجد على جدول الأعمال بندا يتعلق بالأمم

المتحدة ويحمل اسم (الإدماج في الشرق الأوسط) أو (مشكلة الشرق الأوسط) . فالموضوع المدرج على جدول أعمال اللجنة . هو قضية اللاجئين الفلسطينيين . ومن هنا يكون التوسع في الموضوع ومداه من جانب الولايات المتحدة ليشمل حدود الشرق الأوسط، خروجاً على الموضوع، ومخالفة للنظام . وللشرق الأوسط ممثلوه هنا، وهو ليس تابعا لوصاية الأمم المتحدة أو انتدابها. وقد انقضت أمد طويل على ذلك العهد الذي كان فيه أهل الشرق الأوسط يعيشون في ظل وصاية أو انتداب أية دولة من دول العالم، سواء أكانت الولايات المتحدة أم غيرها من الدول الكبرى . فكيف سولت لك نفسك أن تتجرأ أو تتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الحكومات ؟ هذه هي النقطة الأولى .

أما النقطة الثانية، فتتعلق بالسؤال عن نكون ؟ انحن قطيع من الغنم؟ انحن قطيع من الخنازير أو الحيوانات لا إنسانية لنا ولا مسؤولية، ولا رغبات ولا امتيازات ؟ انك تسوقنا أمامك وكأننا قطيع من الخراف، لتتقلنا من مرعى إلى مرعى آخر . وأنت تأمرنا بأن نمضي وندمج أنفسنا في منطقة الشرق الأوسط، أي في سوريا أو لبنان أو العراق أو غيرها من البلاد. ولكننا شعب لنا إرادتنا، ونحن بشر مثلكم انتم . ونحن لا نقل في إنسانيتنا عن هؤلاء المواطنين السود هنا في الولايات المتحدة، الذين يرفضون أن يندمجوا على سبيل المثال، في الشمال أو الجنوب، وفي هذه الولاية أو تلك . أن لها إرادتنا، لأننا شعب كغيرنا من الشعوب . واننا أصحاب حق في حقوقنا . ولا يمكن لأحد أن يسوقنا كالخنازير . فنحن لسنا من الخراف أو المعيز . نمت إلى هذا الراعي أو ذاك . اننا رعاة أنفسنا . ونحن أسياد مصيرنا . وكل ما نريده هو أن نعيش في وطننا وديارنا . . اجل إننا نريد العيش في فلسطين والموت فيها، تماما كما عاش

أجدادنا وماتوا . وليس من حقم أن تطلبوا إلينا الانتقال إلى ليبيا للعيش فيها . فلماذا اذهب لاحيا في ليبيا ؟ أنا لا أريد الحياة فيها ولست مواطنا من أهلها، كما اني لست مواطنا في الجمهورية العربية المتحدة . وانما نحن فلسطينيون، وقد لا تكون لنا دولة . ولكننا نمت إلى فلسطين، وستظل فلسطين لنا، ولقد عشنا في فلسطين، ونحن مصممون على أن نموت فيها . وليس من حق الولايات المتحدة، أن تأتي إلى هنا لتقترح إدماج اللاجئين، إدماج مليون وربع المليون من الناس . اجل ليس من حقها أن تسوقنا أمامها كالحوانات، وان تطلب إلينا أن نعيش هنا أو هناك .

ولست اعرف سابقة في التاريخ، عومل فيها شعب كالمعاملة التي نعامل بها . واني لأرجو أن تذكروا أننا شعب متحضر، مثلكم، ولا يقل عنكم حضارة . وها انتم ترون اننا نستطيع التحدث بالإنجليزية بطلاقة أيضا .

ولكنني لا ارغب في أن آخذ من وقت اللجنة أكثر مما أخذت ولعل مما يشير الدهشة حقا أن نقرأ في ذيل البيان الأمريكي الذي ألقاه وفد الولايات المتحدة، فقرة أخيرة، لعلها أسوأ الفقرات في ذلك البيان وأكثرها ضررا . حقا إنها النهاية السيئة لبيان سيئ وكنت أود أن أرى في نهاية البيان الأمريكي فقرة مجيدة، تظهر سلطان الولايات المتحدة، وإنسانية شعبها . وتعلقه بالديمقراطية وبرغبات الشعوب في تقرير مصيرها، بدلا من أن أجد فيها سخرية من الأمم المتحدة وهزءا بمبادئها وميثاقها، هل ستمحون لي بقراءة هذه الفقرة الأخيرة . انها تقول

..

(دعونا جميعا، نحن الدول الأعضاء المجتمعة إلى هذه المناضد في هذه القاعة، نعيد تكريس جهودنا، لا لمساعدة اللاجئين بأقصى ما في وسعنا

فحسب، بل وللقيام بكل ما في مكنتنا، لتشجيع البحث عن حل عادل وشريف لهذه المشكلة) .

حقا انه قول سيئ . فبعد خمسة عشر عاما من الجهود التي بذلتها لجنة التوفيق، يقوم عضو من أعضاء هذه اللجنة التابعة للأمم المتحدة ويقول... (علينا أن نجد حلا . . حلا عادلا ومنصفا) . ترى ألم تجدوا بعد حلا عادلا ومنصفا ؟ إذن ما هو الحل الذي وجدتموه في عام 1948؟ .

إن الفقرة الحادية عشرة من ذلك الحل، تتحدث عن عودة اللاجئين . وأود من زملائي ممثلي الدول الأفريقية والآسيوية في هذه اللجنة، أن يعرفوا، أن هذه الفقرة، الحادية عشرة، كانت من صياغة الوفد الأمريكي آنذاك . أجل تولى الوفد الأمريكي صياغة هذه الفقرة، لأنه صاحب مشروع القرار الذي تضمنها، وقد اقترح الوفد إلى جانب المشروع . فهذه الفقرة هي الحل الذي وجدته الولايات المتحدة . انه ليس حلنا انه حل الولايات المتحدة التي كانت تتحدث عن العودة . وها نحن الان بعد خمسة عشر عاما قضيناها في متاهات الأمم المتحدة، وفيافي المجتمع الدولي، نجد الولايات المتحدة، تتحدث من جديد عن البحث عن طريقة عادلة .

وبودنا أن نعثر على الحل . ولكن الحل ماثل هنا، إذ انه الحل الذي أقرتموه . وقد جعلتم منه جزءا لا يتجزأ من القرار الذي اتخذتموه في عام 1948 . وقد اقترعتم إلى جانبه، وطلبت من الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تؤيده، ومع ذلك، تجيئون الآن تطلبون البحث عن حل . ترى ما هو الحل الذي تتشددون ؟ أترد على سؤالي أيها السيد ؟ أعتقد أن الحل المذكور عادل ومنصف ؟ وإذا كنت تعتقد انه حل عادل ومنصف، فما الذي دعاك اليوم إلى المطالبة

بالبحث عن حل، وكأن الحل غير موجود . يا لها من أحجية، لا يستطيع أحد تفسيرها . إلا الولايات المتحدة نفسها صاحببتها . وهل المشكلة من التعقيد بحيث تعجزون عن اكتشاف حل يقوم على العدالة والإنصاف ؟ أولا تكون العودة حلا يقوم على العدل ؟

واني لأرى أن الولايات المتحدة بطلبها الآن البحث عن حل بعد خمسة عشر عاما من جهود لجنة التوفيق، مدانة بأنها تنكرت لصلاحيات اللجنة وخانتها . وقد نص قرار عام 1948 على أن تكون الولايات المتحدة دولة عضوا في لجنة التوفيق التي عهد إليها القرار بمهمة محددة وهي إعادة اللاجئين . وقد فشلتم طيلة خمسة عشر عاما في إعادة اللاجئين . اجل فشلتم في أن تضغطوا على صنيعتكم إسرائيل، الطفل الذي ولد في أحضان الأمم المتحدة، لحملها على إعادة اللاجئين . وها انتم تأتون اليوم مطالبين ببذل المحاولات لإيجاد حل جديد يقوم على العدل والإنصاف . ومن هنا يكون الوفد الأمريكي قد تنكر لصلاحيات اللجنة التي هو عضو فيها، وإذا شئنا استعمال التعبيرات القانونية، بات من حقنا أن نقول، أن الولايات المتحدة لم تعد أهلا لعضوية لجنة التوفيق، وليس في وسعها أن تستمر في هذه العضوية، بعد أن فقدت أهليتها لها، وذلك لأنها تنكرت لصلاحيات اللجنة وشروط تأليفها، وانحرفت عنها . فنحن نرى انها بدلا من العمل على تنفيذ القرار تتطلع إلى حل جديد .

والصلاحية هي في التنفيذ، أما الحل فقائم، لأنه قرار قائم . ان هذا القرار من صنعكم، وأنتم أصحابه . وها انتم تجيئون الآن لتقولوا أنكم تريدون البحث عن حل عادل ومنصف . حقا انه انحراف خطير يستدعي نزع الأهلية والصلاحية . واني لأرى أن من واجب الولايات المتحدة وحدها، ودون إيعاز من

أحد، أن تعلن بكل صدق وإخلاص، انحرافها عن صلاحيات لجنة التوفيق وشروط تكوينها، وأن تعلن انسحابها من عضويتها، ومن عضوية الأمم المتحدة .

عليكم أن تكونوا صادقين مع أنفسكم، إذا كنتم ترون ان العودة ليست هي السبيل، وأنها ليست الحل العادل والمنصف، وان تستقيلوا من عضوية لجنة التوفيق وتتسحبوا من واجباتكم تجاهها، وفقا لشروط تأليفها . هذا هو السبيل الشريف الذي يتحتم على الولايات المتحدة اتباعه . وعلى هذه الدول الكبرى أن تأتي هنا، لتعلن أمام الأمم المتحدة، انها عاجزة عن المضي في تنفيذ قرار العودة وأنها تتسحب من عضوية اللجنة بسبب هذا العجز . ولكن لجنة التوفيق هذه الهيئة التي أحنى عليها الدهر وأكل وشرب، والتي عاشت خمسة عشر عاما دون أن تعمل ودون أن تحرز تقدما، ليست بجهاز من أجهزة الأمم المتحدة . إنها لا يمكن أن تكون هيئة من هيئاتها .

وقد أنشئت هذه اللجنة في عام 1948 لتمثل لونا غربيا وطابعا غربيا. ووصفها بعضهم بأنها جهاز من أجهزة حلف الأطلسي . وأنا لا أريد أن أمضي إلى هذا الحد في اتهامها، ولكنني أقول، انها تمثل في الحقيقة والواقع، الدوائر الغربية والقطاعات الغربية في الأمم المتحدة . إنها لا تمثل العمل . إنها لا تمثل آسيا، ولا أفريقيا، ولا أمريكا اللاتينية . وبعبارة أخرى إنها لا تمثل الأمم المتحدة . ومن الواجب أما أن تمثل الأمم المتحدة كلها، بما فيها الدول الاشتراكية التي تزعمها الاتحاد السوفيتي، والدول الصديقة في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، أو تؤلف كهيئة محايدة، وهناك، والحمد لله عدد كبير من

الدول المحايدة في الأمم المتحدة، تستطيع أداء مهام الأمم المتحدة وواجباتها بصدق ونزاهة وكرامة .

وقد مرت هذه المنظمة منذ قيامها بنكسات كما مرت بانتصارات، وكانت فاشلة أحيانا، وناجحة أحيانا أخرى . ولا ريب في أن من السهل علينا أن نتقهم ما تعرضت له من عثرات، وان نقبلها ونصفح عنها، لكن المشكلة التي لا يمكن أن تنسى أبدا، هي مشكلة اللاجئين، ولا سيما ذا ظلت هذه المشكلة مفتقرة إلى الحل . أنها البند الدائم على جدول الأعمال، يتكرر ظهوره في الأمم المتحدة، دورة بعد دورة، وعاما بعد عام . وقد حان الوقت للانتهاء من هذه المشكلة مرة وإلى الأبد . ولكن لن يكون عرضا واقعيا، أن تتجاهل الأمم المتحدة الإنصاف، وان تسمح ببقاء الظلم ودوامه .

وقد حدثكم المستر ديفيز، يا سيدي الرئيس، بعبارة لا لبس فيها ولا إيهام، وفي أكثر من مناسبة، عن ضرورة حل مشكلة اللاجئين، لأن على حلها يتوقف، كما رأى، سلام الشرق الأوسط واستقراره، وبالتالي سلام العالم بأسره واستقراره . ويود الوفد الفلسطيني هنا، ان يقول لكم يا سيدي الرئيس، أن المستر ديفيز على حق، وان رأيه على صواب مائة في المائة، وان الوفد الأمريكي على خطأ مائة في المائة . وكل ما نخشاه ان تضطرب هذه النغمة السلمية التي تسود العالم اليوم في أية لحظة، إذا ظلت المشكلة الراهنة، قائمة تتحدى الحل . وكل ما نطلبه هو حقنا، لا أكثر ولا اقل . وليست القضية نزاعا على الحدود يمكن التفاوض في موضوعه أو الوصول إلى حل وسط فيه . انه الوطن . لباب المشكلة وجوهرها . والوطن قضية لا تقبل التفاوض ولا الحلول الوسط .

وهذا الموقف من جانبنا، لا يصدر عن العناد أو التصلب، أو الافتقار إلى المرونة . ولكن الطبيعة تقول ... ان قضية الوطن لا تقبل التفاوض . ولست اعرف واحدا هنا في هذه القاعة من ممثلي الدول المائة والعشر الأعضاء في الأمم المتحدة، على استعداد للتفاوض على وطنه أو حقه فيه . ولذا فإننا نعلنها داويه الآن، وفي كل حين مقبل، بأننا لن نتفاوض علي وطننا، ولسنا على استعداد للتساهل في حقوقنا فيه .

العرض الثالث

سألقي، يا سيدي الرئيس، ويا حضرات المندوبين الكرام، على مسامعكم في هذا الصباح، خطابي الختامي في المناقشة العامة . ولكن أرجو أن تسمحوا لي قبل أن أفعل ذلك، بأداء ثلاثة واجبات أولية .

دعوني أولاً وقبل كل شيء أن أقدم إليكم يا سيدي الرئيس، عميق شكرنا نحن أعضاء الوفد الذي يمثل شعب فلسطين، معبراً بذلك عن شكر الشعب العربي في كل مكان، على الطريقة الرائعة التي وجهتم بها سير النقاش والأعمال، في هذه المشكلة الخطيرة الأهمية والمثيرة للأسى . ولا ريب في أنك قد عرضت يا سيدي الرئيس بمنتهى الذكاء والكفاية في هذه اللجنة الموقرة، ما تتمتع به من إحساس بالمسؤولية، وما تتميز به من حياد وإنصاف، وهي مزايا عرفت بها بلادك العظيمة في تاريخها الطويل النبيل .

وإني لأذكر يا سيدي الرئيس، أنني عندما كنت رئيساً للوفد السوري، ومن ثم رئيساً للوفد العربي السعودي، كان من حسن حظي، أن أجلس دائماً إلى جانب الوفد الروماني، نظراً لتقارب المقعدين حسب الإجراء المتبع طبقاً لترتيب الحروف الأبجدية . أما وقد بت الآن أحمل صفة أخرى، فإن في وسعي أن أقول، أن علاقاتنا معكم باتت أكثر قوة وعمقاً، إذ أنها علاقة شعب بشعب، بل أمة بأمة، وعلاقة شعب من اللاجئين، بشعب سعيد في وطنه، مستقر في أرضه . وقد تعود إلى بلدك يا سيدي الرئيس بعد انتهاء هذه الدورة، وقد يعود كثيرون غيرك من أعضاء هذه اللجنة الموقرة إلى أوطانهم أيضاً . ولكننا نحن، لن نعود

إلى وطننا . إذ أن وطننا قد احتلته إسرائيل، واغتصبته . وسنعود إلى حياة التشرد واللجوء، التي عشناها منذ خمسة عشر عاماً . ولعل هذه الحقيقة، هي أبلغ ما يربطنا إليكم وإلى جميع الشعوب المحبة للحرية والسلام في العالم من روابط .

ويحتم الواجب الثاني علي أن أتقدم بالشكر الصادق إلى الوفود المائة وعشرة، وبينها زميلي المحترم ممثل ليبيريا، لصبر أعضائها تجاه ما أبديناه من نفاذ صبر، أرى فيه كل الحق والشرعية . وإني لأتحدث عن نفاذ الصبر المشروع، لأنني أود أذكر زميلنا الليبيري، بأننا شعب فلسطين كنا الشعب الشرعي لفلسطين، وقد أدرجنا نظام الانتداب ضمن مجموعة (أ) . ويعرف صك الانتداب لمجموعة (أ) نفسه، بأنه يفرض على شعب وبلاد جديرين بالاستقلال. ولكنهما يحتاجان إلى فترة من الإعداد للحصول على الاستقلال الكامل والسيادة المطلقة . وقد استقلت جميع الشعوب التي أدرجت في هذه المجموعة استقلالاً كاملاً، أيها الزميل الليبيري المحترم، كما استقلت أيضاً جميع الشعوب التي أدرجت في المجموعتين (ب) و (ج) . وهناك شعوب أخرى لم تكن في أي من هذه المجموعات بل دونها كلها، استقلت تمام الاستقلال، وأصبحت سيدها نفسها . ولم نحرم نحن من حريتنا فحسب، أو من استقلالنا، أو من حقنا في الجلوس هنا إلى جانب زميلنا الليبيري، كممثلي دولة كاملة الاستقلال والسيادة، وإنما حرماً أيضاً من بيوتنا وديارنا ووطننا . ترى كيف يمكن للمواطن الفلسطيني أو الوفد الفلسطيني أن يعرب عن عواطفه ومشاعره، وأحاسيسه، بمنتهى الرقة والكماسة والدمائة، وهو يرى أن شعبه قد اقتلع من دياره ووطنه ؟ وقد تعود في يوم ما إلى بلادك، لتتعم بالحياة فيها داخل بيتك ولتجلس مع أسرته تصطلي

إلى جانب المدفأة، تقرأ قصة أو رواية، وتشهد عرضاً تلفزيونياً ناعماً بالحياة البيئية، وبكل ما تغدقه الحضارة من متع، وأنت في وطنك وبين شعبك، ولكننا لا نعود من هذه الدورة إلى وطننا . ولن تكون عودة أعضاء هذا الوفد موحدة . فسننتفرك، لنمضي إلى بلاد متعددة في الوطن العربي . أتعرف ما يعنيه هذا ؟ إنه يعني أننا نعيش وجوداً محطماً مهشماً . فقد تشتت شمل أسرنا، وافترق الآباء عن أبنائهم، والأخوة عن إخوانهم، وأولاد الأعمام عن أقاربهم وأصهارهم، وتحطم كياننا العائلي، وبتنا نعيش منذ خمسة عشر عاماً في المعسكرات والخيام . ومع ذلك، يقوم هناك من يطالبنا بأن نكون رقيقين في تعابيرنا، كييسين في ألفاظنا .

لا ريب يا سيدي الرئيس، ويا زميلي مندوب ليبيريا، في أننا سنخضع أنفسنا، لو أننا لم نقل كل ما يجول في أفكارنا، ونطلق كل ما تخفيه ضمائرنا ومشاعرنا، وقد قلت قبل قليل، أننا من البشر وأن اللاجئين من البشر . فإذا كنا حقاً من البشر، فإن علينا أن نتصرف في أقوالنا وأفعالنا كبشر أيضاً . هذه هي عواطفنا ومشاعرنا . وهذه هي حقيقتنا . إنها شرعة الحياة . فإذا اغتصبت فلا بد أن تغضب، وإذا استثرت كما قال المستر ديفيز، فلا بد أن تثور . وإذا كنا نعيش حياة الحيوانات، فليس في وسعنا أن نأتي، إلى هنا، إلى الأمم المتحدة، لنلبس حياتنا ثوباً رقيقاً مصطنعاً، ولنصطنع البساطة والرقّة كما يريدون منا أن نفعل . هذه هي شرعة الحياة الإنسانية، وهي أن تحس كما تحس، وتفكر كما تفكر، وتكون كما تكون . وأنتم سعداء في أوطانكم، ولذا فمن السهل عليكم أن تتقدموا بالنصيحة إلينا . وأنتم تتعمون بحياتكم القومية في أوطانكم، وتمثلون دولاً كاملة الاستقلال، كاملة السيادة . وإنني لا أحسدكم على هذه الحقيقة، ولا

أنكرها عليكم . وإني لسعيد كل السعادة في أن أرى دولة أفريقية كليبيريا ، ممثلة خير تمثيل، بالخطيب المفوه الذي استمعنا إليه في هذا الصباح .

ولكن من حقي أن أقول، ان عليكم أن تكونوا منصفين عادلين، مع الشعب الذي يمثل هذا الوفد الفلسطيني .

وواجبي الأخير، هو أن أتقدم بالشكر والحمد، للوفود العديدة، التي أعربت عن رأيها في تأييد قضيتنا . . وإني لأعتمد على ذاكرتي، فأذكر بصورة خاصة وفد باكستان ووفد الاتحاد السوفياتي، ووفد غينيا، ووفد الهند، ووفد أفغانستان، ووفد بلغاريا واندونيسيا ومالي . وكلي أمل ألا أكون قد نسيت أحداً، إذ أن من يعيش المأساة لابد أن ينسى الذين يؤيدونه، إذ أن تفكيره يكون محصوراً في أولئك الذين يسيئون لقضيته ويعادونها . وأصدقائنا ماثلون هنا، ولكننا نتطلع إلى الرد على أولئك الذين يعادون قضيتنا ومناقشتهم، إذ أن قضيتنا قائمة على الحق والعدل .

وقد استمعت في هذا الصباح إلى محاضرة ممتعة من صديقنا المحترم مندوب ليبيريا عن التفاوض . وإني لأحترم هذا الصديق الليبيري، لاسيما وأنه تلا على مسامعنا بعض الآيات النبيلة التي استمدها من الإنجيل، العهد الجديد . ونحن أيضاً نجل الإنجيل كل الإجلال، ونحترمه كل الاحترام، وذلك لأننا شعب البلاد المقدسة . إننا شعب البلاد التي شهدت رسول السلام . إننا شعب البلاد التي نزل فيها وإليها، والتي شهدت معجزاته وتعاليمه، مصحوبة بأعذب الذكريات عن السيد المسيح في بلادنا، في قدسنا، وفي ناصرتنا وبيت لحمنا . إذن فنحن نفهم الإنجيل ونقدره . ونجله، ونحترم زميلنا الليبيري لأنه وجه أنظار

الأمم المتحدة إلى تعاليمه، لأنها تعاليم العدالة والحق، لا تعاليم الظلم والإجحاف

ومن السهل على المرء، أن يكرر رفع شعار المفاوضات، إذ أن المفاوضات في هذه المشكلة قد باتت شعاراً، ولكن لا معنى لأية مفاوضات في قضية فلسطين ومشكلة اللاجئين . إنها تخلو من كل معنى، ولا تنطوي على أية أهمية . ترى مع من سننتفاوض ؟ وقبل المناداة بالمفاوضات عليكم أن تردوا على السؤال الملح الذي لا بد من الرد عليه أولاً، وهو من هو الفريق الآخر ؟ وهل هذا الفريق بسياسته، وأقواله وسلوكه وسجله داخل الأمم المتحدة وخارجها أهل للتفاوض ؟

وقد بينا، بالأدلة المدعمة بالوثائق، أن إسرائيل هي وليدة الصهيونية والاستعمار، بكل ما فيهما من شرور ومظاهر . أو يمكن لإنسان أن يتفاوض مع عنصر مخرب وحركة هدامة ؟ إن التفاوض لا يكون إلا مع الحركات الشريفة، ولا يمكن التفاوض إلا عندما يكون في وسع سياسات الفريق الذي تتفاوض معه، وسلوكه وأقواله، وعقائديته أن تتعايش معك، إذ بدون التعايش يستحيل التفاوض، ولا يمكن للتعايش أن يوجد مع التوسع . وليس في وسع الأمم المتحدة أن تتسامح مع التوسع وطالبيه . فلا يمكن التفاوض مع المعتدي، إذ أن هذا التفاوض يكون تكريساً للعدوان . والحركة الصهيونية بطبيعتها، وبخصائصها، حركة هدامة، بل حركة عدوانية توسعية . وهي ليست أهلاً لأن تكون فريقاً يجري التفاوض معه . وليس في مكنتنا على الإطلاق، أن نقبل بها فريقاً يمكن التفاوض معه .

أو تسمحون لي بأن أتلو على مسامعكم شيئاً من تعاليم الصهيونية، ومن أقوال زعمائها، ومن خصائصها وعقائديتها . فهل في مكنة أحد أن يتفاوض مع النازية كنظام ؟ إنني أعرف أن دول الحلفاء رفضت ذلك إبان الحرب العالمية الثانية وهي تقول ... (ولن نتفاوض مع النازية، إلا بعد استسلامها الكامل والنهائي) . ويقول بن جوريون في الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل الرسمية 1954، وفي الصفحة 35 منه وأنا أستند في أقوالي دائماً إلى وثائق إسرائيل الرسمية، ما نصه : (وعندما يتحدث يهودي في أمريكا أو جنوب أفريقيا إلى إخوانه اليهود مستعملاً عبارة (حكومتنا) فإنه يعني بها عادة حكومة إسرائيل) . وإني لأضع هذه العبارة أمام زميلي مندوب ليبيريا الذي أشار في خطابه إلى جنوب أفريقيا، لأبين له الصورة التي يرسمها بن جوريون لجنوب أفريقيا في ذهنه، وكيف يفكر بهذه الدولة الأفريقية، وكيف تفكر الصهيونية وإسرائيل بجنوب أفريقيا أو بأية دولة أو أرض أفريقية أخرى يعيش فيها شعب أفريقي من إخوان زميلي الأفريقيين . إن هذه هي الصورة التي يشير فيها بن جوريون إلى جنوب أفريقيا والأفريقيين .

أسمعت هذه العبارة أيها الزميل الليبيري ؟ أسمعت أن اليهودي في جنوب أفريقيا، يعني إسرائيل إذا استعمل عبارة (حكومتنا) ؟ أو في الإمكان على ضوء هذه العقيدة وهذه التعاليم، أن يتفاوض المرء مع إسرائيل، التي يقول قاداتها ان مواطنيك في جنوب أفريقيا يعنونها عندما يتحدثون عن حكومتهم ؟ أو هذه هي الطريقة التي تريد من إخوانك الأفريقيين في طول القارة الأفريقية وعرضها، أن يفكروا بإسرائيل عندما يعنون حكومتهم لمجرد أنهم من اليهود ؟ إن اليهودية دين ليس إلا . وإني لأعرف أن هناك ألوفاً عدة من اليهود،

يعيشون حياة الرخاء والازدهار في القارة الأفريقية . أو تريدون أن يصبح هؤلاء المواطنون الأفريقيون، الذين يدينون باليهودية، مواطنين في إسرائيل، يتحدثون عن حكومتها على أنها الحكومة التي تمثلهم ؟ أو تريد من اليهودي في بلادك، وهو ليبيري مولداً وجنسية، وموطناً أن يعني إسرائيل عندما يتحدث عن حكومته، بدلاً من أن يعني حكومة ليبيريا التي هي في الواقع حكومته، والتي يجب أن يدين لها بالولاء . دعني أسألك لحظة واحدة، إذا كنت من اليهود، وهذا الأمر لا يعني كثيراً، إذا كنت تعني إسرائيل لا ليبيريا عندما تتحدث عن حكومتك ؟ هذا هو لباب القضية كلها وجوهرها، بل هذا هو الأساس الذي تقوم عليه إسرائيل بتعاليمها وسياستها . أو تجعلها هذه السياسة أهلاً للتفاوض ؟

ويمضي بن جوريون أيها الزميل الليبيري المحترم فيقول : (وفي الوقت نفسه تنظر جماهير اليهود في مختلف البلاد، إلى سفراء إسرائيل على أنهم ممثلوهم ..) . هذا هو قول بن جوريون، الذي يؤكد أن اليهود في مختلف البلاد ينظرون إلى سفراء إسرائيل على أنهم سفراءهم، أي أن السيد كومي هنا، هو سفير اليهود في نيويورك . وإني لأعرف أن كثيرين من اللبنانيين، بل الألوف منهم يعيشون هنا في نيويورك . ولم أسمع قط هؤلاء اللبنانيين يشيرون إلى السفير اللبناني حكيم، الممثل للبنان هنا في هذه اللجنة، بأنه سفيرهم، إنهم لا يعنون السيد حكيم عندما يقولون (سفيرنا)، بل أنهم يعنون المستر ستيفنسون أو المستر بليمبتون، إذا كان هو الذي يمثل الولايات المتحدة في هذه اللجنة، أجل إنه هو، فقد رفع يده، وبات في وسعي أن أراه الآن .

وإني لأتجه بسؤالي الآن إلى السفير بليمبتون، لأرى إن كان هو سفير الولايات المتحدة التي تشمل يهود نيويورك، أو أن السيد كومي هو سفيرهم .

وإذا ما أخذنا رأي السيد بن جوريون بعين الاعتبار، تبين لنا أن السيد كومي لا المستر بليمبتون هو سفيرهم . وهنا لابد أن يقوم تضارب في الصلاحيات بين الرجلين أمل أن يتمكننا من حله في وقت من الأوقات. انظروا إن الجالسين في مقاعد المتفرجين يضحكون ساخرين من قول بن جوريون . حقاً انه يثير الضحك، ومع ذلك يطلب إلينا أن نتفاوض مع هذا الذي يسخر الجميع من قوله، لأن قوله يقوم على أساس خاطئ، وها أنذا أرى الدكتور باناش يبتسم أيضاً، واني لأكاد أقرأ ما يفكر فيه . وتنطق ابتسامات الدكتور باناش بالذكاء، وذلك لأنه رجل ذكي لامع .

ولا نستطيع التفاوض مع فكرة كهذه، أو مع سياسة وأهداف كسياسة الصهيونية وأهدافها، وذلك لأنها من الطراز المخرب الهدام، ولأنها تخلق الازدواج في الولاء . فالسيد بن جوريون يطلب من اليهودي في كل مكان أن يعتبر علم إسرائيل علمه، وأن يكون ولاؤه لإسرائيل لا للولايات المتحدة، وأن يكون رئيس إسرائيل لا الرئيس كندي، رئيسه، هذه هي فلسفة إسرائيل، وهذا هو منطق الصهيونية . إذن كيف يمكن التفاوض مع أفكار كهذه ؟

وعلى المرء أن يفكر طويلاً في هذا قبل أن يطلب إلينا التفاوض مع إسرائيل . فمن السهل جدا على المرء، أن يتحدث عن المفاوضات . ولكن كيف يمكن تطبيقها، على وضع كالوضع الذي نحن فيه ؟

وقد تحدثت عن المفاوضات التي تدور بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ولكن لهاتين الدولتين الكبيرتين حقوقهما . وهما تقومان على أرض وطنيهما . وليست هناك حدود بين هذين الوطنين . وقد يكون ثمة صراع مذهبي بينهما، أو قضية تسليح أو لا تسليح، أو أسلحة نووية أو تقليدية لا نووية . لكن

قضيتنا هنا، تختلف كل الاختلاف . فهي متعلقة بوطن وبشعب اغتصب منه وطنه، وأجبر على العيش حياة التشرد والإبعاد في خارج بلاده . هذه هي القضية في منتهى التجرد والبساطة، فلا يمكن التفاوض مع إسرائيل والصهيونية، لا بالنسبة إلى عقائدهما فحسب، بل وبالنسبة إلى أساليبهما ووسائلهما . فأهدافهما لا مشروعة وطرقهما ووسائلهما لا مشروعة أيضاً . ولا ريب في أن أساليب الصهيونية وإسرائيل وطرقهما، تستثير الاضطهاد، وتخلق اللاسامية .

ولا يستبد بكم العجب أيها الزملاء، إذا أكدت لكم، أن شطراً من سياسة الصهيونية وإسرائيل يستثير اللاسامية، ويستفز على الاضطهاد، وذلك بالنسبة إلى رغبتهما في حشد جميع يهود العالم في فلسطين .

وقد عرفنا هذا منذ الثاني عشر من آب (أغسطس) عام 1961، وإني لألفت نظر الزميل، مندوب ليبيريا، إلى ما كتبه اللورد كرومر في مجلة (الاسبكتاتور)، وهو رجل ذو كفاية نادرة، ومواهب عظيمة . . . فقد قال :

(يؤثر أكثر اليهود حماسة أن يعانون الاضطهاد على أن ينعموا بالحرية، وذلك لأن الأول يبقيعلى شعلة القومية عندهم متقدة مشتعلة، بينما تعمل الثانية على إخمادها) .

هذا هو ما توصل إليه سياسي بريطاني كبير وبارز، أكد أن الصهيونية تؤثر الاضطهاد، إذ أنه يعمل على تحقيق حلمهم في تجميع اليهود في فلسطين .

وقد يتراءى للمندوب الليبيري الزميل أن يقول . . . حسناً، إن هذه وجهة نظر بريطانية، وهي لا تنطبق على الحالة التي نتولى درسها الآن .

ولكنني سأشير عليه بالرجوع إلى مصدر يهودي . أجل مصدر صهيوني . إنه مصدر إسرائيلي معاصر، يظهر أن أسلوب الصهيونية وإسرائيل، هو تعريض اليهود للاضطهاد، وإثارة اللاسامية في العالم اللايهودي . . . إنهم يقولون . . . دعونا نستفز شعار اللاسامية في العالم اللايهودي وذلك لنحمل اليهود على التدفق والهجرة إلى فلسطين .

ولدي الآن مرجع لا يمكن تكذيبه، وهو يظهر أن أساليب الصهيونية وإسرائيل تنطوي على التحالف مع اللاسامية، ومع كل ما تنطوي عليه من شرور وآثام . ففي صحيفة (دافار) وهي الناطقة الرسمية بلسان حزب العمال (الماباي) الحاكم في تل أبيب، الدليل على أن الصهيونية تستغل اللاسامية كوسيلة لتحقيق أهدافها . وهذه الصحيفة هي الناطقة بلسان الحزب الحاكم، فهي والحالة هذه، الصحيفة شبه الرسمية في البلاد . ترى ما الذي تقوله ؟ اسمعوا وافتحوا آذانكم لتصغوا، بشيء كثير من الصبر إلى ما أقوله، وأنا أتلو على مسامعكم هذا الدليل . يقول كاتب المقال في الصحيفة المذكورة . .

(سأختار عشرات من الشبان الأكفاء والأذكياء والمخلصين، الذين كرسوا حياتهم لهدفنا الأسمى، والذين تستبد بهم الرغبة في العمل على إنقاذ اليهود، وسأبعث بهم إلى البلاد التي يعيش فيها اليهود في حالة رضى خاطئة). وقد يبعثون بهم إلى ليبيريا، أو إلى أية بلاد ممثلة هنا . وستكون مهمة هؤلاء الشبان في ليبيريا، أو في أية بلاد ممثلة هنا، كما يقول صاحب المقال .

..

(ومهمة هؤلاء الشبان، أن يتكروا بمظهر غير اليهود، وأن يحملوا على الصهيونية المتوحشة، وأن يحيلوا حياة اليهود في تلك البلاد إلى جحيم بشعارات

اللاسامية، كشعار (اليهودي القذر) و (اذهب إلى فلسطين أيها اليهودي) وغير ذلك من الشعارات المرعبة . وفي وسعي أن أقول، أن النتائج التي يحققها هؤلاء الشبان على صعيد الهجرة الكبيرة لليهود من هذه البلاد إلى إسرائيل، هي أضعاف ما يحققه المبعوثون العاديون من نتائج ولو كانوا يعدون بالألوف) .

إذاً سيطلب إلى هؤلاء الشبان الصهيونيين أن يذهبوا إلى البلاد التي يقيم فيها اليهود . وأن ينشروا الإرهاب بينهم بشعارات اللاسامية المرعبة . هذه هي أساليب إسرائيل وحيلها، كما نشرتها صحيفة (دافار) الناطقة الرسمية، بلسان الحكومة القائمة .

ولعلمكم تذكرون أيها السادة، تلك الحملة التي اجتاحت أوروبا وبعض بلاد جنوب أمريكا، وتذكرون أن المرء كان يستيقظ في الصباح ليجد الشوارع كلها وقد امتلأت بمنشورات الحملة على اليهود . وكلكم يذكر ولاشك ان تلك المنشورات كانت تتضمن شعارات كالشعارات التي تنادي بها دافار .

وفي وسعكم أن تعرفوا الآن من هم أصحاب هذه الحملة ومن كان وراءها . إنهم الصهيونيون، بل والإسرائيليون .

ترى أي حزب هذا . أيها الزملاء الكرام، الذي يتبع مثل هذه الأساليب، ويبعث بموفديه إلى أوروبا وأمريكا الجنوبية، حاملين هذا الشعار، لينثروا اللاسامية، وليؤثروا على اليهود، وليدفعوهم إلى الهجرة من بلادهم إلى فلسطين .

إنها أساليب شريرة، أساليب مخربة، وهدامة، ومن الواجب طرد أصحابها من مائدة التفاوض فوراً، ودون إبطاء، لأنهم لا يستحقون الجلوس

إليها . وليس في وسعكم أن تمثلوا لعبة التفاوض على هذا النحو أجل ليس في وسعكم أن تفعلوا هذا .

ولكن لم لا نهبط إلى الواقع . قد يقول الزميل مندوب ليبيريا، أن ما قلته لا يخرج على حدود النظريات . إذن ما هي وقائع الوضع ؟ سأمضي معه في فرضه هذا، لأرى مدى الواقعية في موضوع المفاوضات .

قلت قبل دقائق أننا من البشر . حقاً أنه من الخير أن يعترف بعض الموجودين هنا أننا من البشر، كان يخيّل إلي أننا مجرد سلعة، تباع وتشترى، معروضة في السوق، على المشتريين . كان يخيّل إلي أننا قطيع من الخراف أو المعيز أو الخنازير، يمكن دفعها من مكان إلى آخر . وأنه ليسرني حقاً أن يتحدث عنا زميلي المحترم مندوب ليبيريا، على أننا من البشر . وإنكم تطلبون من الحكومات أن تتفاوض على هؤلاء البشر . ولكنكم تطلبون منها أن تقرر مصيرنا . أجل إنكم تطلبون من الحكومات أن تتفاوض لنقرر حياتنا المقبلة . ولكن بحق السماء كيف يمكن لكم تقرير مصيرنا في غيابنا ؟ كيف يمكن لكم أن تقرروا مصير بلادنا في غيابنا وأن يتم هذا التقرير بين حكومات بعضها معني بالقضية وبعضها لا شأن له على الإطلاق ؟

إنه مصيرنا الذي تريدون أن تقررروه، لا مصير هذه الحكومات المعنية كانت أم غير المعنية . إنه مستقبلنا . وإذا كنتم تقررون أننا من البشر، فمن حقنا أن نعيش، ومن حقنا أن نقول (لا) أو (نعم) . إن من حقنا أن يكون لنا رأي في مستقبلنا، ولن يقدر للمفاوضات أن تنجح، إذا لم يكن لنا رأي فيها . ولم لا تطلبون إلى جميع حكومات الأمم المتحدة أن تتفاوض بالنسبة إلينا وإلى

مستقبلنا ومصيرنا ؟ ولم يكون التفاوض بين الحكومات المعنية وحدها ؟ إننا نحن الشعب المعني وليس ثمة من حكومات معنية في هذه القضية .
إننا نحن، الفلسطينيون الذين نعد مليونين من الناس، أصحاب القضية، ومن حقنا أن نقرر مصيرنا بأنفسنا، وليس من حق أحد أن يتفاوض باسمنا . هذا هو حقنا . وإذا كنتم تقررون أننا من البشر . فيجب أن نعامل كبشر . ومن حقنا كبشر أن نتفاوض في حقوقنا . أجل حقوقنا القومية . ولست أفهم كيف يمكن في عصر الأمم المتحدة، أن يوضع مصير شعب بأسره على مائدة التفاوض دون وجوده . هذه ليست بالمفاوضات . إنها مجرد تصفية لشعبنا، وقضاء على حقوقنا . إننا نعيش في عصر الحرية والديمقراطية . فكيف يمكن للإنسان أن يحترم الحرية والديمقراطية، وأن يجلب مبادئهما، عندما يحرم شعب من أن يقول كلمته، ويعهد إلى غيره بتقرير مصيره ؟ إننا نعيش في عصر الحق القومي في تقرير المصير . وكما نعمت بممارسة هذا الحق القومي، فمن حقنا أن ننعم، بتقرير مصيرنا .

ولنعد الآن إلى موضوع الواقعية من جديد، وليسمح لي الزميل مندوب ليبيريا بأن اعرض على مسامعه تقرير لجنة التوفيق الدولية في هذا الموضوع المتعلق باللاجئين . لنرى معا، المدى الذي يمكن للمفاوضات أن تصل إليه في هذه المشكلة . ذكرت اللجنة في تقريرها الثالث المقدم إلى الجمعية العامة في حزيران (يونيو) عام 1949، وبمنتهى الوضوح والجلال، فقرة سأتلوها على مسامعكم، تقول (أن اللجنة لم تفلح في حمل حكومة إسرائيل على قبول العودة) . هاهي لجنة التوفيق تبلغ الجمعية العامة أنها أخفقت حتى في إقناع حكومة إسرائيل بقبول مبدأ العودة . إذن علام سنتفاوض ؟ ونحن نرى إسرائيل تتكرر هذا

المبدأ ؟ إن إسرائيل لا تتكر العودة وترفضها فحسب، بل وترفض قبولها من ناحية المبدأ أيضاً . وعلى ضوء هذا الرفض والإنكار، لا أستطيع أن أفهم دعوتكم للتفاوض في هذه المنطقة، مع وجود هذا الإنكار الكلي حتى لحق العودة ومبدئها . ومع ذلك فأنتم تطلبون إلى الحكومات العربية أن تتفاوض في موضوع العودة .

وقد عادت إسرائيل، فقدمت في تموز (يوليو) عام 1949، إلى لجنة التوفيق مذكرة رسمية تقول فيها : انه ليس في الإمكان إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء . هذه هي تعابير إسرائيل . اسمعوها، إنها تقول . . (لا يمكن إعادة عقربي الساعة إلى الوراء . والعودة الفردية للاجئين العرب إلى أماكن إقامتهم السابقة أمر مستحيل)، هل سمعتم ؟ إنها العبارات التي اختارتها إسرائيل نفسها . وقد نقلت لجنة التوفيق هذه العبارات بنصها إلى الجمعية العامة . وعندما نسمع إسرائيل تقول أن عودة اللاجئين مستحيلة، فكيف يمكن بحق السماء أن تطلبوا إلى الحكومات العربية أن تتفاوض في موضوع العودة، مع أنها تعرف مسبقاً أن إسرائيل تقول باستحالتها . إن مثل هذا التفاوض لا يعني إلا أن نتفاوض على الاستحالة . أجل إنه يعني المفاوضة على المستحيل . أو ليست هذه مغالطة، بل مهزلة المهازل ؟ فالتفاوض لا يكون إلا في حالة وجود الممكن، لا في حالة وجود المستحيل . ولعلكم تفهمون الآن لماذا نرفض التفاوض .

وعندما أوضح زميلي مندوب سوريا هذه النقطة، لم يكن يركز في إيضاحه إلى خواء أو فراغ، وإنما كان يركز إلى جوهر ومادة . فعندما تعلن إسرائيل أن العودة مستحيلة . فكيف يمكن التفاوض عليها ؟ وليست المفاوضات

إلا وسيلة لتحقيق الممكن . وبين ميثاق الأمم المتحدة أن التفاوض طريقة محددة لتحقيق الممكن، ولكن عندما تقول إسرائيل بالاستحالة، فلا يمكن للمفاوضات أن تحقق المستحيل .

وعاد ممثل إسرائيل يقول في تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1955 . . . () وليس في مكنة حكومتي أن توافق على اقتراح السفير لابواسيه الذي يدعو إلى عملية خيار حر بين العودة والتعويض بالنسبة إلى اللاجئين، كما أن ليس في وسعها أن تتبناه) . أولا ترون أننا نخوض الآن في بعض المتاهات . بعد أن تلوت على مسامعكم اقتراح إسرائيل . إن هذه المتاهات تنبع من الظلام . ظلام الضمير . ومن هنا ترى أيها الزميل، ان المندوب الإسرائيلي قد ذكر بأن ليس للاجئين حق الخيار . فإذا لم يكن لهذا الشعب حق الخيار . فما الفائدة من المفاوضات يا ترى؟ إن هذا شيء غير مفهوم على الإطلاق . إنها مجرد تمرين، تمرين رياضي على الجمباز، لا إجراء من إجراءات الأمم المتحدة . فإجراءات المنظمة الدولية، يجب أن تكون متصلة بالحياة، ومنسجمة مع الوقائع، ولكن إسرائيل قد سدت الطريق أمامها مسبقاً .

وهناك مصدر آخر، سأعرضه عليكم، إنه إنجيل إسرائيل . إنني أجل الإنجيل الذي تقرأونه، ولكن دعونا نرى ما هو إنجيل إسرائيل . إنه الإنجيل الذي يتلى في الكنيسة، برلمان إسرائيل، وهاهو النص أمامي لعام 1961، وقد نقلته صحيفة النيويورك تايمز على النحو التالي :

(أقر الكنيسة هذه الليلة بما يشبه الإجماع، موقف الحكومة من عدم السماح للاجئين العرب الذين فروا من المناطق التي أصبحت الآن جزءاً من إسرائيل بالعودة إليها . وقد أقر الكنيسة في نفس الاقتراع البيان الذي ألقاه دافيد

بن جوريون رئيس الوزراء في الحادي عشر من تشرين أول (أكتوبر) والذي رفض فيه الاقتراح المعروض على الأمم المتحدة بإعطاء اللاجئين حق الخيار بين العودة والإسكان) .

هذا هو موقف الكنيست، وهو كما نعرف جميعاً برلمان إسرائيل . إنه يرفض العودة، ويرفض حق اللاجئين في الخيار بين العودة والإسكان .

واتخذ قرار آخر في نفس الموضوع في تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1962، وإنني لأتلوه على مسامعك يا صديقي المحترم مندوب ليبيريا. وقد نقلت البرقيات الصحفية في الثالث عشر من تشرين ثاني (نوفمبر) هذا القرار من القدس وهذا نصه:

(اقترح الكنيست الإسرائيلي بعد يومين من المناقشات الحادة على سياسة إسرائيل الخارجية، وعلى موضوع اللاجئين الفلسطينيين العرب بوجه خاص. بما يكاد يشبه الإجماع ليلة أمس فأكد سياسة اللاعودة بالنسبة إلى اللاجئين إلى الأراضي الإسرائيلية).

هذا هو قرار البرلمان الإسرائيلي في عام 1962. وقد عرضت على مسامعكم هذا البيان الطويل من سياسة إسرائيل، مستنداً إلى الواقع لا إلى النظريات أو الأهواء . إنها السياسة الفعلية التي اتبعتها إسرائيل عاما بعد عام، هنا في الأمم المتحدة وفي البرلمان، إنها تقوم على لا عودة اللاجئين. وها نحن نسمع هنا وفي الأمم المتحدة بشعار (المفاوضات) الذي يعني (لا عودة للاجئين).

حقاً إنها قضية خطيرة، فتاريخ إسرائيل في الأمم المتحدة وخارجها يستبعد كل الاستبعاد أي قرار أو أية عودة للتفاوض. ونحن نعرف ما يعنيه الاتفاق مع إسرائيل. فقد كانت هناك اتفاقات هدنة معها، وقد وقعها جميع الفرقاء المعنيين، تحت إشراف مجلس الأمن، ونحن نعرف أيضاً أن إسرائيل قد خرقت هذه الاتفاقات وانتهكتها مئات المرات ولكن ليست هذه النقطة التي أحاول جلاءها هنا. إنني سأتلو على مسامعكم البيان الذي ألقاه بن جوريون في البرلمان الإسرائيلي عند احتلال شبه جزيرة سيناء. وقد ألقى هذا البيان في الكنيست في جلسة الثامن من تشرين ثاني (نوفمبر)، انه يقول فيه . . .

(انتهت الهدنة مع مصر إلى غير رجعة، كما انتهت خطوط الهدنة معها. وليس في مكنة أي سحرة أو مشعوذين أن يعيدوها إلى ما كانت عليه).

وإذا كان رئيس وزراء إسرائيل يقول في برلمانه أن هذا الاتفاق الذي وقع تحت إشراف مجلس الأمن قد انتهى بلا رجعة، وأن ليس في وسع أي سحرة أو مشعوذين أن يعيدوا الخطوط التي وضعها ذلك الاتفاق إلى حالها، فكيف يمكن والحالة هذه التفاوض مع الفريق الذي يستتكر اتفاقات الهدنة المعقودة تحت إشراف مجلس الأمن وتلبيةً لتعليماته؟ ومع ذلك فانتم تطلبون إلينا أن نتفاوض مع هذا الفريق.

من الواجب أن ينطوي كل اقتراح وكل عرض على المنطق، وأن لا يكتفى ببسطه هنا على المائدة، وحمل كل إنسان على التفكير فيه . إن هذا الاقتراح غير قابل للتفكير إطلاقاً، وليس في وسعنا أن نفكر فيه .

وقد بسطت في الخطابين اللذين ألقيتهما في هذه القاعة، قضية شعب فلسطين بوجه عام، وقضية اللاجئين بوجه خاص . وقد عرضتهما وأنا ادعي

هذا متواضعاً، بصورة كاملة، وبحرية وصراحة . وتلوت على مسامعكم بعض الحجج التي تستند إلى القانون الدولي، وما يمليه الميثاق ومبادئ الأمم المتحدة . واستشهدت بالأرقام والإحصاءات، واستندت إلى المراجع والمصادر الموثوقة، سواء منها تلك المستقاة من سجلات مجلس الشيوخ الأمريكي أو من كتاب إسرائيل السنوي، وكلها مراجع موجودة هنا، في الأمم المتحدة . ولم ألبأ إلى المقتطفات الصحفية إلا نادراً، إذ إنني كنت أؤثر دائماً الاعتماد على المراجع الرسمية .

ترى ما هو أثر أقوالي هذه ؟ يؤسفني أن أقول أنني لم أتلق رداً من جانب الولايات المتحدة على الإطلاق . وقد تحدثت في خطابي الثاني ثلاث ساعات طوال . مستشهداً بالمراجع الأمريكية على الاتهامات الخطية والمتعددة التي وجهتها إلى سياسة الولايات المتحدة، ومع ذلك، فلم أسمع أي رد على اتهاماتي هذه .

ويؤسفني أن أقول أن القضية التي عرضتها لم تكن مبنية على أساس الشكل، وإنما كانت شاملة وكاملة، إلى آخر ما في الكمال من معنى تدعمه الأدلة الكثيرة التي لا تناقض . وقد اكتفى ممثل الولايات المتحدة المحترم، برد قصير، لم يعلق فيه على الجوهر والمادة، ولا على التهم التي وجهتها إلى حكومته، وإنما رد فيها على اللغة التي استعملتها، واللهجة التي لجأت إليها . وقد ذكر سفير الولايات المتحدة، أنني استخدمت عبارات مهينة، وأن لهجتي كانت تنطوي على المرارة، وأن الولايات المتحدة لا تود تشريفي بالرد على أقوالي . ولكنني رجل كريم شريف، ووفدنا كريم شريف، وشعبنا، الفلسطيني بل والعربي

كله، شعب كريم وشريف . والشرف يسري في عروقتنا . وهذه حقيقة أود من الولايات المتحدة أن تعرفها .

وإذا كان ثمة من دليل على كرامتنا وشجاعتنا، فإن هذا الدليل ماثل في تحدينا للولايات المتحدة . فنحن نمثل أضعف شعب في العالم، ومع ذلك فنحن نتحدى أقوى شعوب العالم طراً ، وقد نكون شعباً أعزل وقد نكون شعباً فقيراً، ولكننا نتحدى سياسات الولايات المتحدة بكل ما لديها من سلطان نووي، وموارد مادية . وإذا كان هناك من دليل على كرامتنا، فإن هذه الكرامة هي التي أوحت لنا بالشجاعة على تحدي الولايات المتحدة، لاسيما إذا كان فقيراً وأعزل من السلاح . ولكننا تحديناها بمنتهى الكرامة والشجاعة .

أجل سبق لي أن وجهت عدداً كبيراً من التهم الخطيرة إلى الولايات المتحدة، وهي مازالت قائمة حتى الآن على السجل، تنتظر الرد . فقد تحدثت قبل كل شيء، عما عثرت عليه لجنة الشيخ فولبرايت بالنسبة إلى الرشاوى من إسرائيل للمؤسسات الأمريكية لتسميم عقول الناس في الولايات المتحدة . وأشرت بصورة خاصة إلى الجهود التي يبذلها عملاء إسرائيل، لإعداد تصريحات حكام الولايات ورؤساء البلديات في الولايات المتحدة، تأييداً لمواقف إسرائيل، وظلت هذه التهم قائمة تحتاج إلى الرد .

وكان أكرم بالولايات المتحدة وأشرف أن لا تشرفني بل تشرف الحقيقة والواقع والصدق، وأن ترد بالنفي أو الإيجاب، عما إذا كانت تحقيقات الشيخ فولبرايت صحيحة أو غير صحيحة .

وقد اتهمت الولايات المتحدة بالغبار الذري الانتخابي الذي ينهال على شعبنا من اللاجئين يوماً بعد يوم . وقد قلت ان الغبار الذري الانتخابي يصيبنا

برشاشه باستمرار، من جراء هذه التصريحات المختلفة التي تصدر هنا، في الولايات المتحدة، طيلة أيام السنة، ولا سيما في الحملات الانتخابية . ومازالت هذه التهمة قائمة تحتاج إلى الرد من جانب وفد الولايات المتحدة، الذي تكرم ممثلها هنا فاكتفى بالقول بأن اللهجة التي أسـتعملها، واللغة التي أعبر بها، مهينة ومسيئة . ولا تهمني اللغة سواء كانت مسيئة أو لا مسيئة . وقد أعلنت أن سياسة الولايات المتحدة مسيئة ومهينة بالنسبة إلى الأعمال التي ترتكبها . ولا يمكن أن يعتبر قول المندوب الأمريكي بأن لهجتي (مسيئة ومهينة)، رداً على اتهامي إذا كانت أعمال حكومته مسيئة ومهينة .

وقد اتهمت أمريكا بأن السيد بن جوريون وحكومته يقلبان قراراتها رأساً على عقب في أكثر من مناسبة، واقتبست من أقوال بن جوريون نفسه، ما يشير إلى ادعائه القدرة على قلب قرارات الحكومة الأمريكية . وطلبت من الوفد الأمريكي رداً على سؤالي إذا كان من الصحيح أن إسرائيل قادرة على قلب القرارات الأمريكية . ونحن معنيون بهذه النقطة، لأن القرارات التي تقلب تتعلق باللاجئين وبحقوق شعب فلسطين . والآن أرجو أن تجيبني بلا أو نعم . هل صحيح أن إسرائيل قادرة وعلى استعداد دائم لقلب قرارات حكومتك بالنسبة إلى مصائرنا وإلى مستقبلنا وأهدافنا وحقوقنا القومية ؟ إن من حقنا أن نعرف الرد على هذا السؤال .

ووجهت أيضاً تهمة أخرى وهي أن لجنة التوفيق الدولية قد أساءت التصرف والسلوك، وخرجت على الحدود المرسومة لها، وتجاهلت حقوق شعبنا في العودة . واتهمت الولايات المتحدة أيضاً، بأن العبارة الأخيرة في بيان ممثلها هنا تتحدث عن إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية .

قلت كل هذا بصراحة . وهو خرق فاضح لصلاحيات لجنة التوفيق ومسئولياتها . ولو كانت الولايات المتحدة مخلصه لسياستها، فإن الواجب يحتم عليها أن تأتي إلى هنا، إلى الجمعية العامة وأن تقول، (إننا عاجزون عن تنفيذ المهمة الموكلة إلينا)، بدلاً من الإغفاء في سبات طويل على هذه المهمة امتد خمسة عشر عاماً، لتأتي بعد انصرامها قائلة ... وها نحن نحاول العثور على حل جديد . إن هذا القول ضرب من الخيال والوهم . وليس هذا بعالم الواقع الذي نتحدثون عنه . فالحل هنا . وقد أقرته الأمم المتحدة في عام 1948 . وكنتم أنتم الذين وضعتم الفقرة الحادية عشرة في هذا القرار، وكان عليكم بوصفكم عضواً في لجنة التوفيق الدولية . مخلصين لصلاحياتها، ولهذه الفقرة التي صغتموها بأنفسكم، أن تنفذوا هذا الحل، وألا تبحثوا عن حل آخر . إن الحل قائم ينتظر التنفيذ، ولا يفتقر إلى الاكتشاف .

أما بالنسبة إلى اللغة المهيمنة، فإنني جد آسف حقاً أن أسمع من دولة كبرى ممثلة في الأمم المتحدة، مثل هذا الدفاع السيئ . وإني لأقول انه دفاع سيئ لأن الواجب يحتم عليكم أن تردوا على الحقائق والوقائع والأرقام والإحصاءات، وكلها مستخلص من سجلات الأمم المتحدة، أجل إنها موجودة كلها إما في سجلات الأمم المتحدة أو في سجلات مجلس الشيوخ . وقد تحدثت طيلة ساعات طوال، فهل كان حديثي كله مسيئاً مهيناً ؟ لست أعرف أن المعجم الإنجليزي يضم من الكلمات المسيئة والمهينة، ما يستغرق ثلاث ساعات طوال من الحديث . وإني لأعلم أن اللغة الإنجليزية ضعيفة لأنها لا تضم عدداً كبيراً من الألفاظ المسيئة المهينة . ولا ادري إن كان زميلنا المحترم المستر بليمبتون يعرف هذه الحقيقة، إذ أنه واسع الاطلاع في اللغة الإنجليزية .

يا لها من غرابة . . . أتحدث ثلاث ساعات طوال، ثم لا أسمع من الولايات المتحدة رداً، سوى أن لغتي كانت مسيئة ومهينة . ولكن اللغة التي استعملتها، لا تخرج عن اللغة التي يستعملها مواطنو الولايات المتحدة البارزون، سواء أكانوا من المسؤولين، أو كانوا يمتنون إلى أية ناحية من نواحي الحياة العامة .

وهنا لابد لي من أن أوجه نظركم إلى بيانات هذه الشخصيات الأمريكية . فقد ذكر الدكتور ميلر باروز في كتابه . . (فلسطين شغلنا الشاغل) ما نصه . . .

(كانت حكومتنا هي المسؤولة عن إرغام أعضاء الأمم المتحدة على الاقتراع إلى جانب قرار التقسيم في التاسع والعشرين من نوفمبر عام 1947) أي أن الولايات المتحدة هي التي فرضت قرار التقسيم. إن حكومتها هي التي فرضته . . أو هذه لغة معيبة . إنها لغتكم على أي حال . . . ومضى الدكتور باروز بعد ذلك يقول . . .

(وقد فرضته حكومتنا دون خجل عن طريق اللجوء إلى أساليب سياسات القوة التي أحنى عليها الدهر) . ترى هل تعتبر هذا التعبير رفيعاً أو مسيئاً . ويمضي الدكتور باروز فيقول . . .

(وكان هذا العمل عرضاً مخجلاً للحقيقة المؤلمة، وهي أن في وسع الأساليب القديمة المستتكرة من الناحية الخلقية، والتي تتبع في فرض الضغط المشبوه والإرهاب الدبلوماسي، أن تسيطر على هيئة أنشئت لهدف سام وهو تحقيق العدالة الدولية) .

ولم تكن هذه العبارات (المخجلة) و (المؤلمة) والمستنكرة، والمشبوهة من وضعي أنا، إذ أن العبارات التي استعملتها كانت أقل قسوة وعنفاً . وإذا صح أن عباراتي مهينة ومسيئة، فما هو الوصف الذي يمكن أن يطلق على تعابير الدكتور باروز ؟ إنها قضية أذواق، بل وقضية تسمية . ولست أعرف ذوق الوفد الأمريكي بالنسبة إلى الإهانة والعبارات المهينة . ويبدو لي أننا نختلف على تعريف اللغة المهينة . ولعل من الإساءة للتعبير نفسه . أن نختلف في تعريفه . إن اتهام التعبير بالإهانة والإساءة، في الوقت الذي يتميز فيه بالرقّة والكياسة شيء مهين حقاً .

ولأستشهد بمرجع آخر . إنه وزير الدفاع هذه المرة، جيمس فورستال . فقد كتب في يومياته يقول :

(وكانت الأساليب التي اتبعت لفرض الضغط والإكراه على الدول الأخرى في الجمعية العامة . أقرب ما تكون إلى الفضيحة الضخمة) .

إنه وزير الدفاع الأمريكي، يتحدث عن سياسة الولايات المتحدة في فرضها الضغط على الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1948، ويصفها بالفضيحة، والفاضحة . وقد تحدثت في ذلك اليوم عن السياسة الفاضحة، وها هو وزير الدفاع الأمريكي نفسه يؤيد قولي . وإذا كان وزير دفاعكم يجد في نفسه الشجاعة الكافية، والصدق في أن يصف سياستكم بأنها فاضحة . فماذا تنتظرون منا معشر اللاجئين الذين اقتلعنا من جذورنا في وطننا كنتيجة مباشرة لسياستكم هذه ؟ .

وتكهن المستر فورستال وزير الدفاع، بأن هذا التأييد المطلق لإسرائيل (سيعترك آثاراً لا تزول من الكراهية وانعدام الثقة) بالنسبة إلى الولايات المتحدة في الوطن العربي .

أجل تركت سياستكم آثاراً لا تزول من الكراهية وانعدام الثقة في الوطن العربي، ولم يكن خطابي اليوم أيضاً إلا انعكاساً لهذه الآثار، وإني لأجد من واجبي أن أقول دون تردد بأن هذه الآثار من الكراهية وانعدام الثقة، مازالت سائدة في الوطن العربي . ولكنها ليست بالكراهية الطبيعية الفطرية . فنحن لا نكره الولايات المتحدة وشعبها . إننا نعجب بالشعب الأمريكي، ونعجب بما يبديه من تسامح، وكرم، وشهامة، وتعلق بالديموقراطية . ولكننا نكره السياسة الأمريكية لمواقفها اللاديموقراطية والمشبوهة والفاضحة من مشكلة فلسطين، وإني لأستعين الآن في هذه التعابير من أقوال المستر فورستال .

أو تسمحون لي بأن أذكركم، بأن مشرعنا العظيم السير ظفر الله خان، حذر العالم الغربي في عام 1947، أثناء مناقشات الجمعية العامة في موضوع التقسيم بقوله . . . (أرجوكم، أتوسل إليكم، ألا تحطموا وتنسفوا كل ما لكم من رصيد في العالم العربي) .

أجل إنه حذركم في عام 1947 من تحطيم رصيدكم في العالم العربي فلم تكثرثوا بتحذيره . وها إنكم تجنون الآن الثمرة، كراهية وعدم ثقة . إننا لم نكره الولايات المتحدة في يوم ما . أو تسمحون لي بأن أذكركم، بأن العالم العربي كله صفق إعجاباً لكم في عام 1919 عندما أعلن الرئيس ويلسون نقاطه الأربع عشرة . أجل هللنا لنقاط الرئيس ويلسون، ولا سيما للنقطة التي تقرر مبدأ تقرير المصير، وعندما ذهبت لجنة كنج-كرين إلى بلادنا في عام 1919، اقترح

تسعون في المائة منا، أي من أهل سوريا وفلسطين، إلى جانب انتداب الولايات المتحدة علينا، إذا كان الاستقلال متعذراً .

أو ترون مدى الثقة التي كنا نضعها في حكومة الولايات المتحدة، إننا طالبنا الانتداب الأمريكي كبديل عن الاستقلال في عام 1919 . أما الآن . فقد انهارت هذه الثقة كلها، وأصبحت صفرًا . وتحول حبنا للولايات المتحدة إلى كراهية، وعدم ثقة على حد تعبير المستر فورستال في يومياته .

وهناك مرجع آخر . أمامي بيان ألقاه عضو الكونجرس لورنس أ . ش . سميث، في مجلس النواب الأمريكي . إنه يقول :

(دعونا ننظر إلى السجل - أي سجل الولايات المتحدة في الجمعية العامة - يا سيدي الرئيس لنرى . ماذا حدث في الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل الاقتراع على التقسيم
إنه يمضي قائلاً :

(إن الضغط الذي فرضه ممثلونا وموظفونا وبعض مواطنينا يؤلف سلوكاً يستحق الحساب، ويستحق عقابنا وعقابهم) .

أسمعتم (سلوك يستحق الحساب)، من الولايات المتحدة وموظفيها لأنها فرضت الضغط الشديد على الجمعية العامة لإرغامها على الاقتراع إلى جانب قرار التقسيم .

ولم يكن هناك في ذلك الحين، إلا اقتراحان معقولان ومنطقيان، وقد عرضا على الجمعية العامة . ورفضت الحكومة الأمريكية عن طريق وفدها هذين الاقتراحين . ترى ماهما هذان الاقتراحان المعقولان والمنطقيان ؟

كان أولهما يطالب بالاستفتاء، أي أن يستقضى شعب فلسطين وفي فلسطين نفسها بما يريد تحقيقه .

وكان ثانيهما يقضي بالرجوع إلى محكمة العدل الدولية، لتقرر ما إذا كانت الجمعية العامة صاحبة الحق في تقسيم وطن له شعبه، ضد إرادة هذا الشعب .

وقد رفضت الولايات المتحدة هذين الاقتراحين وعملت على هزيمتهما . أجل رفضت الولايات المتحدة الاستفتاء . فكيف يمكن أن توصف سياستها بالديموقراطية عندما تعارض في استفتاء للتأكد من رغبات شعب البلاد ؟ ولنعد الآن إلى الاقتراح الثاني . طالبنا بالرجوع إلى محكمة العدل الدولية، لاستشارتها فيما إذا كان من حق الأمم المتحدة أن تقسم وطناً ضد إرادة شعبه، وعلى الرغم منه . ومع ذلك فقد رفضت الولايات المتحدة، الرجوع إلى العدالة .

وليس هذا هو كل شيء . فلم تكف الولايات المتحدة، بما أنزلته بنا من أضرار في الماضي، وإنما تقف اليوم متهمة بإلحاق أذى جديد باللاجئين . وقد سمعنا السفير كوك في ذلك اليوم، ينهي بيانه بعبارة يطلب فيها اتخاذ قرار بإدماج اللاجئين في اقتصاد الشرق الأوسط .

حسن .. إن اللاجئين لا يمتون إلى الشرق الأوسط . إنهم ينتمون إلى فلسطين، ومن حقهم أن يعودوا إليها . إنهم مواطنون فلسطينيون، ومن حقهم أن يعودوا إلى وطنهم . وليس في مكنتكم أن تتحدثوا عن مشكلة اللاجئين على أنها جزء لا يتجزأ من مشكلة الشرق الأوسط، فنحن لا نناقش مشاكل هذا الشرق هنا . وليس من حق الأمم المتحدة، ولا من صلاحية الولايات المتحدة أن تبحثا في مشاكل الشرق الأوسط .

وأود أن أذكر صديقي المحترم، ممثل الولايات المتحدة، كما أذكر السيدة ماير، لأنهما يبدو لي يقفان في معسكر واحد، لأن إسرائيل كانت دائماً طفل الولايات المتحدة المدلل، ولذا فإن وقوفهما في صف واحد ليس من قبيل الصدفة العارضة، فإن السيدة ماير قالت في بيانها الذي ألقته . . .

(تتحدث الفقرة الحادية عشرة عن (الإدماج) وقد عادت قرارات الأمم المتحدة اللاحقة، فحدده في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية) .

ومن هنا يبرز هذا الاشتراك بين الولايات المتحدة وإسرائيل في الحديث عن الإدماج في حياة الشرق الأوسط . ولكن الإدماج ليس بالتعريف اللغوي . وليس من قبيل الاصطلاح، أن يعود الإنسان إلى المعجم، ليجد معنى (الإدماج) . إنه تعريف من تعاريف الأمم المتحدة، وهو مصطلح من مصطلحاتها . وعلى المرء أن يبحث عنه بين قرارات الأمم المتحدة . وها إنني أجد أمامي قرار الأمم المتحدة رقم 393 (5) الصادر في الثاني من كانون أول (ديسمبر) عام 1950 . وأرى من واجبي هنا أن أبين أن هذه الفقرة التي سأتلوها على مسامعكم، كانت من صياغة الوفد الأمريكي، وأن الولايات المتحدة هي التي أدخلت هذه الفقرة، التي تولت بالاشتراك مع غيرها من الدول، تضمينها الاقتراح المقدم إلى الأمم المتحدة، وتنص الفقرة الرابعة من هذا القرار على ما يلي :

(وترى دون المساس بنصوص الفقرة الحادية عشرة من قرار الجمعية العامة رقم 194(3) الصادر في الحادي عشر من كانون أول (ديسمبر) عام 1948 إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأدنى الاقتصادية، إما عن طريق العودة أو الإسكان) .

وهكذا لا يكون الإدماج في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية، مجرد تعريف عام، وإنما تعريف مرتبط باختيار اللاجئين، فمن يؤثر منهم العودة يعود، ومن لا يريدونها منهم، يعاد إسكانه . ومن هنا لا يكون الإدماج بلا قيد أو شرط، وإنما هو إدماج إما بالعودة أو الإسكان .

وهناك وثيقة أخرى، مهمة كل الأهمية، من إعداد المستر همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة . ولا ريب في أن هذه الفرصة مواتية للإشادة بذكراه . فقد مات في أفريقيا دفاعاً عن السلام، ولكنني آمل، ألا تموت هذه الوثيقة التي يتحدث فيها عن الإدماج، والتي يقدم فيها إلى الجمعية العامة تفسيره لهذا التعريف، في عيون الوفد الأمريكي . ففي التقرير الذي قدمه إلى الجمعية العامة ؛ عن تجديد مدة وكالة الإغاثة الدولية، وهو التقرير الموضوع أمامي الآن، يقول السكرتير العام للأمم المتحدة .

(والقضية التي يجب البحث فيها عن الإدماج، ناحية سياسية في منتهى الأهمية، فقد قررت الجمعية العامة في الفقرة الحادية عشرة من القرار رقم 194 (3)، أن يسمح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم بالعودة) .

ويمضي المستر همرشولد بعد ذلك قائلاً :

(ومن هنا يكون الموقف الذي يتحتم على الجمعية العامة أن تتفقه، هو إدماج اللاجئين في الحياة الإنتاجية لإسرائيل، كما في الحياة الإنتاجية للدول العربية حسب اختيار اللاجئين أنفسهم . . . فالراغبون في العودة إلى فلسطين، يجري إدماجهم فيها، بينما يدمج الذين لا يرغبون في العودة في الحياة الاقتصادية للبلاد العربية) .

هذا هو تفسير المستر همرشولد، بالنسبة إلى موضوع الإدماج ومن هنا يتبين أن الإدماج ليس بالشيء الجديد، الذي تحاول الولايات المتحدة أن تجر الجمعية العامة بأسرها إليه. وهو إدماج اللاجئين في حياة الشرق الأوسط الاقتصادية كلها .

وقد عاد المستر همرشولد يقول :

(ولن يكون الإدماج مرضياً أو حتى ممكناً، إذا كان تحقيقه، ينطوي على إرغام الناس على اتخاذ مواقفهم الجديدة ضد رغباتهم) .
وهكذا فإن المستر همرشولد قد أبلغ الجمعية العامة، بأن ليس في استطاعتكم إرغام هؤلاء الناس على مواقف ضد رغباتهم . .

فإرادتنا هي التي يجب أن يكون لها القول الأول والأخير، وليست إرادة الأمم المتحدة أو الولايات المتحدة . وليس في مكنتم أن تدمجوا اللاجئين في سوريا أو لبنان أو العراق . إن اللاجئين مصممون على الاندماج في فلسطين، في ديارهم ووطنهم، وهذا هو قولهم الأخير، بل موقفهم الأخير، ومن واجب الولايات المتحدة أن تخضع لإرادة هؤلاء الناس وأن تحترمها، إذا شاءت أن تكون هنا ممثلة للديموقراطية، وممثلة لإرادة الشعوب، ولكل ما يفرضه ميثاق الأمم المتحدة .

أما وقد أنهيت حديثي عن هذا التواطؤ بين إسرائيل والولايات المتحدة، فإن من واجبي أن أعود إلى البحث في تواطؤ آخر . إنه التواطؤ بين المملكة المتحدة وإسرائيل، وإني لأعتقد أن كل إنسان ينتظر هذا التواطؤ ليعرف سببه ونشأته وتاريخه . وقد يكون من المجدي والمفيد لزميلي المحترم ممثل المملكة

المتحدة أن يعرف تاريخ حكومته في هذه القضية، أجل تاريخ حكومته مع إسرائيل وتاريخ الإمبراطورية البريطانية مع الصهيونية . وقد تحدث بالأمس رداً على ما قاله أخي وزميلي السيد الباجه جي، عن العلاقة بين الصهيونية والاستعمار البريطاني، وبين الصهيونية والاستعمار العالمي . وتطوع المندوب البريطاني، برد، أرى أنه مع مزيد الاحترام من أسوأ الردود، وهو قائم على الاعتقاد أكثر منه على قوة حجة . وإني لأؤثر أن أنصح جميع الأعضاء، بأن يدرسوا السجلات والوثائق قبل أن يتحدثوا في أي موضوع مدرج على جدول الأعمال، ولذا فإن من واجب وفد المملكة المتحدة أن يدرس سجل دولته وتاريخ سياستها في طول العالم وعرضه، قبل أن يتطوع بتقديم بيان هنا، في الأمم المتحدة، وإذا كان هذا الوفد يجهل السجل والتاريخ، فإن من واجبي أن أذكره بهذا السجل .

وقد سبق لي ان قلت أن الصهيونية هي لباب الاستعمار وقلب الإمبريالية، بكل ما فيهما من شرور ومساوئ . وذكرت السيدة ماير، في البيان الذي ألقته بالأمس أن (الوفود العربية، تحاول أن تفرض علينا وصمة الإمبريالية والاستعمار) فالاستعمار والإمبريالية . ليستا بالوصمة أو الدمغة . ونحن لا نصم أحداً أو ندمغ أحداً بهما على الإطلاق . فقد نشأت الصهيونية في حضان الاستعمار . وانتقلت من حضان دولة إلى أخرى منذ نشوئها . ولذا فهذه الصلة ليست بالوصمة . وليست الصهيونية وإسرائيل إلا الثمرة الرئيسية للاستعمار بكل ما فيه من مظاهر سيئة، وكل ما فيه من شرور . والسجل أمامي جلي واضح . حاولت الصهيونية منذ نشأتها، أن تتحالف مع جميع الدول والقوى الاستعمارية في عصر الاستعمار وزمانه . وكان خالقو الصهيونية،

يجوبون أنحاء أوروبا كلها بحثاً عن الأحلاف مع القوى الاستعمارية البارزة في تلك الأيام . وقد بدأوا جولتهم بفرنسا وقدموا إليها مذكرة يقولون فيها . .

(سنضم البلاد التي نعتزم احتلالها، مصر السفلى، والأقسام الجنوبية من سوريا ولبنان . وسيمكننا هذا الوضع من أن نصبح سادة التجارة مع الهند والجزيرة العربية، وشرق إفريقيا وجنوبها . ولا يمكن لفرنسا إلا أن ترغب في رؤية الطريق إلى الهند والصين محتلة من شعب يسير وراءها إلى الموت . وهل هناك من شعب يصلح لهذا الهدف أكثر من اليهود، الذين شاء القدر لهم منذ بداية عصور التاريخ أن يرتبطوا بمثل هذا الهدف . وليس ثمة من شك في أن اليهود والفرنسيين قد خلقوا منذ الأزل، ليعملوا معاً) .

أتسمعون ! هذه هي لغة الاستعمار، كما تحدثت بها الصهيونية إلى فرنسا بالنسبة إلى الهند وإلى الطرق التجارية العربية، وتجارة البحار . إنها لغة الاستعمار، كما خاطبت الصهيونية بها فرنسا . ولكن هذه ليست النهاية . فقد مضى قادة الصهيونية إلى ألمانيا، وعرضوا عليها برنامجهم على النحو التالي :

(نحن نريد أن نقيم على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حضارة عصرية، ومركزاً تجارياً يكونان دعامة للسيادة الألمانية مباشرة أو لا مباشرة) .

وهكذا فهم يقولون لفرنسا، إننا نعبد الفرنسيين، وقد خلقنا لنعمل معكم يداً بيد . نعيش معاً ونموت معاً، وها هم يقولون للألمان بأنهم سيكونون دعامة السيطرة الألمانية . ثم يقولون:

(وستكون فلسطين، عن طريق الهجرة اليهودية، قاعدة سياسية وتجارية، بل صخرة ألمانية - تركية كصخرة جبل طارق، على حدود المحيط الإنجليزي - العربي) .

وهكذا أرادت الصهيونية أن تكون العميلة التابعة لألمانيا الاستعمارية، كما أرادت أن تكون العميلة التابعة لفرنسا الاستعمارية، وإني لأقول هذا مع احترامي الشديد لفرنسا، التي لم تعد استعمارية على الإطلاق بفضل قائدها العظيم الرئيس ديغول، الذي تمكن من تطهير تاريخ فرنسا من آخر بقايا الاستعمارية وآثارها .

هذا بالنسبة إلى ألمانيا وفرنسا . فما الموقف بالنسبة إلى بريطانيا والولايات المتحدة ؟ تقول رسالة بتاريخ الرابع عشر من كانون ثاني (يناير) عام 1918، وجهها وايزمن إلى برانديس ما نصه . . .

(إن فلسطين اليهودية التي تخلقها بريطانيا العظمى، وتساعدنا أمريكا، تعني ضربة مميتة، توجه إلى السيطرة الإسلامية - البروسية - الطورانية على الشرق) .

هذا هو محور جديد، إن الصهيونية تتخلى عن البروسيين والألمان والفرنسيين وتتجه إلى الأمريكان والإنجليز، قائلة لهم ان (اشتراكنا يعني ضربة مميتة نوجهها إلى ألمانيا والإسلام وتركيا) . إنه محور استعماري جديد كل الجدة، والحديث عنه، جديد وبلغة جديدة، تخاطب بها الصهيونية كلا من أمريكا وإنجلترا . ويمضي وايزمن قائلاً . . .

(ويجب أن يكون من الواضح كل الوضوح أن ثمة ارتباطاً كلياً بين المصالح الأمريكية والبريطانية واليهودية في وجه المصالح التركية البروسية) .

ولكن هل كانت هذه الخطوة خاتمة المطاف ؟ لا . وألف لا . إن الصهيونية تتقدم بعروضها إلى ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة . ولكن هذه العروض، لم تضع نهاية لمخططاتها . فهناك دولة كبيرة أخرى، أخذت في الظهور بعد الحرب الكونية الأولى، وبعد الحرب العالمية الثانية . إنها الاتحاد السوفييتي . فكيف يمكن للصهيونية التقرب إليها ؟ إنها القلعة الأخيرة التي لا بد من اقتحامها . وقد تقربت منها على النحو التالي، إذ مضى بن جورين الزعيم الإسرائيلي المعروف يقول للاتحاد السوفياتي في عام 1944 ما نصه:

(ولن تتمكن روسيا السوفييتية، عن طريق تشجيعها الهجرة اليهودية من تحميل الجماعات اليهودية في طول العالم وعرضه جميلاً لا تتساه فحسب، بل ستخلق لنفسها أيضاً مركزاً ممتازاً في الشرق الأوسط) .

فها هم الصهيوونيون يعرضون الشرق الأوسط بكامله على الاتحاد السوفييتي هذه المرة، وكأنهم هم أصحابه الشرعيون، وها قد رأيتم، كيف أن الصهيونية كحركة استعمارية، تقربت من الاتحاد السوفييتي، والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى، وفرنسا، وغيرها من الدول . ولكننا نعرف أن الاتحاد السوفييتي لم يلق بالاً إلى هذه السخافة الصهيونية التي تدعوه إلى تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ليكسب لنفسه مركزاً في الشرق الأوسط، ونحن نعرف أن الاتحاد السوفييتي لا يبحث عن مركز ممتاز في الشرق الأوسط، لأن للشرق الأوسط أهله وأصحابه . إن الشرق الأوسط ملك لأهله، والاتحاد السوفييتي أبعد ما يكون عن التفكير أو تصور مركز ممتاز له في الشرق الأوسط، عن طريق هذه الطرق والأساليب الدعائية التي تتبعها الصهيونية .

فالصهيونية حركة لا مشروعة في الاتحاد السوفيتي، وإن لأعتقد أن هذا السبيل هو الطريق المعقول الذي يمكن لجميع شعوب العالم اتباعه، إذ أن الحركة الصهيونية حركة هدامة ومخرية . وقد قدم الاتحاد السوفيتي الكثير لخير السلام والاستقرار في العالم بتحريمه الصهيونية كحركة مخرية . هذا درس يجب أن تتعلمه الدول الأخرى والأمم المتحدة في مجموعها .

ولكن الصيونيون لم يكتفوا بهذا كله . فقد تقدموا إلى الإمبراطورية العثمانية متقربين منها، وذلك لأن فلسطين كانت جزءاً من هذه الإمبراطورية. وقد عرض هرتزل، في مقابلته الأولى للسلطان العثماني عبد الحميد في الثامن عشر من أيار (مايو) عام 1901، مليوناً وستمائة ألف جنيه إسترليني، للحصول على (فرمان) سلطاني يقضي بالسماح لليهود بإقامة مستعمرات في فلسطين . ولكن السلطان، وكان ذا نبل وشرف، رفض العرض وازدرى الرشوة، وكتب ما يلي، وقد استقيته من دائرة المعارف البريطانية التي أود لو اطلع عليها زميلي مندوب المملكة المتحدة الذي تحدث بالأمس عن العلاقات بين الصهيونية والاستعمار البريطاني . أجل إن ما سأتلوه مقتبس من دائرة المعارف البريطانية التي نشرت الرسالة التي بعث بها السلطان إلى هرتزل وقد جاء فيها :

(أرجو أن تتصحوا الدكتور هرتزل، بأن لا يقوم بأية خطوات أخرى في هذا الموضوع . فليس في وسعي أن أمنحهم شبراً واحداً من الأرض، إذ أنها ليست ملكي، وإنما هي ملك لشعبي . وقد حارب شعبي من أجل هذه الأرض وجبل ترابها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم . ولو قدر لإمبراطوريتي أن تتجزأ

. فقد يحصل اليهود على فلسطين بلا مقابل، ولكنهم لن يقطعوا إلا جزءاً من جثتنا . وليس في وسعي أن أقبل بتقطيع بلادي) .

كان هذا هو الموقف الذي وقفه السلطان، الذي تصفه الدوائر البريطانية بأنه طاعية . إنه رفض ملايين الصـهيونيين لأن الأرض ملك لأهلها . ولكن مما يؤسف له أن جماعة (تركيا الفتاة) الذين حكموا فيما بعد، قبلوا هذه الرشوة الضخمة الهائلة، وأمامي الآن الخطاب الذي ألقاه المستر هنري مور جنتاو، في سينسيناتي، بعد تخليه عن منصبه كسفير في تركيا، والذي أشار فيه إلى قضية فلسطين . فقد أعلن أنه كان قد اقترح مؤخراً على الحكومة العثمانية أن تباع تركيا فلسطين إلى الصهيونيين بعد انتهاء الحرب . وأضاف أن الحكومة التركية قبلت هذا العرض تقبلاً حسناً، وأن البحث قد جرى في الأرقام . حقاً إنها صفقة بيع وشراء . إنها صفقة وكأنها مزرعة تباع - ولكن الصفقة تتناول بلاداً لها أهلها وشعبها ، وقد تحدث المستر مورجنتاو، في خطاب انتشر انتشاراً واسعاً في الولايات المتحدة، عن المفاوضات التي أجراها مع الحكومة التركية لإتمام صفقة البيع والشراء التي تتناول بلاداً بلاداً لها شعبها .

هذا هو الشكل الواضح للاستعمار، بل أنه أبشع أشكال الاستعمار وأشنعها . إنه المظهر المريع للاستيطان الاستعماري . أهنأك أبشع من التفاوض مع الحكومة التركية بقصد الحصول على بلاد بكاملها، بعد انتهاء الحرب، مع شعبها الذي يعيش فيها مقابل المال سواء أكان هذا المال دولارات أو جنيهات إسترلينية . إنه أسوأ من الإقطاع، حيث كانت الإقطاعيات تباع مع فلاحها . أما هنا فليس الموضوع متعلقاً بإقطاعية، وإنما هو متعلق ببلاد بأسرها، يتفاوض السفير الأمريكي مع الحكومة التركية على بيعها وشرائها .

إنها بلاد ليست مجهولة في التاريخ، بل لها أهميتها التاريخية. إنها بلاد عريقة، تعرف بأرض السلام، وقد شهدت معجزات رسول السلام . إنها البلاد المقدسة التي يتفاوض السفير الأمريكي على بيعها مقابل المال، بكل ما فيها من سكان، وذكريات، ومقدسات، ككنيسة القيامة، وكنيسة المهد، والناصر، والقدس المقدسة بآثارها . إنه يريد بيعها إلى الصهيونيين مقابل المال عن طريق مفاوضات يجريها هو في تركيا بوصفه سفير الولايات المتحدة . ومع كل هذا، فهناك في هذه القاعة من يجد في نفسه الجرأة والشجاعة ليقول إنها (وصمة الاستعمار) نحاول أن نستخدمها، وأن لا علاقة بين الاستعمار البريطاني والصهيونية . أو ليس هذا هو الاستعمار في مبناه ومعناه .

وأود هنا أن ألفت انتباه الزميل المحترم، ممثل المملكة المتحدة من جديد إلى الطبعة الأخيرة من دائرة المعارف البريطانية . وإذا كان هذا الزميل لم يقرأ الطبعة الأخيرة، لأنه أكبر سناً من أن يقرأها، بعد أن قرأ طبعتها السابقة، فإنني أقول أنها تضم عبارة ربطت فيها بين الاستيطان الاستعماري اليهودي في فلسطين، وبين ضمان (السلامة الدائمة لمداخل قناة السويس) .

هذا هو لباب العلاقة بين الاستعمار البريطاني والصهيونية . إنه الدفاع عن مداخل قناة السويس وضمان سلامتها الدائمة . وقد ذكر الزميل المحترم مندوب المملكة المتحدة في خطابه في ذلك اليوم، أن بريطانيا تخلت عند انتدابها على فلسطين في عام 1947، لأنها وجدت أنه (غير عملي من الناحية العملية، وغير قابل للتوفيق بين المصالح المتضاربة) . ولكن لم يكن السبب في هذا التخلي، لا عملية الانتداب، وتضارب التزامات الدولة المنتدبة، وإنما

كان السبب أنكم رأيتم أن طرق المواصلات، لم تعد الشيء الذي يهتمكم للاتصال مع إمبراطوريتكم .

ولم تعد السويس جزءاً من الإمبراطورية، وإنما هي الآن ملك لأهلها. إنها ملك الشعب العربي، وهي ملك شعب الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الراهن . وعندما رأيتم تطور الأمور، تخليتكم عن سلطاتكم المنتدبة . وقد جنتم بالصهيونية إلى المنطقة عندما كنتم فيها لتضمنوا السلامة الدائمة لخطوط مواصلاتكم، وضمان سلامة قناة السويس . ولكن القناة أصبحت ملكاً لشعبها، فتخليتكم عن الانتداب . ومن هنا لا تكون القضية مجرد عملية أو صعوبة في التوفيق بين التزاماتكم بموجب الميثاق بل صعوبة في التوفيق بين مصالحكم ليس إلا .

وكنتم أظن أن الزميل بوصفه ممثلاً للمملكة المتحدة، لابد وأن يعرف تاريخ حكومته البريطانية في هذه القضية . ترى هل يعرف تعليمات المستر بالمرستون إلى ممثلي بريطانيا في الشرق بين عامي 1839 و 1841، عندما اتضح أن على اليهود في فلسطين أن يشجعوا على التطلع إلى بريطانيا العظمى لحمايتهم ؟ كانت الحكومة البريطانية في تلك الأيام تدرس مشروعاً لإسكان اليهود في شيه جزيرة سيناء، على أبواب فلسطين .

وعرضت قبرص على الصهيونيين باقتراح من تشمبرلين، كما عرض عليهم إذا شاءوا، قطعة من الأرض على ساحل محمية أفريقيا الشرقية البريطانية في تلك الأيام . ولم يمض عشرون عاماً حتى كانت هناك خطة جديدة يدعمها دزرائيلي وسالسبوري، تقترح إسكان اليهود في مساحة كبيرة من الأرض إلى

الشرق من نهر الأردن . هذا هو سجل الإمبراطورية البريطانية في هذه القضية، وهذه هي تعليمات رؤساء وزاراتها، ووزراء خارجيتها في هذا الموضوع . لنعد إلى ما كتبه المستر ايمني، السياسي البريطاني البارز في هذا الموضوع .. إنه يقول . . .

(وكنا نرى من وجهة النظر البريطانية الخالصة، أن إقامة شعب يهودي ناجح في فلسطين، يدين بوجوده، وبفرصته في التطور والنمو للسياسة البريطانية، كسب ثمين لضمان الدفاع عن قناة السويس من الشمال، وم محطة للطرق الجوية المقبلة مع الشرق) .

هذا ما قاله المستر ايمني، وهو كما تعرفون ليس بالرجل العربي، عن المصلحة المشتركة بين الصهيونية والاستعمار البريطاني .

وأمامي الآن أيضاً مذكرة مهمة مؤرخة في عام 1916، تحمل عنوان (مذكرة سياسية)، وقد كتبها سياسي إنجليزي بارز . إنها تقول . . .

(تتفق المصالح البريطانية واليهودية . . . وهذا الانسجام بين أعرق المطالبين بفلسطين، وبين المصالح الاستعمارية لبريطانيا العظمى، يفرض على الفريقين واجباً مشتركاً وهو صياغة خطة تلتقي فيها هذه المطالب والمصالح وتتوحد) .

وأرى أن أقتبس الآن فقرة من المستر لويد جورج، تتحدث عن هذه العلاقات بقولها . . .

(وكان الرأي السائد . إن وعداً كهذا - المقصود به وعد بلفور - سيترك أثراً قوياً على اليهودية العالمية خارج روسيا، ويضمن لدول الحلفاء مساعدات المصالح اليهودية . وستكون لهذه المساعدات في أمريكا قيمة

خاصة، حيث استهلك الحلفاء كل ما لديهم من ذهب وضمانات تسويقية في شراء البضائع الأمريكية) .

أرأيتم ؟ إن المستر لويد جورج يتطلع إلى الضمانات والذهب في أسواق الولايات المتحدة .

وإني لأرى، أنه كان أكرم بمندوب المملكة المتحدة، قبل الإقدام على مثل هذا الخطاب الذي ألقاه، أن يقرأ السجلات والوثائق، لا تلك التي كتبها ساسة بريطانيا وحدهم، بل والزعماء الصهيونيون أيضاً، الذين جعلوا من لندن مركزاً لنشاطهم . أجل اختار الصهيونيون لندن أخيراً، لتكون مركزاً رئيسياً للحركة الصهيونية .

وفي عام 1900، استهل الدكتور هرتزل، الزعيم الصهيوني خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني في لندن، بالعبارة الألمانية التالية . . .
(لا ريب في أن إنجلترا، وعيونها تجوب البحار كلها، ستقهما تمام الفهم، وستفهم أهدافنا) .

هذا هو موقف الصهيونية من هذه القضية .

ولكن دعونا ننحي هذه المراجع جانباً، ونتخلى عن هذه البيانات لنعود إلى الوقائع نفسها . فكما لعب رأس المال الاستعماري دوره في أفريقيا، وإني لألفت انتباه زميلي المحترم مندوب ليبيريا الذي عاد إلى مقعده، إلى هذه الحقيقة، فإن نشاط الصهيونية بالنسبة إلى الرساميل وتأليف الشركات في لندن، التي تسجل كشركات بريطانية، تماماً كما فعلت عدة شركات أوربية ذات نشاط واسع في أفريقيا، نفسها في أوربا للقيام بعمليات الاستثمار والاستغلال، لعب دوره في فلسطين . بالطريقة نفسها التي أداها رأس المال الاستعماري في أفريقيا،

ولم يأل جهداً في تشجيع الهجرة الغربية إلى البلاد لإقامة (الوطن القومي اليهودي) .

وقد سجلت الشركة القومية اليهودية في عام 1899 كشركة بريطانية في لندن، وسجل الصندوق القومي اليهودي في إنجلترا في عام 1917 كشركة بريطانية، وسجلتا كشركتين بريطانيتين تمارسان أعمالهما في فلسطين. فهل هناك من دليل أقوى من هذا لإثبات التحالف بين الاستعمار البريطاني والنشاط الصهيوني ؟

وقد أسهب مندوب المملكة المتحدة في الحديث عن مبادئ تقرير المصير، وعن التضارب بين التزامات بريطانيا بموجب الانتداب . واقتضى العثور على تضارب هذه الالتزامات واكتشافها من بريطانيا خمسة وعشرين عاماً، لكي ترى ما فيها من تناقض ولا عملية، واستحالة على التطبيق ؟ ولكن ساسة بريطانيا البارزين، أدركوا منذ البداية، بل منذ خلق هذه المشكلة. تضارب الالتزامات البريطانية .

فقد ذكر المستر لويد جورج، وهو كما تعرفون من أبرز الساسة البريطانيين ما نصه . . .

(وكل ما تعذر على فهمه، هو إمكان التوفيق بين وعد بلفور من ناحية وبين ميثاق عصبة الأمم من الناحية الأخرى) .

هل سمعتم ؟ إن المستر لويد جورج لا يستطيع أن يفهم كيف يمكن التوفيق بين وعد بلفور وبين ميثاق العصبة .

وقد أدلى اللورد بلفور، صاحب الوعد المشهور، بهذا التصريح الذي سجله كوثيقة كاشفة للغاية إذ قال . . .

(وقد وافقت على مبدأ تقرير المصير، ولكن كان من المستحيل تطبيقه بصورة عامة وبلا استثناء، ولعل فلسطين خير دليل على ما أقوله) .
إذن فاللورد بلفور، يرى ان فلسطين هي إحدى الاستثناءات من مبدأ تقرير المصير، انه يقر المبدأ، ولكنه يستثنى فلسطين منه . ولكن لم تستثنى فلسطين ؟ ولم تكون هي الاستثناء الوحيد ؟ إن السيد بلفور يرى أن فلسطين يجب أن تستثنى من مبدأ تقرير المصير، إنه يمضي بعد ذلك قائلاً . . .

(فنحن في فلسطين لا نعالج رغبات شعب قائم، بل نريد عن وعي وتصميم إقامة شعب جديد فيها . ونحن نعمل عن وعي وعن تصميم أيضاً على ضمانة الأغلبية العددية لهذا الشعب الجديد فيها في المستقبل) .
هل سمعتم . . . ؟ إن السيد بلفور يقول ان حكومته لا تبحث عن حقوق الشعب القائم، بل تعمل على إقامة الأغلبية العددية للشعب اليهودي في البلاد .

ومع هذا كله، نرى المندوب البريطاني يقول أن الالتزامات لم تكن عملية، ولم يكن من الممكن التوفيق بينهما، بينهما بلفور نفسه، قال، ان حكومته لا تحس بالشعب الموجود في البلاد، وإنما تعمل على إقامة غالبية عددية للشعب اليهودي فيها .

ويعود بلفور، فيدلي ببيان في منتهى الأهمية والطرافة في هذا الصدد، عندما رد على تحدي بعض النواب وسؤالهم عن حقوق شعب فلسطين . إنه يقول . . .

(إن الصهيونية، سواء أكانت على خطأ أو صواب، وسواء أكانت سيئة أو طيبة أكثر أهمية لنا، من رغبات سبعمائة ألف من العرب يقيمون في هذه البلاد العريقة) .

إن بلفور، يتحدث هنا بعبارة واضحة، فسواء كانت الصهيونية طيبة أو سيئة، فهذا ليس بالأمر المهم، إذ أنه لا يكثرث برغبات سبعمائة ألف من العرب يسكنون في هذه البلاد العريقة ويقيمون فيها .

ترى أي حق، وأيّة عدالة، وأي إنصاف في هذا الوعد، وعد بلفور، عندما يقول صاحبه، بأن الصهيونية سواء أكانت على خطأ أم صواب، وسواء أكانت سيئة أم طيبة، أتم من رغبات سبعمائة ألف من الناس يقيمون في البلاد .

ونحن أيها السادة، ذرية أولئك السبعمائة ألف، الذين تجاهلهم اللورد بلفور، والمملكة المتحدة، دون علم زميلنا المحترم، ممثل المملكة المتحدة . وهؤلاء السبعمائة ألف من سكان فلسطين، تلك البلاد العريقة، هم أهلها وأصحابها منذ أقدم عصور التاريخ، إذ أنها وطن آبائهم وأجدادهم . ولما كان وعد بلفور قد أقيم على هذه الأسس التي أوضحها صاحب الوعد، والتي تقول . . أن أهل هذه البلاد لا يهتمونه في شيء ، فإن هذا يعنى أنه كان يرى أن في قدرته التصرف بهم كما يشاء ويهوى، وكأنهم من الماشية . والمأساة المدرجة على جدول أعمال الأمم المتحدة أمامكم اليوم تتناولنا نحن ذرية هؤلاء السبعمائة ألف، الذين تجاهلتهم المملكة المتحدة بحكم نظرتها الاستعمارية وبحكم ارتباطها في أهدافها ومطامحها مع الصهيونية .

والسجل طويل، وحافل، ولكنني لن أمضي بعيداً في التعداد، باستثناء مرجع واحد أود أن أقتبس شيئاً منه، لأبين أن مأساة فلسطين الراهنة . كانت معروفة حق المعرفة لجميع الساسة، وأنهم لم يكونوا بحاجة إلى انقضاء جيل كامل، ليكتشفوا، وجود الظلم فيها أو ليتبينوا التناقض الماثل في الالتزامات المتعارضة .

ونحن نعرف أن الساسة البريطانيين من ذوي المواهب العظيمة، وأن لهم عقولاً نيرة. فهم أذكياء للغاية، وهم يعرفون ما في هذه الحركات كلها من خير وشر . وقد عرفوا منذ البداية، أنه ستكون هناك مشكلة للاجئين، وأن هذه المشكلة مخبوءة في طيات القدر لهم .

وأمامي الآن قطعة من منشور أصدره المكتب الصهيوني في لندن في مستهل عام 1919 . يقول هذا المنشور ما نصه، وإنني أرجو من مندوب الولايات المتحدة أن يستمع إلى ما سأتلوه بالإضافة إلى المندوب البريطاني.. (تعني الديمقراطية في أمريكا في الغالب، حكم الغالبية، ولو طبق هذا المفهوم الحسابي الفج للديموقراطية الآن على أوضاع فلسطين، أو في أية مرحلة مبكرة من مراحل المستقبل، فإن الغالبية العربية، هي التي ستحكم والحالة هذه) .

هذا هو حساب الصهيونية . إنها النسبة والتناسب، فإذا ساد حكم الأغلبية، على رأي المنشور الصهيوني، فإن الغالبية العربية هي التي ستحكم فلسطين . . . ثم يمضي المنشور فيقول

(ولا يشك يهودي على الإطلاق، في الإخلاص الذي ستبديه أمريكا إذا ما تولت الوصاية على فلسطين اليهودية . ولكن المخاطر الموضحة هنا، هي مخاطر كامنة في الأوضاع الأمريكية) .

ففي أمريكا حكم الأغلبية، ولذا فإن الصهيونية لا تريد الوصاية الأمريكية . وهي تؤثر عليها الوصاية البريطانية لأن البريطانيين أكثر دهاء، وفي مكنهم أن يحققوا الأغلبية اليهودية، أو أن يفرضوا سياسة تؤدي إلى طرد الشعب من بلاده، والسماح للهجرة اليهودية بالتدفق، حتى يتمكن اليهود من السيطرة على البلاد .

وقد أصدرت اللجنة الدولية لفلسطين، وهي جهاز من أجهزة الأمم المتحدة، قرارا في عام 1947، يظهر، أن كل ما يتعلق بقضية فلسطين، يخلو من جوهر (القضايا)، فوعد بلفور لا يعتبر قضية والوطن القومي اليهودي لا يعتبر قضية، والانتداب البريطاني على فلسطين، لا يعتبر قضية أيضاً، وهذا هو قرار اللجنة المذكورة . . .

(لم يطبق مبدأ تقرير المصير في فلسطين . وقد يقال فعلاً أن الوطن القومي اليهودي، والانتداب على فلسطين، يتناقضان كل التناقض مع هذا المبدأ) .

هذا هو قرار الأمم المتحدة . إنه يقضي بأن مبدأ تقرير المصير لم يطبق على فلسطين. وقد ذكر زميلنا المحترم مندوب نيوزلندة، في خطابه قبل أيام، ان الأقلية العربية في فلسطين تنعم بكافة الحقوق التي ينعم بها المواطنون، وأن هذه الحقوق لا تقل عن تلك التي تمارسها القطاعات الأخرى من السكان. وأنا لا أود الخوض في تفاصيل هذا الموضوع، وكيفي أن أقول أن زميلنا

النيوزلندي المحترم، قد تقضل بالأمس بإلقاء بيان دون أن يدرس القضية .
ويؤسفني أنه قال، ان أبناء جيله، كانت لهم قيادتهم إبان الحرب الكونية الأولى
في العالم العربي وتحت ظلال الأهرامات . ولكن ليثق، أن هذا لن يتكرر، ولن
تشهد الأرض العربية جنوداً من الأجانب عليها . وما يؤسفني هو أن رجلاً من
ذلك الجيل، لا يعرف عن الموضوع أكثر مما يعرفه هذا الزميل . فليست فكرة
وجود الأقلية العربية في فلسطين في الواقع، إلا تجسداً للاضطهاد .
فلو قدر لشعب الولايات المتحدة أن يصبح أقلية في وطنه نتيجة تدفق
موجات من الغزو الصيني أو الياباني أو الكندي، فإن تحول هذا الشعب إلى
أقلية هو الاضطهاد بلحمه ودمه .

وأنا لا أريد أن أخوض في التفاصيل الكاملة لتاريخ هذه القضية، ولكن
دعوني اردد على مسامع الزميل النيوزلندي المحترم، ان الواجب كان يقضى
عليه بأن يدرس القضية ويطلع عليها، وقبل أن يأتي إلى هذه اللجنة، ليتطوع
بالقاء بيانه فيها

أمامي نص البرقية التي بعث بها رئيس المجلس القروي في إحدى
القرى العربية، وهو أحد أفراد الأقلية العربية التي تحدثت عنها، وقد أرسلها إلى
رئيس جمهورية إسرائيل . . .

(أنعيش مع عصابة من قطاع الطرق أو أننا نعيش في دولة ؟) .
كان من الأفضل لك أيها الزميل، لو قرأت السجل، قبل أن تتكلم .
وذكرت السيدة جولدا ماير في بيانها الذي ألقته في هذه اللجنة قبل أيام
. أن الصهيونية، حركة تحررية، وأكدت أن من بين أهدافها بعد تحرير

إسرائيل، تحرير أفريقيا، مؤكدة بصورة خاصة، رغبتها في إنقاذ أفريقيا من تجارة الرقيق .

وأنا لا أنوي هنا أن أتحدث عن موضوع التزامات إسرائيل بالنسبة إلى تحرير أفريقيا، فهذا موضوع أترك بحثه إلى الزملاء، مندوبي الدول الأفريقية، لأرى إن كانوا يقبلون تحرير قارتهم وإنقاذها كجزء من التزامات إسرائيل . إن هذا الموضوع لا يعنيني . ولكن ما يعنيني هو ذلك الجزء الذي أكدت فيه السيدة على تجارة الرقيق، إذ أنه أثار اهتمامي . أجل إنه أثار اهتمامي وحفز في إلى المزيد من المعرفة، إذ أن من واجبنا أن ننفذ إلى هنا بعقول متفتحة رغبة في المعرفة الموضوعية . ولذا فقد حملت نفسي ومضيت إلى مكتبة الشارع الخامس طالباً المزيد من المعرفة . وصعدت إلى الطبقة الثانية، حيث يقوم القسم اليهودي . وأمسكت بدائرة المعارف اليهودية.

وعثرت في الصفحة (565) من المجلد التاسع من هذه الموسوعة، التي لا يمكن أن تكون عربية، أو مجرد قصاصة من صحيفة على العبارة التالية :

(وكان من الطبيعي أن يسهم اليهود في تجارة الرقيق، التي كانوا صالحين لها كل الصلاح، بالنظر إلى معرفتهم الواسعة باللغات، وعلاقاتهم المنتشرة في جميع أرجاء العالم . ولقد ظهر تجار الرقيق اليهود إلى حيز الوجود منذ القرن الأول للحقبة المسيحية في أوروبا . وقد تزايد نشاطهم بصورة خاصة بعد القرن السادس) .

وانتقلت من هذه الموسوعة، إلى مصدر آخر، إنه الموسوعة اليهودية. وهذه الموسوعة هي غير دائرة المعارف اليهودية العالمية التي أشرت إليها . وعثرت في الصفحة (409) من المجلد الثاني على ما يلي (وقد أصبح اليهود في القرن السادس، أكبر تجار الرقيق في العالم . وكان العبيد البريطانيون الذين يحملون إلى أسواق النخاسة الرومانية سلعة يتناولها تجار الرقيق اليهود . وشرع هؤلاء التجار اليهود يحملون العبيد في القرن التاسع من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب . وكان الكثيرون من يهود اسبانيا مدينين بثرائم إلى تجارة الرقيق) . ومضيت أنقب في مصدر آخر . إنه الموسوعة الاجتماعية . وقد عثرت في الصفحة 78 من المجلد الرابع عشر على العبارة التالية : (وقد ظل اليهود أجيالاً طويلة يتولون تصدير العبيد إلى مختلف أسواق التجارة) .

وكلي أمل، أن لا تجرؤ السيدة ماير مرة ثانية على التحدث عن تحرير افريقيا وإنقاذها، إذ أن في الموسوعات اليهودية والعالمية، ما يفضح أكاذيبها عند حديثها عن الصهيونية كحركة تحررية، وعن إسرائيل كمحررة لأفريقيا . هذا هو سجلكم . اذهبوا واقرأوه قبل أن تتحدثوا عن هذا الموضوع. وتحدثت السيدة ماير إلى الأمم المتحدة عن الحفريات الأثرية في فلسطين، فذكرت أن علماء الآثار في بلاد عدة، (يكشفون عن آثار الماضي في بلادنا، ويؤكدون روايات التوراة عن الحضارة العبرية فيها) . حقاً إنه قول طريف ممتع يستند إلى علم الآثار . فلست اعرف مكاناً في العالم، يحتكر فيه التنقيب عن الآثار لشعب دون آخر . وليس في فلسطين احتكار لآثار العبرانيين

. ففي فلسطين آثار الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء، والسلاجقة الأتراك، والعثمانيين والفرس، بل ولجميع الشعوب من مختلف الأقاليم . فقد شاء وضع فلسطين الجغرافي أن تكون عند مفترق الطرق في العالم، ولذا فقد توافرت فيها آثار مختلف الأمم والشعوب . وإذا كنا نبنى مكاننا هنا في الأمم المتحدة على علم الآثار وعلماء الآثار، فإن الأمم المتحدة ستتحوّل إلى مجتمع لعلماء الآثار لا للدبلوماسيين . وإني لا أدري، إذا كانت السيدة ماير، تظهر آنذاك هنا عالمة للآثار تمثل إسرائيل .

وأعود إلى موضوع الحضارة العبرية، فأقول أن ليس ثمة من ينكر أن شعباً عبرياً قد أقام في فلسطين . ولكن كما كانت هناك حضارة عبرية، وجدت في البلاد حضارات آشورية ورومانية وإغريقية . ولم أسمع من أي إنسان في اليونان أو في إيطاليا أن لهذين الشعبين حقوقاً تاريخية في فلسطين، لأن حضارتيهما وجدتاهما فيها . ولو شئنا متابعة الحضارات، وأعدنا بعثها، وأقمنا الأمم المتحدة من جديد على أساسها، فستجدون أنفسكم وقد خلوتكم من أوراق اعتمادكم، وأصبحت الآثار والحجارة هي أوراق اعتمادكم . ولن تتلقوا هذه الأوراق من حكوماتكم، بل من علماء الآثار . حقاً إنه شيء يثير الضحك والسخرية، أن نقيم حجتنا على الآثار والحضارات . وإني لأود أن أذكر أعضاء هذه اللجنة الموقرة . أن قضايا الشعوب لا تتصل بالآثار . فلنا نحن العرب، متاحف حية في أسبانيا، يقوم على حراستها وحمايتها أصدقاؤنا المحترمون من شعب أسبانيا الذي نقدره ونجمله . وقد مضى العرب في تلك البلاد ثمانية قرون يشيّدون حضارتهم، وما زالت لنا فيها تماثيل حية قائمة، لا من الآثار أو الحفريات، بل من القصور والمساجد القائمة بكل اعتزاز، يتولى حمايتها، علماء

اسبانيا العظام وباحثوها، تقديراً منهم للحضارة وفهماً لها . إن الحضارات شيء عالمي . وكانت حضارتنا في اسبانيا عربية، ولكنها تقوم الآن كحضارة عالمية، ويعنى الإسبانىون أبلغ العناية بما فيها من مساجد وقصور وآثار . ولكن ليس فينا من يدعى أن لنا ارتباطات تاريخية باسبانيا ، لا بسبب الآثار ولا بسبب الحضارات . حقاً إنه شيء غريب . ومن واجب الأمم المتحدة أن لا تسمح بهذا الهراء الذي يخلو من كل منطق .

وذكرت السيدة ماير أن التوراة تفضل غيرها كمصدر للمعلومات، وأن من الواجب الرجوع إليها طلباً لهذه المعلومات . وأنا لا أختلف معها في أن التوراة تضم الكثير من المعرفة والمعلومات عن تاريخ فلسطين . ولكن مافي التوراة من تاريخ، يتناول غزوات مختلف القبائل كالعموريين واليبوسيين والعبرانيين والكنعانيين، وهي قبائل كانت تشترك في معارك مع بعضها البعض . هذا هو التاريخ الذي تضمه التوراة . وإذا كان لابد لنا من العودة إلى التوراة، فعلينا أن الثقات الذين يعرفون ما فيها . وإني لأقول ان السيدة ماير تجهل التوراة . فهي ليست بالحاخام، وإنما هي السيدة ماير، لا أكثر ولا أقل . وفي وسعنا أن نعود إلى ما يقوله الحاخامون، عن التوراة . . في إحدى المجالات البريطانية البارزة والصادرة في 1878، مقال نشره عدد من الحاخامين، وقد اقتبسه صديقي الكريم مندوب سوريا . إن الحاخامين يقولون . . .

(لم نعد نمثل هيئة سياسية منذ فتح الرومان فلسطين . إننا مواطنون في البلاد التي نقيم فيها . فنحن إما من الإنجليز أو الفرنسيين أو الألمان . ويمكن إقامتنا هو الذي يقرر هويتنا) .

هذا ما قاله الحاخامون، وهم أكثر علماء بالتوراة من السيدة ماير وهناك قول آخر قاله الحاخامون في عام 1885 . انهم مجموعة من أبرز حاخامي تلك الأيام وقد اجتمعوا في بتيسبرج، في بنسلفانيا، وصدر عنهم ما يلي :

(لم نعد نعتبر أنفسنا أمة، وإنما طائفة دينية . ولذا فنحن لا نتوقع أية عودة إلى فلسطين) .

هذا هو القرار الذي أصدره الحاخامون، وقد اجتمعوا على هيئة مؤتمر . إنهم يقولون أن اليهود لم يعودوا يمثلون أمة، وأنهم لا ينتظرون العودة إلى فلسطين . وإذا كنا نقر بأن التوراة تفضل غيرها كمصدر للمعلومات، فإن علينا أن نلتزم بما يقوله الذين يعرفون التوراة أحسن من غيرهم، وهم الحاخامون، إلا إذا شاءت السيدة جولدا ماير، أن تأتي إلى هنا في الدورة القادمة، وقد ارتدت زي الحاخامين، وأسمت نفسها بالحاخام جولدا ماير، ونحن على استعداد لقبولها بهذه الصفة .

وهناك حاخام آخر . إنه الحاخام فيليب سيجال . إنه يقول . . .

(لم يكن هناك قط وجود لما يسمى بالشعب اليهودي . إذ أن اليهودي لم يهتم في أي يوم من الأيام، بالتسلسل العضوي الحياتي أو بالأرض أو اللغة أو التاريخ، أو التنظيم السياسي، أو غير ذلك من مقومات القومية المقبولة) .

هذا هو حكم الحاخامين . إنكم لستم بالأمة ولا بالشعب ولا بالجنس البشري وليست لكم أية مقومات سياسية . إنما أنتم تمثلون عقيدة، وديناً .

وقد عرضت على مسامعكم أقوال الحاخامين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة . وها أنا انتقل الآن إلى آراء الحاخامين في الاتحاد السوفييتي . اسمعوا ما تقوله البارونة جونزبرج في رسالة لها . . .

(أصبح من رأينا بعد الثورة، أننا مجرد أناس من الروس، يؤمنون الكنس اليهودية للصلاة) .

وهكذا فاليهود في الاتحاد السوفييتي، هم من الروس، الذين يذهبون إلى الكنس للصلاة . وهم في الولايات المتحدة، أمريكيون يؤمنون الكنس . وهم في المملكة المتحدة بريطانيون يصلون في كنسهم . إنهم ليسوا بالأمة ولا بالشعب ولا بالعنصر . هذا هو حكم التوراة .

إنه حكم أولئك الذين يعرفون التوراة خيراً منك أيتها السيدة . فلا ترجعي إلى التوراة لتكون مستندك الأخير، والحكم الفاصل في قضيتك، إذ أن التوراة ستدينك لأن هذا هو حكمها.

وإذا كنت لا تحبين اللاهوت، فلم لا نعود إلى ما يقوله العلم . ترى ما هو حكم العلم المجرد في القضية ؟ أمامي دراسة حديثة من الناحية الحياتية (البيولوجية) للشعب اليهودي، أصدرتها منظمة اليونسكو في عام 1960 . وقد صدرت هذه المطبوعة تحت إشراف اليونسكو ، وهي كما تعرفون من أكبر منظمات الأمم المتحدة، ولها القول الفصل في شئون العلم والثقافة والتربية . ترى ما هو قول اليونسكو في هذا الموضوع ؟ إنه صادر عن قلم يهودي، هو قلم الأستاذ هاري شابيرو إنه أستاذ يهودي، يتحدث عن الموضوع، وهو في الوقت نفسه رئيس دائرة علم الأجناس البشرية في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي . إنه يصور اليهود على النحو التالي . . .

(إنهم ليسوا بالعشيرة، ولا بالقبيلة، وهم ليسوا بالأمة بصريح العبارة) . وهكذا إن شئت اللاهوت، فهناك أقوال الحاخامين، وإن شئت العلم فهناك رأي اليونسكو . إنه بحاث يهودي، يقول إنكم لا تؤلفون عشيرة ولا قبيلة

ولا أمة . إذن علام تستندون ؟ وما هو كيانكم هنا ؟ من حقي أن أسأل هذا،
وإني لأسف إذا حملتك مالا تطيقين . فقد مر علينا ونحن نعيش هذه المشكلة
أكثر من خمسة عشر عاماً . إنها عاشت هنا خمسة عشر عاماً، وهي المدة
التي قضاها شعبنا في الخيام والمعسكرات والشقاء والآلام، ولعل هذا هو السبب
الذي يدفعني إلى أن أثبتين واجبي في أن أعرض كل شيء عليكم، وعلى
ضمائركم، لتعرفوا الحقيقة، كاملة غير منقوصة، فقد عاشت هذه القضية في
الظلام، وفي غياهب الأضاليل الصهيونية . وهناك بعض الوفود تأتي إلى هنا،
دون أن تقر شيئاً، حتى تاريخ حكومتها وسياستها . ولهذا فإنها تنظر إلى
القضية نظرة سطحية تخلو من العمق . ولعل هذا هو السبب الذي حفزني على
عرض كل هذه السجلات على مسامعكم .

وقد وجهت نظر الوفد الأمريكي إلى سجلات الولايات المتحدة وتاريخها،
وجهت نظر الوفد البريطاني إلى سجلات حكومته وتاريخها، ووجهت نظر
إسرائيل إلى أقوال التوراة، سواء أقامت على أسس اللاهوت أو العلم، هذا هو
الواجب الذي يدفعني إلى عرض كل شيء على مسامعكم .
وإني لأقر أن خطبي كانت مطولة، الأول منها والثاني، وهذا الأخير،
وإني لأقر أيضاً، أنني اندفعت أحياناً مع عواطفي وأحاسيسي ومشاعري، ولكنني
أعتذر، لا لطول خطابي، ولا لتدفق عواطفي . وإني لأذكر، أن، الناس عندما
يخرجون من أحد المسارح . تبدو على وجوههم في حالات كثيرة، ابتسامات
عريضة، يصخبون ويضحجون . لأنهم شهدوا رواية هزلية . وقد تكون الرواية
أسطورية، ومع ذلك فإن الابتسامات تبدو على وجوه النظارة عند خروجهم من

المسرح، وكثيراً ما رأينا أناساً آخرين، يخرجون من المسارح وقد امتلأت عيونهم بالدموع، وابتلت مناديل السيدات منهم بآثار البكاء . وقد تكون المأساة التي شهدها أسطورية، خالية من كل حقيقة وواقع، وقد تكون شخصياتها خيالية، لم تكن حية في يوم من الأيام، ومع ذلك، وبالرغم من اللاواقعية، فإن الدموع تنهمر من الآفاق . وتبتل المناديل بها . ولكن ترى ما شعوركم بالمأساة إن كانت واقعية لا أسطورية ! وما إحساسكم، إن كانت شخصياتها، حية من البشر، لا مجرد أفراد، بل شعب بأسره ؟ لهذا السبب وحده، أنا لا أعتذر، لا لما تدفق به خطابي هذا الصباح من عواطف، ولا لما قد يتدفق به خطابي بعد ظهر اليوم من مشاعر وأحاسيس .

ولا ريب في أن هذا الوضع يكون أكثر صدقاً، عندما تكون المأساة كلها، لا تزال تعيش في جو ما يحيط بها من سحب الأضاليل والأكاذيب . وقد استمعنا إلى السيدة ماير قبل أيام، وهي تتطرق بأكذوبة كبيرة، تتعلق بموضوع اللاجئين، فقد قالت في خطابها مستندة إلى صحيفة (النيويورك تايمز) كمرجع لها . . .

(أعلنت الجامعة العربية برنامجها لاحتلال فلسطين من قبل جيوش دولها الأعضاء) .

ولا ريب في أن الادعاء بأن سبعة جيوش عربية قد دخلت إلى فلسطين، وهي مصممة على تحدي قرار الأمم المتحدة، وتحطيم وجود إسرائيل، تهمة خطيرة توجه هنا في الأمم المتحدة . وكان في وسع المرء أن ينتظر من مجلس الأمن أن يقول شيئاً بعد أن دخلت سبعة جيوش عربية إلى أرض فلسطين . أجل كان في وسع المرء أن ينتظر من مجلس الأمن أن يقول شيئاً بعد أن

دخلت سبعة جيوش عربية إلى أرض فلسطين . أجل كان في وسع المرء أن ينتظر قراراً من مجلس الأمن، بل إدانة منه للدول العربية وجيوشها . لأنها معتدية، إذا كان هناك عدوان حقاً .

ونحن نعترف بأن الجيوش العربية دخلت فلسطين، ولكنها لم تدخلها إلا في الرابع عشر من أيار (مايو) 1948، أي بعد ستة أشهر من اتخاذ قرار التقسيم في عام 1947 . ولو كان عمل الجيوش العربية عملاً عدوانياً، ولو كان عملها خرقاً للميثاق، لكان مجلس الأمن، قد أعلن هذا ولو بعبارة واحدة، يستتكر فيها هذا العدوان . وقد قامت الجيوش العربية بهذا العمل في وقت كان مجلس الأمن فيه يوالي عقد جلساته، وكان يلتزم باستمرار لدراسة مشكلة فلسطين . وكان القلق الذي يسود فلسطين سبباً دعا مجلس الأمن إلى أن يواصل جلساته باستمرار، وبالرغم من أن العمل الذي قامت به الجيوش العربية، كان من المواضيع التي درستها، إلا أن المجلس لم يتخذ أي قرار يدين الدول العربية بهذا العمل .

ولا ريب في أن هذا الدليل كان للبرهنة على أن عمل الجيوش العربية لم يكن عدوانياً ولا ريب في أن سكوت مجلس الأمن عنه، يكاد يقرب من معنى التأييد . إنه يكاد يكون إقراراً بأن ما قامت به الجيوش العربية من تدخل، عمل شرعي، وقانوني، وله كل ما يبرره على صعيد الشرعية . فهل يعقل أن يظل مجلس الأمن، وهو المسئول الأول عن الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، قانعاً بالجلوس في استراحة مجلس الأمن، مكتفياً بمشاهدة الجيوش العربية وهي تدخل إلى فلسطين دون أن تصدر منه عبارة واحدة تحمل معنى الإدانة ؟ لا

ريب في أن مثل هذا الموقف، يعتبر اعترافاً ضمناً بحق الدول العربية السبع .
في أن تقوم بهذا العمل الذي قامت به .

وإذا جاز لنا أن نتحدث عن الإدانة . وإذا كان من واجبنا أن نشير إليها، فإن من الضروري أن نشير إلى سلسلة الإدانات التي أقرها مجلس الأمن، لا ضد الدول العربية ولا ضد الجيوش العربية، بل ضد إسرائيل . وما قامت به من أعمال ومذابح، ومجازر، وتتضمن سجلات الأمم المتحدة، عدداً من الحالات التي أدينَت فيها إسرائيل على الأعمال اللامشروعة التي قامت بها . وعلى ما لجأت إليه من مذابح ومجازر، بينما لا تتضمن هذه السجلات إدانة واحدة من مجلس الأمن للعرب .

دعوني أردد على مسامعكم أيها السادة، أن مجلس الأمن قد أدان إسرائيل في الرابع والعشرين من تشرين ثاني (نوفمبر) عام 1953 في أقصى عبارة، وأكثرها تجريماً، للمذبحة التي قامت بها في قرية عربية بكاملها، وهي قرية قبية، على الجانب الأردني من الحدود حيث ذبح الأبرياء ، الذين لا حول لهم ولا طول، والعزل، في وضح النهار دون أي استفزاز، بعد نسف القرية كلها وتدميرها . وقد أدان مجلس الأمن إسرائيل على ذلك الهجوم الوحشي والهمجي واللامتحضر، على قرية عزلاء، بينما لم تكن هناك أية إدانة للعرب من جانب مجلس الأمن، سواء بتدمير قرية، أو بمهاجمة جندي إسرائيلي فرد .

وأدان مجلس الأمن في الثامن والعشرين من آذار (مارس) عام 1955، إسرائيل من جديد لهجومها اللامشروع على مدينة غزة وأهلها، حيث اقترفت عملاً من أعمال القتل الجماعي، مصحوباً بعملية نسف كاملة . ومن هم أهل غزة يا ترى ؟ إنهم تجمع من اللاجئين . ففي قطاع غزة ثلاثمائة وخمسون ألفاً

من اللاجئين . ولا ريب في أن إسرائيل تعتبر قصفها المدفعي لمدينة ملأى باللاجئين ومخيماتهم عملاً من أعمال الحرب، ينطبق مع أخلاقها وعرفها . فهناك شعب حرم من وطنه، يعيش حياة شقية مسالمة، أعزل من السلاح . ومع ذلك فإن إسرائيل تجد أن ما يناسبها أن تقصف هذا الشعب والمنطقة التي يعيش فيها بنيران مدافعها، مرتكبة عملاً يدينه مجلس الأمن . هذه هي الإدانة الثانية .

وكانت الإدانة الثالثة في التاسع عشر من كانون ثاني (يناير) عام 1956 . عندما هاجمت إسرائيل، ثكنة عسكرية سورية على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا . وكان هذا الهجوم غارة عسكرية لا مبرر لها، ولم تكن ناتجة عن استقزاز من أي نوع أو شكل، نفذ عن سابق تصميم في دجى الليل، لا في وضح النهار، ليمثل، عملاً من أعمال الجبن . وقد أدان مجلس الأمن هذا العمل، بأقصى عبارة، وأعنف صورة . وحدث في ذلك الحين، والقضية معروضة على مجلس الأمن، إنني كنت رأس الوفد السوري إليه . كانت هذه هي الإدانة الثالثة .

وكانت هناك إدانتان أخريان من مجلس الأمن، الأخيرة منهما تلك التي أصدرها مجلس الأمن بمناسبة العدوان الثلاثي على سيناء وعلى قوات مصر . والآن دعوني أسألكم، أهنالك دولة من هذه الدول الممثلة في هذه القاعة، قد تعرضت لإدانة مجلس الأمن مرة واحدة ؟

وقد وجهت السيدة ماير قبل بضعة أيام، سؤالاً إلى الدول الممثلة في هذه اللجنة متسائلة عما إذا كانت هناك دولة واحدة، تسمح بدخول الناس إلى بلادها، دون إذن ؟ والرد على هذا السؤال في منتهى البساطة . ترى أهنالك دولة

واحدة ممثلة هنا وفي هذه اللجنة تعرضت لإدانة مجلس الأمن خمس مرات متعاقبة في غضون أربع سنوات . أنا لا أعرف دولة نالت مثل هذه الأوسمة الخمسة، أوسمة الإدانة التي صدرت من مجلس الأمن على إسرائيل، التي يجلس ممثلها في الجانب الآخر من القاعة . ومع ذلك، فهو ورفاقه يتحدثون عن السلام والمفاوضات والسجل الناصع .

وتحدث زميلنا مندوب ليبيريا في هذا الصباح . عن أولئك الذين يجب أن يأتوا إلى الأمم المتحدة بأيد نظيفة . وراح بعد ذلك يذكرنا بأن على الذين ينشدون الإنصاف والعدالة أن يكونوا ذوي أيد نظيفة . ترى أين يدا إسرائيل النظيفتان ؟ إنهما يدان تملؤهما القنابل . وتلطخهما الإدانات الصادرة عن مجلس الأمن . إنني أود أيها الزميل الليبيري أن أسير على قاعدتك وان أقول ان على طالب الإنصاف أن يكون ذا يدين نظيفتين . وإسرائيل تطلب التفاوض، ومن حقي أن أسأل، هل يداها نظيفتان وهل يمكن أن تكون يداها نظيفتين، وقد أدينت خمس مرات متعاقبة من مجلس الأمن ؟ إنهما أبعد ما تكونان عن النظافة .

استشهدت السيدة ماير بصحيفة النيويورك تايمز عن دخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين . ولكن لم الاستشهاد بالنيويورك تايمز في هذا الصدد ؟ أجل لم نستشهد بصحيفة في هذا الموضوع ؟ أنا لا أريد البحث في وضع هذه الصحيفة وآرائها بصورة عامة في قضية فلسطين، وانطباعاتها في موضوع اللاجئين . ولا أريد أن أشير إلى تجاهل الصحف الأمريكية عامة لهذه القضية . فقد مضى علينا حتى الآن ثلاثة أسابيع ونحن نبحث في هذه القضية في الأمم المتحدة، ولم أر سطوراً واحداً يكتب عنها في صحف الولايات المتحدة،

لأنها تمنع نشر شيء عنها . ومع ذلك فهناك من يزعم وجود حرية للصحافة والإعلام في هذه البلاد . أجل هناك حرية في منع الإعلام . وإخفاء الأنباء . هذه هي الحرية التي نشهدها .

ولكن لم الاستشهاد بالنيويورك تايمز في هذا الصدد ؟ أمامنا سجلات مجلس الأمن ووثائق الأمم المتحدة . إن هذه السجلات والوثائق . هي المصدر الأول الذي يجب أن نعتمد عليه في استشهادنا . ولا يستجد المرء بالنيويورك تايمز أو غيرها من الصحف، إلا إذا كان مفتقراً إلى سجلات الأمم المتحدة . وسجلات مجلس الأمن في هذا الصدد واضحة كل الوضوح.

وأود أن أشير هنا إلى وثيقة من وثائق مجلس الأمن أنها تحمل رقم 8/745 ، وهي وثيقة من وثائق الأمم المتحدة، ولو كانت إسرائيل جادة حقاً، وتود أن تضع الحقائق والوقائع كما هي، أمام هذه اللجنة، فإن عليها أن تستشهد بوثائق الأمم المتحدة، ولا سيما ما كان خاصاً منها بمجلس الأمن . فقد تلقى مجلس الأمن عندما انعقد في الرابع عشر من أيار (مايو) عام 1948، رسالة من الأمين العام للجامعة العربية، وقد غدت هذه الرسالة وثيقة من وثائق الأمم المتحدة . إنها تتناول موضوع دخول سبعة جيوش عربية ؟ هذا ما تقوله الوثيقة ... (إن حكومة الانتداب، وهي تشير إلى الحكومة البريطانية المنتدبة، التي أمل ألا يشعر ممثلها هنا بالاستياء، فقد جاءني قبل بضع دقائق، وقد إلي نفسه بطريقة في منتهى الود، وهذا شأن البريطانيين دائماً، عندما يكونون بعيدين عن نطاق السياسة ... قالت الوثيقة ... (إن حكومة الانتداب قد أعلنت، أنها لن تكون مسئولة عن الحفاظ على الأمن والنظام في فلسطين بعد انتهاء انتدابها عليها إلا إذا ...).

ويعنى هذا، أن تظل فلسطين تماماً دون سلطة إدارية، من حقها وفي استطاعتها أن تحافظ في البلاد على جهاز إداري قادر على ضمان حماية الأرواح والممتلكات فيها . . .

(يضاف إلى هذا، أن الاضطرابات الأخيرة تُولف خطراً مباشراً وخطيراً على الأمن والسلام في أراضي الدول العربية نفسها . ولهذه الأسباب) - وهنا لابد من أن ألقت نظركم إلى هذه الفقرة الهامة - (ورغبة في إشغال الفراغ الذي خلقه إنهاء الانتداب، وكنتيجة للعجز عن استبداله بسلطة شرعية، فإن الحكومات العربية تجد نفسها مرغمة على التدخل . هادفة من تدخلها، إلى أمر واحد ليس إلا . وهو إعادة السلام والطمأنينة إلى البلاد، وفرض الأمن والنظام والقانون فيها) .

هذه هي الأسباب التي قدمتها الجامعة العربية إلى مجلس الأمن . وقد تلقى مجلس الأمن هذه الوثيقة من الجامعة العربية، وانعقد ليدرس الوضع، المزعج في الشرق الأوسط، بالنسبة إلى اندلاع نيران الأحداث في فلسطين . أجل اطلع مجلس الأمن على هذه الوثيقة، التي تعبر عن رأي الجامعة العربية . ولكن ترى، ما الذي فعله مجلس الأمن ؟ هل أصدر المجلس قراراً أو إدانة أو حكماً في القضية ؟ لا، إنه لم يصدر شيئاً من ذلك وإنما ترك الأمور تجري على أعنتها، وأصبحت الرسالة جزءاً من وثائق مجلس الأمن الرسمية .

ولو عنى هذا شيئاً، وهو يعني الكثير، فإنه يعني أن الجيوش العربية دخلت إلى فلسطين بصورة قانونية، لهدف واحد ليس إلا، وهو كما تقول الرسالة، إعادة الأمن والنظام إلى البلاد، وملء الفراغ الذي خلقه تخلي الحكومة البريطانية

عن انتدابها . أجل كان الهدف واحداً، وهو إقامة الأمن والنظام والحفاظ على
أرواح الناس وممتلكاتهم وحمايتهم من الخراب.

دعوني أؤكد لكم، أيها السادة، ولا سيما من ممثلي تلك الدول التي
يذهب أبناؤها في أعياد الفصح والميلاد إلى الديار المقدسة ليؤدوا حجبهم إليها،
أنه لولا تدخل الجيوش السبعة، لما وجد مواطنوكم عند ذهابهم إلى فلسطين في
هذه الأعياد كنيسة القيامة والمهد، سلمييتين قائمتين، ولما وجدوا الأماكن
المقدسة في الناصرة، سليمة غير محطمة، إذ كان لابد أن تتحطم إبان عمليات
القتل والإرهاب والحرق والتدمير الإسرائيلية . أجل لولا دخول الجيوش العربية،
لما وجدت هذه الكنائس التي يؤمها مواطنوكم سليمة، بل محطمة، ومجموعة
أنقاض . ولا ريب في أن العالم المسيحي مدين لهذه الجيوش العربية السبعة التي
حافظت على أماكنها المقدسة سليمة، بحيث يستطيع المسيحيون من كل مكان
أن يؤموها، أحراراً للصلاة فيها وأداء فريضة الحج إليها .

هذه حقيقة يجب أن تعرفوها . فلماذا دخلت الجيوش العربية فلسطين؟
أجل لماذا ؟ هل كان دخولها بقصد اللهو والمزاح ؟ أو هل كان بقصد التسلية
أو مجرد عرض عسكري ؟ لا بد أن هناك سبباً دعاها إلى الدخول . ترى ما هو
السبب ؟ في وسعنا أن نعود إلى السجلات . إنني أقول ان الإسرائيليين شرعوا
فيما أسميه بحرب السنوات السبع . وبالرغم من أن هذه الحرب كانت أضيق
نطاقاً من حرب السنوات السبع في أوروبا، إلا أنها في الواقع حرب سنوات سبع
من الإرهاب والتدمير، شنت في البلاد المقدسة على شعب البلاد الأعزل .
فهناك في السجلات ما يثبت أن بن جوريون قال شيئاً في عام 1940، ويجب
أن تذكروا هذا التاريخ لأنه يمثل بداية حرب السنوات السبع . وقد سمعتم من

المندوب البريطاني، أن الحكومة البريطانية أصدرت في عام 1939 كتاباً أبيض قررت فيه ألا تكون هناك دولة يهودية في فلسطين . أجل قضى الكتاب الأبيض على فكرة الدولة اليهودية، وراح الإسرائيليون والوكالة اليهودية بزعامة بن جوريون يعلنون حرباً لإقامة الدولة اليهودية . ولدينا في السجلات إعلان بن جوريون لهذه الحرب بعبارات واضحة صريحة، لا على شكل مجازي، أو في صورة استعارة، بل إعلان الحرب بعبارات حقيقية واضحة . وقد قال بن جوريون : (سنحارب الكتاب الأبيض، وكأن ليست ثمة حرب عالمية) .

وكانت المملكة المتحدة آنذاك مشتبكة في حرب مع النازيين . وكانت الدول الحليفة مشتبكة في هذه الحرب مع النازية، وبالرغم من هذا المجهود الحربي، فقد رأى المستر بن جوريون أن الوقت ملائم، لإعلان الحرب على الكتاب الأبيض، وكأن ليست ثمة حرب عالمية قائمة .

وكان هناك بلاغ رسمي آخر . إنه مرجع ثان مؤرخ في العاشر من تشرين أول (أكتوبر) عام 1944 . فقد أعلن القائد البريطاني العام في الشرق الأوسط أن الإرهابيين اليهود . وأنصارهم وأعوانهم من النشطين الفعالين، يعرقلون بصورة مباشرة المجهود الحربي لبريطانيا، مما يساعد الألمان في حربهم .

ترى من كان العدو في تلك الحرب ؟ إنهم النازيون . ومع ذلك فإن القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، يقول في بيانه (يعرقل الإرهابيون ومن ينصرهم نصرة سلبية أو إيجابية جهود بريطانيا العسكرية . مساعدين بذلك العدو على حربه) . وبالرغم من هذا البيان . فقد واصل

الصهيونيون حرب الإرهاب والدمار وسفك الدماء في الشرق الأوسط بعد عام 1944 .

ولننتقل الآن إلى عام 1946 . ترى ما هو الوضع الذي كان قائماً في عام 1946 ؟ نحن نعرف كما يعرف زملاؤنا أعضاء الوفدين الأمريكي والبريطاني، أنه كانت هناك لجنة أمريكية - بريطانية، تزور فلسطين في تلك الأيام لدراسة الوضع، ولترى الأسباب القائمة وراء الإرهاب الإسرائيلي، وراء حرب إسرائيل وحملاتها التدميرية التي شنتها على أهل البلاد . وقد اجتمعت اللجنة في القدس، وعقدت جلسات عدة في مختلف أرجاء البلاد . وليس في وسعي أن أتلو على مسامعكم التقرير بكامله على الرغم من أهميته وما يضمه من معلومات في منتهى الأهمية، ولكنني اكتفي بأن أضع أمامكم عناوين هذا التقرير الذي قدمته اللجنة . وهنا لا بد لي من القول أن اللجنة لم تكن سوفياتية بحيث تستطيع القول ان التقرير صادر عن لجنة تمثل الكتلة الشرقية، إذ انني كثيراً ما اسمع من يقول هنا، إن هذه المعلومات أو هذا البلاغ أو تلك الحجج، صادرة عن الكتلة الشرقية، وذلك في معرض الطعن في صحتها وصدقها، انها لجنة أمريكية - بريطانية قامت بزيارة البلاد . فهل تسمحون لي بقراءة عناوين هذا التقرير ؟ أنا لن أخوض في بحث الأحداث، لأنها تثير الرعب والفرع والأسى . واكتفي بالعناوين لأصور لكم الإرهاب الذي كانت الصهيونية تشن حملاته على البلاد المقدسة وأهلها .

وقد صورت اللجنة الأمريكية - الإنجليزية، هذه الأحداث المفزعة بعبارات واضحة جلية . لن أقرأ عليكم التفاصيل، ولكن اسمحوا لي بأن أقرأ عناوين بعض الأعمال التي اقترفتها القوات اليهودية في فلسطين بين عامي

1940 و 1946، عندما كانت اللجنة تتولى دراسة الأوضاع في فلسطين . هذه هي العناوين يا سيدي الرئيس، ويا حضرات الأعضاء المحترمين . . . (التحرش بكاتدرائية القديس جورج في القدس)، (محاولة اغتيال المندوب السامي)، (الهجوم على دائرة المهجرة في فلسطين)، (إطلاق القنابل على رئاسة دائرة الشرطة)، (تدمير مكاتب ضريبة الدخل)، (قتل رجال الشرطة الإنجليز)، (مهاجمة دار الإذاعة)، (قذف دوائر الحكومة بالقنابل)، (محاولة قبل المندوب السامي وعقيلته)، (اغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط)، (مهاجمة سكك حديد فلسطين)، (قتل الجنود البريطانيين)، (خطف الضباط)، (نسف فندق الملك داود وقتل تسعين شخصاً وإصابة العشرات بالجراح)، (إلقاء القنابل على سيارة شرطة)، (القتل بالجملة في حيفا عن طريق المتفجرات)، (خطف قاض في المحكمة) . . . هل سمعتم خطف قاض من محكمته رغم ما يتمتع به القضاة من حصانة في جميع أنحاء العالم، (إخراج القطارات عن الخطوط الحديدية)، (مهاجمة المدن والقرى العربية)، (المتفجرات في رسائل البريد)، وقد وجه بعضها إلى تشرشل واتلي، وبيفن وهربرت موريسون وغيرهم من القادة البريطانيين. هل سمعتم؟ رسائل ملأى بالمتفجرات إلى هؤلاء الساسة البريطانيين البارزين، بحيث تنفجر عند فتحهم لها .

وتسألون، لم دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين؟ فقبل عام واحد من ظهور ما يسمى بدولة إسرائيل، كانت الأمور تسير على هذا النحو هناك، وكانت الخطط تعد هنا في الأمم المتحدة، وإني لأتساءل، هل يقبل القضاة في

أمريكا، وتقبل السلطات المسؤولية فيها، باقتراف مثل هذه الجرائم في الولايات المتحدة تحت سمع النائب العام وبصره . أو تحت سمع النيابة العامة وبصرها . ونشر (صندوق المقاومة الفلسطينية)، وهو الاسم الذي يطلق على إحدى المنظمات الصهيونية، إعلاناً في الرابع عشر من أيار (مايو) عام 1947، في صحيفة (النيويورك بوست)، وهي كما تعرفون صحيفة أمريكية، هذا نصه :

(في كل يوم تنسفون فيه سجنًا بريطانيًا، أو تدمرون قطارًا بريطانيًا وتبعثون بأجزائه متطايرة في الهواء، أو تسلبون مصرفًا بريطانيًا، أو تطلقون نيران بنادقكم أو قنابلكم على البريطانيين ترقص أفئدة اليهود في أمريكا فرحًا وطرباً وكأنهم في عيد) .

وأنتم تعرفون أعياد الولايات المتحدة ؟ لعل هذا هو السبب في أن الأعياد في الولايات المتحدة قد تناقص في هذه الأيام، إذ لم تعد هناك قنابل تقذف على المصارف البريطانية . ولكننا نحب أن نرى بعض الأعياد، حتى يأتي زميلي المحترم ممثل بريطانيا في الأمم المتحدة، فيسر في أدني شيئاً، لا يرغب في تسجيله .

هذا مصدر آخر، من مصادر الثقة . إننا لا نلقي القول على عواهنه. فلدينا سجلات موثوقة، كانت حكومة الانتداب البريطانية قد قدمتها في تموز (يوليو) عام 1947 إلى الأمم المتحدة .

هذه وثيقة، في سجلات الأمم المتحدة . إنها مذكرة تلقي مسؤولية الحرب في فلسطين، بصورة مباشرة، على عواتق اليهود فيها، تقول المذكرة ما نصه :

(ادعت الطائفة اليهودية في فلسطين منذ بداية عام 1945 لنفسها الحق الصريح في ارتكاب الإرهاب السياسي، تدعمها فيه حملات منظمة من القتل والخروج على القوانين وأعمال التدمير، وهي تزعم في ادعائها هذا، أنه مهما كانت الأهداف التي تعمل هذه الحملات على تحقيقها، فمن الواجب أن لا يسمح لأي شيء بالوقوف في وجه الدولة اليهودية، والهجرة اليهودية إلى فلسطين) .

هذه وثيقة من وثائق الأمم المتحدة، قدمتها الدولة البريطانية المندتبة، التي تقول أن اليهود قد ادعوا لأنفسهم الحق في إعلان الحرب والقيام بأعمال الإرهاب، وأن لا شيء يستطيع الوقوف في طريق إقامتهم للدولة اليهودية . ومع كل هذا، تجد السيدة ماير في نفسها الجرأة على أن تأتي إلى هنا لتتساءل عن الأسباب التي دعت الجيوش العربية إلى دخول فلسطين . إنكم تدعون لأنفسكم الحق في القيام بأعمال الإرهاب، وفي قتل الناس من شيوخ وأطفال، وتدمير المنشآت، وإرسال الرسائل البريدية التي تضم القنابل إلى الوزراء البريطانيين في لندن، ثم لا تسمحون للجيوش العربية بأن تدخل إلى فلسطين لتملأ الفراغ الذي خلفه انتهاء الانتداب البريطاني ولتعيد الأمن والنظام إلى البلاد . حقاً أنها مهزلة المهازل .

وهناك في السجلات الإسرائيلية هذه المرة، لا في سجلات الحكومة البريطانية، ما يؤكد هذا . إنها وثيقة في سجلات الهاجاناه، جيش إسرائيل اللارسمي قبل قيام إسرائيل، وجيشها الرسمي بعد قيامها . إن الهاجاناه تطلب إقامة الدولة اليهودية دون اكتراث بمعارضة العرب واهتمام بوجودهم، وذلك في

مذكرة رسمية قدمتها إلى لجنة الأمم المتحدة هذه المرة . إنها مذكرة مقدمة من الهاجاناه إلى لجنة الأمم المتحدة، وقد أعلنت فيها ما يلي :

(. . . ليس ثمة من شك في تفوق القوات اليهودية تنظيمياً، وتدريباً وتخطيطاً ومعدات. وإذا كنتم تقبلون بالحل الصهيوني في إقامة الدولة اليهودية، ولا ترغبون أو تجدون أنفسكم عاجزين عن فرضه . فكل ما نرجوه منكم، أن لا تتدخلوا، ونحن قادرون على تحقيقه وتنفيذه).

أو ليست هذه لغة الحرب ؟ إنها موجهة إلى الأمم المتحدة . ومع ذلك فإن السيدة ماير ، تأتي إلى هنا، لتقول أن الجيوش العربية دخلت إلى فلسطين وأن دخولها، هو الذي خلق مشكلة اللاجئين . فأنتم تقتلون الناس، وتهاجمون قراهم العزلاء المكشوفة، وتخرجون أهلها من البلاد، وعندما تدخل الجيوش العربية إلى فلسطين بعد ستة أشهر من اتخاذ الجمعية العامة للأمم المتحدة لقرار التقسيم في عام 1947، تفدون إلى هنا، لتقولوا أن هذه الجيوش كانت السبب في المأساة . ترى ما الذي كنتم تصنعونه بقنابلكم ومدافعكم، وأسلحتكم النارية والتدمير ؟ إنكم أنتم وحدكم، الذين خلقتهم المأساة وأثرتموها .

كانت مجزرة مخططة ومدروسة من البداية حتى النهاية إنها سياسة إسرائيل، التي خططت لذبح الشعب الفلسطيني . وأنتم تعرفون أن الدولة اليهودية قد أقيمت على أساس ضمها لأربعمئة وخمسين ألفاً من اليهود ومثلهم من العرب . ومثل هذه الدولة، يهودية في الاسم، إذ أنها ثنائية الجنسية في الواقع . ولكن ما السبيل إلى تحويلها إلى دولة يهودية في الواقع؟ إن السبيل هو القضاء على الأربعمئة والخمسين ألفاً من العرب . عن طريق ذبحهم، ذبحاً منظماً. و (الذبح المدروس المنظم)، تعبير لم أكن أنا الذي استعملته، وإنما هو

تعبير استخدمه الإسرائيليون أنفسهم، ولدي هنا وثيقة تلقي ضوءاً صريحاً وواضحاً وتبين أن إسرائيل قد استخدمت (المذابح المدروسة المنظمة) . كجزء لا يتجزأ من سياستها .

ونحن نعثر في الصفحة الواحدة والثمانين من كتاب (جندي مع العرب) على القصة الطريفة التالية، وهي قصة تجمع بين دفتيها الطرافة والأسى . . .

(كان أحد كبار ضباط الجيش العربي الأردني من البريطانيين يزور في شهر كانون أول (ديسمبر) عام 1947، أحد حكام الألوية الإنجليز في فلسطين . وقد شهد المقابلة، قائم مقام يهودي، يعمل تحت إمرة الحاكم الإنجليزي) .

وهكذا تضم القصة الشخصيات التالية . . . الحاكم البريطاني، والضابط الإنجليزي، والقائم مقام اليهودي . وكانوا يحضرون معاً إحدى حفلات الكوكتيل . ولنر الآن ما وقع في الحفلة، وما دار فيها من نقاش . كان الثلاثة يشربون معاً، في المساء، وكانت الأمم المتحدة قد نشرت قبل أيام، مشروعها لتقسيم فلسطين . وراح الضابط البريطاني يسأل القائم مقام اليهودي، عما إذا كانت الدولة اليهودية المقترحة ستواجه المصاعب الداخلية، من جراء الحقيقة الواقعة، وهي أن عدد السكان اليهود فيها سيكون معادلاً لعدد السكان العرب . حقاً كان السؤال في منتهى الذكاء . فقد راح الضابط البريطاني يسأل اليهودي قائلاً . . . (وماذا سيكون مصير العرب في فلسطين ؟ وماذا تعتزمون أن تفعلوا بهم ؟) هذه هي المشكلة الهائلة التي كانت تواجه اليهود . وأرى هنا أن أذكركم بما كان الدكتور زاهر قد كتبه إلى الدكتور وايزمن في عام 1917، إذ

قال ... (وحتى لو تحققت كافة مشروعاتنا، فسيظل هناك السكان العرب يؤلفون مشكلة مخيفة) .

وقد ظهرت هذه المشكلة بكل ما فيها من قوة في عام 1947، عندما واجهت الدولة اليهودية وجود أربعمئة وخمسين ألفاً من عرب فلسطين، فيما يسمى بالدولة اليهودية، وهم يساؤون عدد اليهود فيها . وقد رد القائم مقام اليهودي، وفي رده الكثير من الكشف عن خطط الصهيونية وعن خفايا الموضوع كله . إن فيها آثار المأساة كلها .

ترى ما الذي قاله القائم مقام اليهودي ؟ إنه قال ما نصه . . (لا .. لا) . هذا هو الانطباع الأول عند القائم مقام اليهودي، بالنسبة إلى مشكلة العرب الهائلة . داخل الدولة اليهودية . . هذه مشكلة يمكن أن تحل . فالقيام بعدد من المجازر المدروسة والمحسوبة، يمكن أن يؤدي إلى الخلاص منهم . هل سمعتم ؟ إنه كان موظفاً متحضرًا، يعمل في وظيفة عالية، في سلك الإدارة في حكومة الانتداب . ومع ذلك فقد قال ... (إنها لا تؤلف مشكلة، إذ يكفي القيام ببعض المجازر المحسوبة والمدروسة للخلاص منهم) . وكلنا يعرف ما تعنيه هذه المجازر المدروسة . ولكن اسمحوا لي أن أعرض عليكم صورة منها، لا ظهر لكم، لم طرد أهل فلسطين من ديارهم، ولم أخرجوا من وطنهم ليعيشوا حياة اللجوء والتشرد في البلاد المجاورة . وإني لأطلب إليكم، بالرغم من هذا السرد المرعب للقصة التي تلوتها على مسامعكم أن تعيروني أسماعكم، مدة أطول .

ففي العاشر من نيسان (إبريل) عام 1948 . وهذا التاريخ في منتهى الأهمية، إذ أنه سبق موعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بنحو من شهرين، هاجم الصهيونيون قرية دير ياسين في ضواحي مدينة القدس . وجمع

الجنود اليهود غالبية سكان القرية الذين يعدون ستمائة إنسان، ونهبوا كل ما فيها من أشياء ذات قيمة، ثم تحولوا بانتباههم إلى النهب الإنساني، فقتلوا الرجال، والنساء والأطفال، دون رحمة أو إشفاق . وقد ذبح اليهود في القرية نحواً من مائتين وخمسين شخصاً، بينهم اثنتان وخمسون من الأمهات اللاتي يرضعن أطفالهن، وستون امرأة وفتاة أخرى، وخمس وعشرون من الحوامل، اللاتي بقر اليهود بطونهن بمنتهى الوحشية ومزق الصهيونيون جثث الأطفال على مرأى من أمهاتهم، وقذفوا بنحو من مائة وخمسين جثة أنزلوا بها التشويه في جب في القرية . وحالت القوات الصهيونية بين الناس وبين رؤية ضحايا هذه المجزرة، وعندما طالب المسيو جاك رينر مندوب منظمة الصليب الأحمر الدولي، الإذن من الوكالة اليهودية، بمعاينة المكان، أخرت الوكالة ذهابه إليه يوماً كاملاً لتتيح للقتلة فرصة الإغفاء على آثار جرائمهم .

وقد تحدثت الميسورينر، وهو كما قلت مندوب الصليب الأحمر الدولي عن حقائق الحادث، فذكر أن الوضع كان في منتهى الفظاعة . فبالإضافة إلى الجثث التي ألقيت في الجب، كانت هناك جثث أخرى، مبعثرة بين أنقاض البيوت المدمرة .

ولا ريب في أن هذه المجزرة، ليست إلا واحدة من المجازر المدروسة المحسوبة، التي أشار إليها القائم مقام اليهودي، والتي قصد منها الخلاص من هذه المشكلة الهائلة، وهي مشكلة العرب في الدولة اليهودية .

وكانت مجزرة دير ياسين، موضوعاً طرقه بالبحث والدرس الأستاذ توينبي المؤرخ العالمي المشهور، الذي تحدث في كتابه (دراسة تاريخية) عنها فقال . . .

(ولا ريب في أن الأعمال الشريرة التي ارتكبتها اليهود الصهيونيون ضد عرب فلسطين، يمكن أن تضاهى بالجرائم التي ارتكبتها النازيون ضد اليهود) .
أسمعتم ؟ إنها تشبه جرائم النازيين . هذه هي المقارنة التي عقدها توينبي بين الصهيونية والنازية . أنها أداة أصدرها توينبي المؤرخ المشهور ، وقد سجلها تاريخ القرن العشرين، معادلاً بين النازية والصهيونية ... فقد مضى الأستاذ توينبي يقول . . .

(وقعت مجزرة الرجال والنساء والأطفال في دير ياسين في التاسع من نيسان (إبريل) عام 1948 . . . وتقع مسؤولية الدم العربي الذي سفك في دير ياسين في التاسع من نيسان (إبريل) عام 1948، على عاتق الأرجون، أما طرد العرب الجماعي بعد الخامس عشر من أيار (مايو) عام 1948، فتقع مسؤوليته على إسرائيل كلها) .

هذا هو الحكم الذي أصدره الأستاذ توينبي، صاحب العقل اللامع في المملكة المتحدة، والذي وجهه إلى العالم بأسره . وإني لأعتقد أن هذه الإدانة أهم على الصعيد العالمي، من القرارات التي تصدر عن اجتماعات ضخمة لوزارة الخارجية البريطانية .

وكان الأستاذ توينبي عنيفاً في تجريمه للأعمال الإرهابية الصهيونية قبل وقت قصير، أثناء الحوار الذي دار بينه وبين سفير إسرائيل في كندا في ندوة جامعة ماجيل في مدينة مونتريال الكندية في الواحد والثلاثين من كانون ثاني (يناير) عام 1961، إذ قال . . .

(وما نكرهه فيما اقترفه الألمان، هو أن جرائمهم، كانت تسير على خطة موضوعة ومدروسة، نفذت بمنتهى القسوة، وعن سابق قصد وتصميم .

وكل ما أخشاه أن تكون هذه النقاط جميعها قد انطبقت تمام الانطباق على ما اقترفته قوات إسرائيل المسلحة) .

وقد يكون هناك من يقول، اننا لم نأت إلى هنا لننشر آراء المؤرخين، وأن هذه الآراء عرضة للنقاش والحوار، لا سيما وأننا نعرف أن التاريخ ليس إلا انعكاساً للتباين بين آراء مختلف الناس، وبين مختلف الاتجاهات والميول . ولكن قصة دير ياسين كانت أيضاً موضوع النقاش في محكمة إسرائيلية . أجل نظرت محكمة إسرائيلية في هذه القضية . ترى ما هو الحكم الذي أصدرته هذه المحكمة في القضية ؟ جرت عادة الناطقين بلسان سلطات إسرائيل، وبينهم بالطبع، السيدة ماير، على التبرؤ من جريمة دير ياسين والاعتراف بهولها، ونسبتها إلى المتطرفين، ولكن، لا يا سادة، إنها لم تكن من اقتراف المتطرفين . إن إسرائيل هي التي اقترفتها ونفذتها قواتها المسلحة. وهذا هو القرار الذي صدر عن محكمة إسرائيلية . فهنا بعض الناس، الذين يستطيعون قول الحقيقة مرة واحدة على الأقل، وفي مناسبة أو أكثر من مناسبة، فهناك أوقات من الطهر في العنصر الإنساني، سواء أكان هذا العنصر من الإسرائيليين أم من غيرهم . وهذا هو قرار المحكمة الإسرائيلية بالنسبة إلى مجزرة دير ياسين، وذلك في القضية التي رفعها كوفمان، وهو ضابط إسرائيلي كان مسؤولاً عن المجزرة، على حكومة إسرائيل، يطالبها فيها بالتعويض . إنه ضابط عسكري إسرائيلي أسهم في مجزرة دير ياسين، ورفع قضية على حكومته يطالبها بالتعويض . وقد تعمقت المحكمة في بحث القضية كل التعمق وتوصلت إلى القرار الذي أعلنته بقولها . . .

(اقتتعت المحكمة تمام الاقتناع بأن وزير الحربية الإسرائيلية هو الذي أصدر أمره بعملية دير ياسين، كعملية موجهة ضد العرب) .
ومن هذا يتبين أن المجزرة، لم تكن عملاً من أعمال المتطرفين أو المنشقين، وإنما بأمر من وزير الحربية الإسرائيلي وكجزء من العمليات العسكرية ضد العرب . وهذا هو قرار المحكمة الإسرائيلية الذي لا بد وأن أطريه هنا غاية الإطراء . أجل إنني أطري المحكمة الإسرائيلية التي تعقد جلساتها في وطني وعلى تراب بلادي . ومع ذلك فإنها تقول الحقيقة التي أشعر من واجبي أن أعترف بها هنا أيا كان مصدرها، وأن أرفض أكاذيب السيدة ماير عندما تستهدف التضليل .

والآن لننتقل بالبحث إلى حادث آخر . لإيضاح الأسباب التي دعت إلى دخول الجيوش العربية السبعة إلى فلسطين في الرابع عشر من أيار (مايو) عام 1948 . إنه يتصل باتفاق خطي تم الوصول إليه بين الفريقين، أي العرب واليهود في مكتب حاكم اللواء البريطاني في يافا، وهو من طراز الاتفاق الذي تدعون العرب واليهود إلى الوصول إليه الآن عن طريق التفاوض . والآن لنبحث في نتيجة هذا الاتفاق المحلي الذي تم الوصول إليه بين سكان يافا من عرب ويهود، فقد تم الاتفاق على إعلان يافا مدينة مفتوحة، لا تجوز مهاجمتها . ووضع اتفاق خطي خاص بهذا الموضوع تم التوقيع عليه في مكتب اللواء . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق الذي أعلن مدينة يافا، مدينة مفتوحة، فإن القوات الإسرائيلية ما لبثت أن هاجمتها بعد انسحاب القوات البريطانية منها .
وقد كتب جون كيمتي، وهو من ابرز اليهود وان لم يكن صهيونياً، ومن أصحاب المؤلفات والدراسات، في كتابه (الأعمدة السبعة المتهالوة)، وهو

الكتاب الذي ضمنه، مشاهداته أثناء اضطرابات فلسطين، إذ كان مع الجنود في هذا الجانب أو ذاك، ما نصه . . .

(وقد بدأ القصف بإطلاق مدافع الهاون من عيار ثلاث بوصات وهي المدافع التي كان اليهود قد استولوا عليها منذ بضعة أسابيع، في أثناء الغارة التي قاموا بها على أحد المعسكرات والتي قتلوا ابانها ضابطاً وأربعة من الجنود . وقد أحدث القصف المدفعي موجة من الفرع بين عرب يافا، وشرع الباقون منهم، يتجاوزون عشرين ألفاً، يغادرون المدينة براً وبحراً . وبدأت القوات اليهودية في نهب المدينة، نهباً جماعياً . وبدأ جنود الأرجون الشبان في البداية بنهب الملابس والحلي، لصديقاتهم من الفتيات، ولكنهم سرعان ما تخلوا عن هذا التمييز في منهباتهم، وأخذوا ينقلون من يافا كل ما يمكن نقله من أثاث وسجاد، وصور، وزخارف، وأدوات صينية، ومجوهرات، وأدوات بيتية . وهكذا نهبت الأجزاء المحتلة من مدينة يافا، وسرعان ما ظهرت إحدى الظواهر العسكرية المألوفة في أبشع صورها . فقد حطم اليهود، ما لم يستطيعوا نقله ونهبه . ولحق الدمار بالنوافذ وأجهزة البيانو والستائر والأضواء الكهربائية) . هل سمعتم ؟ هذه أقوال جون كيمشي . إنه شاهد عيان، يهودي، يروي كل ما وقع في يافا .

وعندما تحدثت في المرة الماضية، من فوق هذا المنبر في الأمم المتحدة، قلت أن اليهود يستعملون كل شيء، حتى ملاعقنا . أجل إن الإسرائيليين يستعملون حتى ملاعقنا في فلسطين . وقد ابتسم بعض الأعضاء عندما قلت هذا، وقد خيل إليهم أنني أقول هذه العبارة مجازاً . أجل خيل إليهم، أنني أستعمل هذا التعبير لأعني به شيئاً آخر . ولكنكم سمعتم الآن من جون

كيمشي أن اليهود نهبوا كل شيء، حتى السجاد وملابس البنات، وأدوات الخزف والطبخ وكل شيء من البيوت العربية، وأن ناهبها كانوا من الجنود الذين يدينون بمبادئ الهدم والإرهاب وسفك الدماء . ومع ذلك، فإن هناك من يسألنا عن أسباب دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في الرابع عشر من أيار (مايو) عام 1948 . هذا هو الرد على هذا السؤال .

ولنعد الآن إلى قصة يافا، هناك مرجع قصير آخر أمامي، لا بد أن أشير إليه إنه يقول :

(وشرعت القوات اليهودية في التقدم داخل مدينة حيفا، وكأنها سكن تشطر الزيدة، وأخذ العرب يفرون من المدينة فزعين، وهم يصرخون دير ياسين . ولم يبق عربي واحد في بلدة صفد في شمالي فلسطين من أهلها الذين كانوا يعدون أربعة عشر ألفاً، وذلك بعد ست ساعات ليس إلا من بداية الهجرة الجماعية) .

أو تعرفون مصدر هذه العبارة ؟ إنه كتاب (الثورة) لمناحيم بيجين، الإرهابي اليهودي المعروف والزعيم الأرجوني بين الإسرائيليين . إنه يقول : ان القوات اليهودية أخذت تتقدم في مدينة حيفا وكأنها سكن تشطر الزيدة، إنه يصف ضحايا الإرهاب اليهودي الذي يصفه بالسكن، بالزيدة . ؟ ولا ريب في أن هذه الصورة تعرض الشكل الذي تمت فيه الهجرة الجماعية لشعب فلسطين . ولدينا مصدر آخر . إنه من جماعة الهاجانا . فقد ألقت القوات اليهودية بمنشور من الطائرات في الجليل الأعلى، وأعلن قائد الهاجانا في السادس عشر من أيار (مايو) في هذا المنشور الذي طبعته قيادة الجيش النظامي الإسرائيلي، ووزعته الطائرات الإسرائيلية ما يلي :

(ولهذا فأنا أعلن في هذا البلاغ، أن على جميع من لا يرغبون في هذه الحرب أن يغادروا أماكنهم مع نسائهم وأطفالهم، ليصبحوا في نجوة من الخطر . فالحرب التي نخوضها ستكون لا رحمة فيها ولا شفقة . وليس ثمة من سبب يدعوكم إلى تعريض أنفسكم إلى الخطر) .

وراح مكبر الصوت الذي تستخدمه الهاجانا يعلن بالعربية في مدينة القدس أن على جميع السكان العرب أن يغادروا المنطقة قبل الساعة الخامسة والربع من بعد ظهر الخامس عشر من أيار (مايو) عام 1948، وهذا نص الإعلان:

(أشفقوا على نسائكم وأطفالكم، وأخرجوا بهم من هذا الحمام الدموي. أمضوا بهم بعيداً عن طريق أريحا قبل أن تقفل هذه الطريق في وجوهكم . أما إذا آثرتم البقاء فإنكم تعرضون أنفسكم إلى الكارثة) .

أو ليست هذه دعوة موجهة إلى اللاجئين للخروج من البلاد ؟ أما إذا شاء هؤلاء اللاجئون من أهل فلسطين، أن يوجهوا الدعوة إلى الجامعة العربية لإرسال جيوش دولها لحماية أرواحهم، فإن هذه الدعوة تعتبر جريمة في عرف إسرائيل وشريعته .

وقد ذكرت الآنسة بيرتا فيستر، وهي مبشرة أمريكية قضت حياتها كلها في مدينة القدس، في كتابها (قدسنا)، أن القادة اليهود كانوا يوجهون الإنذارات إلى سكان القدس والقرى العربية المجاورة، وهم يقولون فيها : (وما لم تغادروا بيوتكم، فإن مصير أهل دير ياسين ينتظركم) . هذه هي الدعوة التي وجهتها القيادة الإسرائيلية المسلحة، وقد نقلتها هذه السيدة الأمريكية، الممتازة، التي لا

تعتبر متحيزة، أو تمت إلى طرف في النزاع، والتي عاشت حياتها كلها، كمواطنة هادئة آمنة في مدينة القدس .

وهناك شهادة أخرى من يهودي بارز، كان يعيش في فلسطين وقد غدا الآن مواطناً في إسرائيل . إنه ناثان شوفشي، وهو من طلائع المهاجرين اليهود إلى فلسطين، يصف حقيقة ما وقع، بقوله . . .

(. . وفي وسعنا نحن المستوطنين اليهود الأول في فلسطين، الذين رأينا بأنفسنا الطريقة التي فر فيها العرب، من البلاد، أن نعرض الأسلوب الذي اتبعه اليهود في إرغام العرب على مغادرة مدنهم وقراهم . فقد أرغم بعضهم على الفرار بقوة السلاح، بينما استخدم الخداع والكذب، والتضليل في الوعود المعسولة، في إقناع البعض الآخر بالفرار . ويكفي أن نستشهد بما وقع في يافا والرملة وبئر السبع وعكا، وغيرها من المدن التي لا عد لها ولا حصر، والتي طرد منها أهلها العرب) .

وهناك وثيقة أخرى، فقد كتب الأب رالف جورمان في مجلة (الإشارة)، وهي مجلة كاثوليكية أمريكية مستقلة ذات انتشار على الصعيد القومي، وتتميز بنظرتها الموضوعية، خلافاً لعدد من الصحف الأمريكية التي تنقصر إلى الموضوعية في وجهة نظرها واتجاهاتها يقول . . . (لم يسبق للنازيين أن لجأوا إلى الإرهاب بصورة أكثر قسوة وتعميماً من الإرهاب الذي اتبعه الإسرائيليون في مذبحه قبية) . هذا هو الأب رالف جورمان وهو يكتب في مجلة (الإشارة)، وهي مجلة كاثوليكية أمريكية على الصعيد القومي . وإنني لأعرض هذا المرجع على أنظار الوفد الإسرائيلي ليقراه، وينفيه إذا أراد، وإذا تمكن من ذلك دون تضليل أو تشويه .

وأخيراً، أود أن أعرض عليكم قائمة نشرتها صحيفة (النيويورك تايمز)
بأسماء المدن والقرى العربية التي احتلتها القوات الإسرائيلية قبل أمد طويل من
دخول الجيوش العربية إلى فلسطين، وبعضها من المدن والقرى، التي تقع ضمن
الدولة العربية وفقاً لمشروع التقسيم.

وأنا لا أهدف من هذا إلى قول شيء معين . . . فأنتم تعرفون أهدافنا
القومية، وحقيقة موقفنا . ولكنني أود أن أناقش ضمن حدود قرار الجمعية
العامة، عارضاً قائمة نشرتها صحيفة النيويورك تايمز وهي تظهر القرى والمدن
التي احتلتها القوات الإسرائيلية، قبل أسابيع وأشهر طويلة من دخول الجيوش
العربية إلى أرض فلسطين . وهذه القائمة مستقاة من صحيفة
(النيويورك تايمز) . . .

قزازه . . . احتلها اليهود في 21 كانون أول (ديسمبر) عام 1947

سعسع . . . احتلها اليهود في 16 شباط (فبراير) عام 1948

حيفا . . . احتلها اليهود في 21 شباط (فبراير) عام 1948

سلمه . . . احتلها اليهود في 1 آذار (مارس) عام 1948

بئر عدس . . . احتلها اليهود في 6 آذار (مارس) عام 1948

كفر كنة . . . احتلها اليهود في 13 آذار (مارس) عام 1948

القسطل . . . احتلها اليهود في 4 نيسان (إبريل) عام 1948

دير ياسين . . . احتلها اليهود في 10 (إبريل) عام 1948

اللجون . . . احتلها اليهود في 15 نيسان (إبريل) عام 1948

ساريسي . . . احتلها اليهود في 17 نيسان (إبريل) عام 1948

طبريا . . . احتلها اليهود في 20 نيسان (إبريل) عام 1948

حيفا . . . احتلها اليهود في 22 نيسان (إبريل) عام 1948
القدس . . . احتلها اليهود في 25 نيسان (إبريل) عام 1948
يافا . . . احتلها اليهود في 26 نيسان (إبريل) عام 1948
عكا . . . احتلها اليهود في 27 عام 1948
القدس . . . احتلها اليهود مناطق أخرى فيها في 1 أيار (مايو) 1948
صفد . . . احتلها اليهود في 7 أيار (مايو) 1948
بيسان . . . احتلها اليهود في 9 أيار (مايو) عام 1948
ومن هذا يبدو أن اليهود قد احتلوا هذه المدن والقرى قبل أشهر وأسابيع
طويلة من دخول الجيوش العربية، طبقاً لأقوال صحيفة النيويورك تايمز وهي
صحيفة غير عربية كما تعرفون .
وهنا مصدر آخر، لا يقل وثوقاً عن هذه المصادر كلها . إنها أقوال
صدرت عفواً . عن وفد الولايات المتحدة الأمريكية وفي فترة محددة سبقت الرابع
عشر من أيار (مايو) 1948، وكانت من اللحظات النادرة التي تميز بها العقل
الأمريكي في معالجة القضية الفلسطينية طيلة هذه المدة الطويلة . بالحكمة
والتعقل . أجل إنها فقرة من بيان الممثل الأمريكي في مجلس الأمن، وقد جاء
فيها ما يلي :
(ولما كان قد اتضح، أن قرار الجمعية العامة - المقصود هنا قرار
التقسيم لعام 1947 - عسير بل ومستحيل على التنفيذ بالوسائل السلمية، وأن
مجلس الأمن ليس على استعداد لتنفيذه، فإن في وسع المجلس أن يوصي بإقامة
وصاية مؤقتة على فلسطين تحت إشراف مجلس الوصاية) .

كانت هذه لحظة قصيرة من لحظات الحكمة والتعقل، التي ندر وجودها في تاريخ معالجة الولايات المتحدة للمشكلة الفلسطينية، إذ أبلغت مجلس الأمن أن قرار الأمم المتحدة متعذر على التنفيذ بالوسائل السلمية، ولا يمكن تنفيذه إلا عن طريق سفك الدماء والإرهاب والتدمير والحرق، وغير ذلك من الأعمال التي اقترفتها إسرائيل قبل الرابع عشر من أيار (مايو) عام 1948 بوقت طويل . وقد طلبت الولايات المتحدة فرض الوصاية على فلسطين لأنها رأت أن هذا القرار لا يمكن تنفيذه بالوسائل السلمية، وأن إسرائيل تعمل على تنفيذه عن طريق قواتها المسلحة .

ولكن القوات الإسرائيلية المسلحة كانت قد تقدمت، ووجهت رسالة إلى مجلس الأمن تبلغه فيها بتقدمها، وكانت هذه هي الوسيلة الوحيدة التي اعتقدت أن في وسعها أن تتهرب فيها من مجلس الوصاية . وقد رفضت الوصاية، وأكدت أن قواتها المسلحة قادرة على أن تهزم اقتراح فرض الوصاية، وأعلنت أصرارها على المضي في إقامة الدولة اليهودية . وقد مضت قدماً في تنفيذ مخططاتها، دون أن تأبه بأقوال وفد الولايات المتحدة الأمريكية في مجلس الأمن في تلك الأيام، وعندما مضت في هذا العمل، وجدت الجيوش العربية السبعة أن واجبها يدعوها إلى دخول فلسطين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه منها . وقد تمكنت هذه الجيوش من إنقاذ بضعة مئات من الألوف من الناس الذين يعيشون حتى يومنا هذا . وإذا كان ثمة بقايا لهذا الشعب اليوم، فإن الفضل في ذلك يعود إلى دخول الجيوش السبعة، التي لولا دخولها، لتمكن الإسرائيليون من إبادة الشعب بكامله، ومن تحويل البلاد كلها إلى أنقاض من مخلفات التدمير والإحراق .

وهنا لا بد لي من أن أشير إلى أخطر تشويه للحقيقة في أقوال السيدة ماير إلى هذه اللجنة . فقد تحدثت عن الفقرة (11) من القرار المعروف بقولها .

..

(لا تتحدث الفقرة عن حق اللاجئين في العودة، وإنما تتحدث عن احتمال سماح إسرائيل لهم بها) .

ولكن السيدة ماير . تحدثت في الصفحة نفسها من الخطاب عن هذه الفقرة فوصفتها بأنها (فقرة وحيدة من قرار قديم) .

يالها من مهزلة حقاً، تنطق بالكفر والسخرية . فعندما يكون الحديث عن حقوق اللاجئين في فقرة، فليس من الضروري، أن يكون هذا الحديث في كتاب بأكمله، أو فصل بمجموعة، إذ أن حق اللاجئين في العودة إلى ديارهم، حق في منتهى البساطة، ويمكن النص عليه في فقرة واحدة ليس إلا . أما القول بأنها فقرة وحيدة في قرار قديم . فإنما القصد منه، أن هذه الفقرة لم يعد لها وجود، إذ أن القرار بات قديماً، وهنا لا بد لي من القول ان الأمم المتحدة لا تمثل مقبرة، أو أضرحة ندفن فيها القرارات القديمة، فيها جميع الحقوق التي تنص عليها هذه القرارات . وإذا كان ثمة من قرار قديم قد مات، فإن هناك قرارا اقدم منه يجب ان يموت، هو قرار عام 1947 الذي أقام إسرائيل. وإذا كانت حقوق اللاجئين قد ماتت، لان القرار قد صدر في عام 1948، فإن وجود إسرائيل نفسه يجب أن يكون قد مات، لان القرار الخاص به قد صدر في وقت سابق أي في عام 1947 . . واصبح محتما على إسرائيل أن تخرج من الأمم المتحدة .

هذه هي فلسفة السيدة ماير، واني لأقول انها تقتقر إلى الفلسفة . بل هذا هو منطق السيدة ماير . واني لأقول انه يفتقر إلى كل منطق .

وكان من المدهش حقا، ان تختلف الأقوال بالنسبة إلى هذه الفقرة. فقد اختلفت تفسيرات السيدة ماير وتعددت له . فهي تتحدث أولا عن الصلح مع إسرائيل، ولكن إذا كان ثمة من تفسير صحيح لهذا الفقرة فان عبارة (إسرائيل) لم ترد فيه على الإطلاق، إذ نصت على ما يلي :

(يجب السماح للاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم ,العيش بأمان فيها مع جيرانهم، بذلك في اقرب موعد عملي ممكن . .).

أهناك نص على (إسرائيل) في الفقرة كلها، أو ذكر لها . وإذا كنت أيتها السيدة تريدان استنباط ما تشائين من تفسيرات لها، فان في وسعي أن أسألك، أين هي عبارة إسرائيل في الفقرة كلها ؟أنها لا تظهر فيها، إذ لا وجود لها على الإطلاق . وكيف يمكن لنا أن نستورد عبارة الصلح مع إسرائيل، في الوقت الذي لا وجود لإسرائيل في الفقرة كلها . وكل ما تقوله هو وجود (السماح للاجئين بالعودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم) لا مع (جارتهم) . فاللاجئون العرب يعودون إلى وطنهم ليعيشوا بسلام مع جيرانهم لا مع سادتهم . هذا هو نص الفقرة الحادية عشرة وهو واضح في أن عليهم ان يعيشوا بسلام مع جيرانهم، لا مع سادتهم . أما الآن فان إسرائيل تود ان تفرض نفسها سيدا على اللاجئين، ولكن هذه السيادة غير موجودة لا في نص الفقرة ولا في روحها، لا في مبناها ولا في معناها . واني لأقول انه جدير بالإسرائيليين الذين يعيشون الآن في إسرائيل، أن يعودوا إلى ديارهم السابقة ليعيشوا بسلام مع جيرانهم في ألمانيا وفرنسا والأرجنتين وغيرها من الدول المختلفة التي كانوا يعيشون في السابق في ديارها .

ولكن هذا التفسير التي تقدمت به السيدة ماير ، لا يصمد للتحليل حقا، حتى على ضوء الاتفاقات التي عقدتها إسرائيل نفسها . فإسرائيل، تنكر هنا حق اللاجئين في العودة . لكن هذا الحق، ليس منحة من الأمم المتحدة . فنحن أصحاب الحق، لان الحق إلى جانبنا . انه الحق الذي خولنا * إياه الله، وأقول هذا لكل من يؤمن بالله، خولتنا ** إياه الطبيعة وأقول هذا بالنسبة إلى كل من يؤمن بالطبيعة . أن هذا الحق ليس منحة من الأمم المتحدة . فنحن شعب فلسطين، وفلسطين هي وطننا، سواء أرادت إسرائيل أم لم ترد، وقد أعلننا نحن حقنا، واعترفتم انتم به . انكم لم تمنحونا هذا الحق، ولم يمنحكم انتم أي إنسان حقكم في وطنكم . اجل لم يمنحكم إنسان الحق في العودة إلى بلادكم لقضاء عيد الميلاد فيه، إذ أن هذا هو حقكم .

ومن هنا يتبين لكم أن الأمم المتحدة لم تقم بأكثر من إعلان حق العودة . ان هذا الحق ليس من ابتكارها ولا من خلقها . انه حق أصيل قائم، وليس في وسعنا أن نجلس هنا، نستمع إلى السيدة ماير وهي تقول ان علينا أن نطلب الإذن من إسرائيل لكي نستطيع العودة إلى ديارنا . كنا في فلسطين، قبل وجود إسرائيل . اجل وجدنا فيها، لأنها وطننا قبل أجيال من وجود إسرائيل، بل قبل قرون وقرون، ان حقنا في الوجود يسبق وجود إسرائيل، وعلى وجودها أن يكون مستندا إلى وجودنا وتابعا له، وهذا ما يعنيه قرار الأمم المتحدة . وأنا لا اعرض هنا، موقفنا، القومي فوجود إسرائيل مشروط بحقوق شعب فلسطين وارايدته، إذ أن هذا الشعب موجود قبل وجود إسرائيل بأجيال وقرون، وقرون .

* في الأصل (خولناه) .

** في الأصل (خولتنا) .

وأمامي الآن وثيقة . وسأحدثكم عنها فيما بعد . إنها وثيقة وقعتها إسرائيل، بل ممثلها المخول بالتوقيع عنها، وهذا هو نص الوثيقة ...

(لما كانت لجنة التوفيق لفلسطين، رغبة في ان تحقق في أسرع وقت ممكن، الأهداف المتوخاة من قرار الجمعية العامة في الحادي عشر من كانون أول (ديسمبر) عام 1948، بالنسبة إلى اللاجئين، واحترام حقوقهم، وصيانة ممتلكاتهم، بالإضافة إلى القضايا الإقليمية وغيرها، فقد اقترحت على وفد إسرائيل، وعلى وفود الدول العربية، أن تكون الوثيقة التخطيطة، الملحقة بهذه الوثيقة، أساسا في مناقشات اللجنة .

(وقد وافقت الوفود المعنية على هذا الاقتراح، مع تفهمها بان ما سيجرى من تبادل في الآراء من جانب اللجنة مع الطرفين المعنيين، سيؤثر على التعديلات الإقليمية اللازمة لتحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه) .

هذه هي الوثيقة المعروفة ببروتوكول لوزان، وقد وقعتها إسرائيل اجل وقعها وفدها المخول بالتوقيع، وقد اعترف فيها بحقوق اللاجئين في العودة وفي حماية ممتلكاتهم كما اعترف بان هذه الحقوق هي الهدف من المحادثات.

وافقت إسرائيل على الدخول في محادثات مع لجنة التوفيق الدولية، لتحقيق هذه الأهداف المذكورة، وهي احترام حقوق اللاجئين، وصيانة ممتلكاتهم أو ليست هذه وثيقة وقعتها إسرائيل . ؟ أو ليس هذا اعترافا من إسرائيل بحق اللاجئين في العودة وفي ممتلكاتهم ؟ أو ليس هذا هو الهدف الذي أقرت به لجنة التوفيق، وأقرت به إسرائيل بتوقيعها على الوثيقة ؟ ومع هذا فان زميلنا المحترم، ممثل ليبيريا، يقترح علينا في هذا الصباح أن نمضي قدما في المفاوضات، أفي وسعك أن توضح لي كيف يمكن التفاوض على حقوق

اللاجئين بعد أن اعترفت إسرائيل بها ؟ وإذا كان هذا الاعتراف قد وقع فعلا، وقد وقع، فليس ثمة من حاجة إلى التفاوض عليه، ان حقوق اللاجئين في العودة وصيانة الممتلكات هدف وافقت عليه إسرائيل وأقرته بختمها وتوقيعها، اجل أقرته مع لجنة التوفيق، ومع ذلك نرى أحد أصدقائنا، يقوم في هذه القاعة بعد أربعة عشر عاما من إقرار إسرائيل فيقترح، لان اقتراحه يوافق إسرائيل، أن نتفاوض على حقوق اللاجئين . ان هذه الحقوق، أيها الصديق، لا تقبل النقاش والتفاوض، وليس في وسعنا أن نتفاوض عليها، فقد قبلتها إسرائيل، وإذا شاءت هي الآن أن تنكر توقيعها، وان تتراجع عن موقفها، وان تقول، أن حقوق اللاجئين ليست حقوقا، فان الموضوع كله يصبح رهبا بمشيئة إسرائيل ورغباتها وتغدو عودتنا متوقفة على أهوائها، ويضحى من واجبنا أن نتفاوض في ميدان حافل بالإنكار والتراجع . أن هذا الحق قد قبل في عام 1949 تحت إشراف لجنة التوفيق وأقرته إسرائيل ووقعت على إقرارها به كحق، كما أقرت بضرورة صيانة ممتلكات اللاجئين، فكيف يمكن أن نتفاوض على موضوع كهذا.

وتحمل فكرة التفاوض، أن هناك خلافا، وان الموضوع قابل للحوار والنقاش والشك والإنكار، ولذا فنحن نرفض التفاوض على شيء لا يقبل الحوار والنقاش أو الإنكار، أن حقوقنا لا تقبل الجدل والحوار، فقد قبلت بها الأمم المتحدة منذ عام 1948، كما قبلت بها إسرائيل، بتوقيعها فيكف يمكن والحالة هذه أن تطلبوا إلينا التفاوض عليها ؟ ان التفاوض لا يكون إلا على ما يقبل الجدل والحوار، والنقاش الخلاف، أما الأشياء المقبولة ممن ناحية المبدأ، وبينها قرارات الأمم المتحدة، فلا يمكن التفاوض عليها، وهنا لابد لي من أن نشير إلى الحقيقة الواقعة، وهي أن ثمة قرارا من الأمم المتحدة يؤكد حقوق اللاجئين، وقد

اعادت المنظمة الدولية تأكيد هذا الحق، عاما بعد آخر، طيلة خمسة عشر عاما، فكيف يمكن بحق السماء أن تجعلوا من هذا القرار موضوعا للتفاوض والنقاش ؟ ان مجرد التفكير يجعل من الأمم المتحدة طرفا في التفاوض ،ويجعل من قرارها موضوعا للنقاش . أو ليس مثل هذا الوضع سخرية بالأمم المتحدة ؟ففي وسعكم ان تطالبوا بالتفاوض في أي موضوع إلا تلك المواضيع التي سبق للأمم المتحدة أن حلتها، فإذا كان ثمة قرار، فالحل موجود ولا يمكن التفاوض عليه إطلاقا . أن التفاوض لا يكون إلا على القضايا التي لم تقررها الأمم المتحدة بعد. .

وقد جرت عادة الأمم المتحدة . عند تناولها أي موضوع بالمعالجة، أن تطلب إلى الأطراف المعنية أولا . التفاوض على ما بينها من خلاف . فإذا فشل هذا الاقتراح، وجدت الأمم المتحدة نفسها مضطرة إلى اتخاذ القرار، وأمامنا الآن قرار من الأمم المتحدة، فهل في مكنتنا أن نتفاوض على قرار قائم . ان مجرد التفكير في هذا يجعل من الأمم المتحدة كلها. طرفا في التفاوض . ولكن المنظمة الدولية ليست طرفا، اذن كيف يمكن التفاوض على قرار . فالمشاكل التي لم تحل هي التي يجري التفاوض عليها، أما عندما تحل أي مشكلة فان الحل يكون موجودا، وهذا هو كل ما في الموضوع، أن أية مشكلة، فان الحل يكون موجودا، وهذا هو كل ما في الموضوع، أن الحل لا يخضع للتفاوض، وألا عرضنا الأمم المتحدة كلها للهزة والسخرية . وإذا كان لابد من السخرية بهذه المنظمة، فان من الواجب أن لا تصدر عن أعضائها ووفودها، وانما يجب أن تصدر عن جهة أخرى ليست عضوا فيها، ولا مكان لها في مبناها، ولا تؤلف

مجموعة من أعضائها، يطلبون التفاوض على قضية سبق للأمم المتحدة أن حلتها .

واني لأرجوكم أن تفهموا هذه النقطة تمام الفهم، وان تفكروا فيها، تفكيراً رصيناً وعميقاً حرصاً على كرامة الأمم المتحدة نفسها . فمن الهدم لكرامة الأمم المتحدة نفسها، أن نطلب التفاوض على قراراتها، إذ أن الواجب يدعو أعضائها إلى المبادرة إلى تنفيذ أي حل تضعه، لا إلى التفاوض عليه .

وقد أشارت السيدة ماير إلى تشويه ضخم للحقيقة عندما تحدثت عن ممتلكات اللاجئين، فقد زعمت أن أملاك اللاجئين لا تؤلف أكثر من 16.5 في المائة من الأراضي الواقعة تحت سيطرة إسرائيل، ومن السهل على المرء أن يذكر ما يشاء من أرقام، إذا كان الواقع لا يدعمها، ترى من أين جاءت السيدة ماير بهذه الإحصاءات؟ وكيف تسنى لها أن تصل إلى هذا الاستنتاج القائل بأن ممتلكات اللاجئين لا تعدو 16.5 في المائة؟ ترى لم هذا الرقم، ولم لا يكون 15 أو 17 أو 20 في المائة؟ ولم لم تنف أن للاجئين ممتلكات في المناطق المحتلة؟ ما هو الأساس الذي قام عليه هذا الرقم؟ وكيف وجدت السيدة في نفسها الجرأة لتزعم أن ممتلكات العرب لا تعدو 16.5 في المائة؟ أمامي الآن اعتراف من بن جوريون نفسه، وهو زعيم السيدة ماير ورئيسها، وكان رئيساً لوزراء إسرائيل سنوات عدة، انه اعتراف موجز، وعندما أتحدث اذكر المصدر الذي استند إليه، أما عندما تتحدث السيدة فلا تستند إلى أي مصدر، وإنما تختلق الأكاذيب .

هذا هو مصدري، سجلات الأمم المتحدة ووثائقها، وكان بودي أن تأتي السيدة ماير إلى الأمم المتحدة بأرقام مستمدة من وثائقها وسجلاتها .

ففي الصفحة السابعة عشرة من تقرير اللجنة الدولية الخاصة بفلسطين وهي لجنة من لجان الأمم المتحدة، نص على أن بن جوريون قال للجنة أن العرب يملكون 94 في المائة من الأرض وأن اليهود يملكون 6 في المائة .

ألا يكفي هذا لتبديد أكذوبة السيدة ماير ؟ أو لا يكفي هذا الدليل لإظهار ما في خطاب السيدة ماير من تضليل وتشويه للحقيقة، وما لم تستند السيدة في إحصاءاتها وأرقامها على تقارير لجان الأمم المتحدة ووكالاتها، فإن هذه الإحصاءات التي توردها ستظل أكاذيب إلى يوم يبعثون .

وانتقل الآن إلى موضوع السيادة، فقد بنت السيدة ماير قضيتها كلها بالنسبة إلى ممتلكات اللاجئين على حجة السيادة، واني لأعرف أن هذه الحجة تستهوي الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، فقد التفتت إلى كل وفد من الوفود المشتركة في هذه القاعة، وراحت تسأله بعبارة واضحة . . أو تقبل تدخلا في قضية داخلية تخص بلادكم وحدها، ونقع ضمن صلاحيتها ؟ وأنا لا أشك في أن الرد على هذا السؤال سيكون دائما بالسلب ولكن إسرائيل تفقر إلى الصلاحية، إذ ليست لها أية صلاحية بالنسبة إلى ممتلكات اللاجئين، وأنا لا أود الخوض عميقا في نصوص القانون الدولي في هذه القضية، إذ أن وزير خارجية الأردن المحترم قد عرض على مسامعكم ما يقوله القانون الدولي الذي تجسده الأمم المتحدة وقراراتها، فقد سألت السيدة ماير كل من في هذه القاعة . هل تقبل تدخلا في صلاحيات بلادك الداخلية وفي سيادتها ؟ وكان الرد طبعا بالسلب لسبب واحد ليس إلا .

فالسيادة بالنسبة إلى كل دولة عضو في الأمم المتحدة، هي التعبير عن إرادة شعبها، إذ أن هذه السيادة، هي من خلق الدولة، والحكومة والشعب

والدستور، فكل ممثل هنا، لأية دولة من الدول، دستوره في بلاده الذي وضعته الجمعية الوطنية هناك باستثناء إسرائيل . إذ أن الأمم المتحدة هي التي صاغت لها دستورها، وسيادتها، وليس ثمة من دولة في الأمم المتحدة، تولت المنظمة العالمية صياغة دستورها إلا إسرائيل التي صاغ لها دستورها قرار الجمعية العامة في عام 1947، وهذا القرار، يؤلف كتيباً صغيراً . انه لا يشبه القرارات الأخرى، التي لا تعدو في العادة مجرد بضع فقرات، انه كتيب كامل يضم الصلاحيات التشريعية والتنفيذية . ولم يسبق لي ان رأيت الأمم المتحدة تأخذ لنفسها الصلاحيات التشريعية والتنفيذية، في أي قرار سابق، وكأنها دولة فوق دولة، الا في موضوع إسرائيل بالذات وفي قرار التقسيم لعام 1947، وقد سبق للسيدة ماير، أن أعلنت هنا في بيانها، وفي هذه القاعة، بان إسرائيل قد قبلت قرار الأمم المتحدة لعام 1947.

وإذا كنت يا سيدة ماير قد قبلت بالقرار، فانك ولا ريب قد قبلت بالقواعد الأساسية التي تضمنها الدستور الذي نص عليه الفصلان الأولان من ذلك القرار . لن أتلو على مسامعكم نصوص هذين الفصلين . وانما أود أن اوجه أنظاركم إلى فقرة واحدة في القسم (ج) من ذلك القرار، فقد قررت الأمم المتحدة .

(أن الشروط التي تضمنها الإعلان تعتبر قوانين أساسية للدولة ويجب الا يتعارض أي قانون أو نظام أو عمل رسمي مع هذه الشروط، أن يعترض سبيلها، كما يحظر تغليب أي قانون أو نظام أو عمل رسمي عليها) . وهكذا فان الجمعية العامة قد أبلغت إسرائيل، انه مهما كانت صورة التشريع التي تتخذها، ومهما كان شكل الأعمال التي تقوم بها، فان أي تشريع

يجب الا يتغلب على المبادئ الأساسية التي يتحتم على دستور إسرائيل ان يتضمنها . وفي هذه النصوص الجوهرية شروط كافية لحماية حقوق العرب المقيمين داخل الدولة اليهودية، وليس من حق إسرائيل أبدا أن تشرع أي قانون أو تتخذ أي إجراء، سواء أكان هذا الإجراء إداريا أم غير إداري، يتنكر لحقوق اللاجئين ويتغلب عليها .

ويتضح لكم من هذا أن دستور إسرائيل محدد بقيود وشروط . . فسيادة إسرائيل خاضعة لنصوص قرارات الجمعية العامة، وإذا كنتم قد قبلتم بقرار عام 1947، فإنكم قد قبلتم بتحديد صلاحياتكم، وقبلتم بالقيود تفرض على سيادتكم، وتحتم عليكم أن تلتزموا بقرارات الجمعية العامة، لأنها هي التي خلقتكم، إنكم المولود الذي ولدته الأمم المتحدة، وقرار عام 1947 هو شهادة ميلادكم، وليس في وسعكم أن تتجاوزوا حدود هذه الشهادة أو تتحدوها .

وقد نص قرار الجمعية العامة، على أن ليس من حق أي تشريع أو عمل إسرائيلي أن يتنكر لحقوق العرب في فلسطين . انه حق دستوري وكل عمل أو تشريع من جانب إسرائيل يعتبر خروجاً على الدستور، ولا دستورياً. وهذا ليس كل ما في الموضوع، فالجمعية العامة لم تكتف بهذا الحد وتقف عنده، فقد ذكرت في فقرة أخرى من القرار نفسه ما نصه :

(وستضمن الأمم المتحدة النصوص الواردة في الفصلين الأولين من الإعلان، ولا يمكن إدخال إي تغيير فيها دون موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة . ومن حق كل دولة عضو في الأمم المتحدة، أن تلفت نظر الجمعية العامة إلى أي انحراف أو خطر انحراف عن هذه الشروط . وعلى الجمعية

العامة في مثل هذه الحالة، ان تتقدم بالتوصيات التي تراها مناسبة لمواجهة هذه الظروف).

اذن أو لم تنص الجمعية العامة على حقوق شعب فلسطين؟ انها تعهدت بان تكون هذه الحقوق بضماناتها، وخولت كل دولة من الدول الأعضاء المشتركة فيها، الحق في أن تلفت نظرها إلى أي انحراف عن هذه الحقوق، كما حظرت أي تعديل يطرأ عليها من إسرائيل أو من غيرها إلا بموافقة الأمم المتحدة . ومن هذا يتضح لكم ان كل ما أصدرته إسرائيل من تشريعات عن ممتلكات اللاجئين لاغية وباطلة، إذ أنها تنهار إلى الحضيض وذلك لأنها تعتبر انتهاكا لقرار الجمعية العامة . ومن واجب كل دولة من الدول الأعضاء ان تلفت انتباه الجمعية العامة إلى أي انحراف أو خطر بانحراف إسرائيل عن صيانة حقوق شعب فلسطين . هذا هو واجبكم وهذا هو حقنا .

ولم يكتف قرار الجمعية العامة بتحديد هذه السيادة فحسب، بل جاءت اتفاقات الهدنة منكرة لها، وكلكم يعرف ان إسرائيل طرف في هذه الاتفاقات التي وقعتها والتي تنص الفقرة الثانية من المادة الثانية من اتفاق الهدنة السورية الإسرائيلية وهو اتفاق واحد منها عقد في العشرين من تموز (يوليو) عام 1949، على ما يلي :

(وقد أملت الاعتبارات العسكرية لا السياسية وحدها نصوص هذا الاتفاق) وقد قامت إسرائيل هناك على الأرض بقوة اتفاقات الهدنة، ونقول هذه الاتفاقات أن ليس لنصوصها أية أهمية سياسية، إذ انها جاءت نتيجة املاءات الاعتبارات العسكرية، وإذا كانت الاملاءات العسكرية هي التي تفرضها، فان إسرائيل لا تملك والحالة هذه أية سيادة، كما أن التشريع الإسرائيلي الذي استخدم في سرقة

ممتلكات اللاجئين يعتبر عملا يخالف روح اتفاقات الهدنة وميثاق الأمم المتحدة

وأنا لا أعرب هنا عن رأيي الخاص، وإنما أناقش الموضوع من زاوية قرارات الأمم المتحدة، ترى ما الموقف بالنسبة إلى المناطق التي احتلتها إسرائيل والخارجة عن حدود الدولة اليهودية بموجب مشروع التقسيم، فهذه المناطق تحتلها إسرائيل نتيجة عمليات حربية أثمرت فتحها لها وعلى هذا الأساس، فليس لإسرائيل في هذه المناطق أية صلاحيات قانونية وليس من حقها أن تضع تشريعات للمناطق الخارجة عن حدود التقسيم . ونعود أيضا إلى منطقة القدس، وهنا أنا لا أود الإعراب عن رأيي، وإنما أناقش الموضوع من ناحية الفقه القانوني للأمم المتحدة . فقد قررتم في عام 1947 وفيما تلاه من قرارات أن تكون القدس وحدة منفصلة، يفرض عليها نظام التدويل، ويعني هذا أن ليس لإسرائيل حق التشريع في القدس، وليست لها أية سيادة عليها . إذ أن هذه السيادة، بموجب قرار التقسيم في عهدة الأمم المتحدة . وإني لأناقش هنا قراركم لا الموقف الذي أقفه من القضية، فإذا كانت القدس وحدة منفصلة في ظل الحكم الدولي فإن السيادة عليها تكون للأمم المتحدة لا لإسرائيل، وإذا كانت إسرائيل تشترع لبعض مناطق القدس خلافا لقرار الأمم المتحدة، وخلافا لسيادتك على المدينة، فإنها بعملها هذا تعتدي على سيادتك ولا بد أن يكون عملها لاغيا وباطلا.

ويقول الأستاذ توينبي عند معالجته موضوع ممتلكات اللاجئين في كتاب (دائرة المعارف البريطانية) لعام 1959، وهو كما ترون كتاب غير حديث جدا

بحيث لا يستطيع زميلنا المحترم، مندوب بريطانيا تبرير عدم قراءته له بحجة انه كتاب حديث ما نصه :

(لقد قيل في بعض الأحيان ان اللاجئين الفلسطينيين العرب، قد فقدوا حقوقهم في ممتلكاتهم الموجودة في الجانب الإسرائيلي من خط الهدنة، بسبب خروجهم من بيوتهم أثناء العمليات الحربية في عام 1948 . ولكن هذا الرأي مرفوض، ولا يمكن قبوله في العالم المتحضر . ولو كان في الإمكان قبول هذا الرأي، لصح لنا أن نستنتج أن من حق النازيين أن يغتصبوا أملاك اليهود الذين أتاحت لهم الفرص وبعد النظر الفرار من ألمانيا) .

وسأترك هذا القول دون تعليق، إذ انه ينطق من ذاته بإدانة إسرائيل على ما اقترفته من أعمال تجاه ممتلكات اللاجئين .

ولعل ما هو أهم من هذا، هو أن اللاجئين الذين يعيشون في مخيماتهم عبر خطوط الهدنة، يشهدون عند مطلع الشمس في كل يوم، وعند غروبها أراضيهم وبساتين حمضياتهم التي زرعوها بأنفسهم . ولا يستطيعون الوصول إليها، ولو سولت لهم أنفسهم أن يجتازوا الخطوط لقطف بعض ثمارها، فانهم يتعرضون للموت . هذه هي الحادثة الأولى من نوعها في العالم المتحضر، حيث يقتل الإنسان، لأنه يقترب من ممتلكاته، واني لأقول هذا لأنني عثرت في كتاب المستر هتشينسون عن (الهدنة الدامية) على فقرة استخلصها من تجاربه الطويلة عند ما كان يعمل رئيسا للجنة الهدنة المشتركة، وهذا نصها :

(وقد قتل الكثيرون من العرب وهم يحاولون استخلاص بعض الأشياء من بيوتهم السابقة، أو جني ثمار الأراضي التي كانوا يملكونها يوما ما في فلسطين) .

ومن هذا يتبين لكم، أن العرب لا يحرمون من حقهم في ممتلكاتهم فحسب، بل ويقتلون عندما يحاولون الدنو منها، أو ليست هذه حالة فريدة من نوعها في العالم المتمدين حيث يقتل الإنسان لأنه يحاول الاقتراب من داره؟إنني اترك لكم الحق في الحكم على هذا .

واني لا اعتقد أن أوضاع اللاجئين تتطلب العمل بموجب ميثاق تحريم الإبادة الجماعية، فقد نصت المادة الثانية من هذا الميثاق في معرض تعريفها لهذه العملية على ما يلي :

(تعني الإبادة الجماعية، القيام بأي عمل من الأعمال التي تقترب بقصد تحطيم أية جماعة دينية، أو عنصرية، أو عرقية أو قومية، تحطيمًا كليًا أو جزئيًا . . وحظر وضع هذه الجماعة بصورة متعمدة في أوضاع حياتية يقصد منها القضاء عليها قضاء فعليًا، بصورة كلية أو جزئية) .

هذا هو التعريف الذي وضعته جمعيتكم العامة لعملية الإبادة الجماعية . ويقول المستر ديفيز في تقريره المقدم إليكم، أن الألوف تلو الألوف من الناس باتوا معرضين الآن للتضوّر جوعًا، فالسبعة آلاف رجل من عشيرة العزازمة، والثلاثمائة والخمسة وعشرون ألفًا من الناس الذين لا يستطيعون الحصول على المساعدات من وكالة الغوث لأن تعريف اللاجئين لا ينطبق عليهم لأنهم من سكان القرى الأمامية، معرضون جميعًا للتضوّر جوعًا، وهذه هي الإبادة الجماعية بعينها . واني لألفت انتباهكم إلى هذا العمل، مطالبًا إياكم

بوقفة، وإذا كنا لا نستطيع تيسير سبيل عودة الشعب الفلسطيني فوراً إلى دياره، فإن علينا على الأقل أن نتجنب اقتراف جريمة الإبادة الجماعية، لا عن طريق ما تقدمونه لهؤلاء الناس من غوث لا يعدو الستة سننات في اليوم بعد تسجيلهم على قوائم المستر ديفيز، بل عن طريق السماح لهم بزارعة أراضيهم، والعيش على كدهم وجهدهم، والحياة حياة كريمة على ريع أراضيهم، وممتلكاتهم التي اغتصبتها إسرائيل وسرقته منهم .

ونحن نسمع من يطالبنا بالعيش في سلام تحت شعار (التعايش السلمي) ولكن لن يكون هناك تعايش سلمي، إلا عندما يكون العيش مشروعاً وقانونياً، فلا يمكن أن يكون ثمة تعايش بين اللص وضحيته، بل بين المضطهد والغاضب وفريسته، عليكم أن ترفعوا الاضطهاد أولاً، وأن تقفوا على آثار اللصوصية، قبل أن تحققوا التعايش السلمي، ولكن ليس في وسعكم ان تطلبوا إلى الضحية أن يتعايش سلمياً مع المجرم الذي جعله ضحيته .

ونجد في الفقرة الثالثة من مقدمة الميثاق الدولي، لحقوق الإنسان العبارة التالية :

(ومن الضروري جداً، إذا كانت النية متجهة إلى عدم إرغام الإنسان على اللجوء، كوسيلة أخيرة، إلى الثورة على الطغيان والاضطهاد، إلى حماية الحقوق الإنسانية عن طريق حكم القانون) .

فعندما يكون حكم القانون هو الذي يتولى حماية الحقوق الإنسانية فإن في وسع المرء أن يطالب بالتعايش السلمي، لكن هذا التعايش لا يمكن أن يقوم مع العدوان سواء كان هذا العدوان غزواً عسكرياً أو احتلالاً . . ولا يعتبر مثل هذا الوضع تعايشاً سلمياً، بل نهباً، وامتهاً للكرامة الإنسانية .

(وقد نشأت الحروب من جراء التكرار للمبادئ الديمقراطية في احترام
كرامة الإنسان والحقوق المتبادلة والمتكافئة بين الناس) .

والآن اسمحوا لي بدقيقة أو دقيقتين، ألخص فيهما رأينا وموقفنا فهذا
هو خطاب وفدي الأخير في ختام المناقشات نيابة عن شعبنا، وإن من واجبي
بعد هذا العرض المستفيض للمشكلة الفلسطينية، ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين
بالذات أن ألخص موقفنا بالعبارات التالية :

أولاً : العودة حق لنا، دون قيد أو شرط ودون تحفظ، إذ أنها عودة إلى
وطننا فلسطين، وارض آبائنا وأجدادنا .

ثانياً : - على الأمم المتحدة إذا أرادت بحث موضوع اللاجئين، وقضية
فلسطين في مجموعها، أن تتحدث إلينا نحن شعب فلسطين، فهذا الشعب هو
الطرف الرئيس في المشكلة الفلسطينية . والدول العربية مرغمة بحكم واجبها
القومي على الدفاع عن قضيتنا بمختلف السبل والوسائل المتوافرة لها، لكن
المصير النهائي لشعبنا، شعب فلسطين ومستقبل بلادنا، رهن بمشيئة هذا
الشعب، فنحن الذين في وسعنا ان نقبل وان نرفض .

ثالثاً - ليس ثمة من جدوى لأي قرار يطلب التفاوض بين الدول العربية
وإسرائيل، إذ أن مثل هذا القرار يوجه إلى الفريق غير المعني، فالدول العربية
ليست الفريق الشرعي المعني في أية مفاوضات بالنسبة إلى حقوق اللاجئين،
وليس من حق هذه الدول أن تتفاوض في الحقوق الوطنية لشعب فلسطين .

يضاف إلى هذا يا سيدي، ان المفاوضات ليست السبيل الصالح في
مشكلة اللاجئين أو في مشكلة فلسطين في مجموعها، ولا يمكن حل مشكلة
اللاجئين إلا بالعودة، لا التفاوض .

أما بالنسبة إلى القضية الفلسطينية في مجملها، فإن إعادة النظر فيها لا التفاوض، هي مفتاح المشكلة كلها، ويجب أن تكون إعادة النظر هذه، جذرية، وعلى أسس جديدة، لا علاقة لها بقرار عام 1947 وملما ترتب عليه من إجراءات . وقد أثبتت الفروض التي قام عليها هذا القرار، طيلة الخمسة عشر عاما الماضية، انها تفتقر إلى الأساس، وان الأهداف التي توخاها لم تتحقق وان السلام لم يرقم، وان الخطر الذي يهدده في المنطقة، بل وفي العالم بأسره، كما قال المستر ديفيز في تقريره، قائم وقريب .

رابعا - يتمثل الحل الوحيد في الاعتراف بحق شعب فلسطين الشرعي في ان يعيش في وطنه بكرامة وحرية، متمتعا بسيادته الوطنية .

خامسا - أما إذا واصلت الأمم المتحدة سياسة التقاعس والتخاذل واستمرت في تجاهلها، ولم تقم بأية محاولة جدية لاستعادة حقوقنا، فإننا شعب فلسطين، سنعمل بكافة السبل والوسائل، على استعادة وطننا وديارنا، وبيوتنا . ولا يمكن حل مشكلة فلسطين، وهي مشكلة استعمارية، إلا على النحو الذي حلت به مشكلة الجزائر، وكلكم يعرف معنى الحل الجزائري من البداية إلى النهاية . فقد يغدو من الضروري أن نشرع في حركة تحريرية، وعلى مثل هذه الحركة أن تعتمد على جيش للتحرير يجب أن يقوم، وبهذه العبارة، أنهى بياني إلى لجنتمكم الموقرة .

